أحمد سعيد

الإعلامي الأشهر في الستينات وشهادته التاريخية

ثورة يوليو - نكسة ٦٧

الوحدة مع سوريا

حرب اليمن - ثورة ٢٥ يناير



ممدوح دسوقي

مكتبة جزيرة الورد

أحمد سعيد

الإعلامي الأشهر في الستينيات وشهادته التاريخية

ثورة يوليو. نكسة ٦٧ . الوحدة مع سوريا
حرب اليمن. ثورة ٢٥ يناير

ممدوح دسوقي

الطبعة الثانية

مكتبة جزيرة الورد

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : **أحمد سعيد الإعلامي الأشهر في الستينيات وشهادته التاريخية**

المؤلف : ممدوح محمد دسوقي

رقم الإيداع : ٩٠٠٣/ ٢٠١٧م

الترقيم الدولي: ٥-٨٤-٦٥٦٥-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الثانية ٢٠١٧

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

■ **إهداء إلى ..**

إلى أستاذي : أحمد سعيد

الذي ربما تنطبق عليه مقولة:

«ومن الإعلام ما قتل»

■ **إهداء إلى ..**

أبنائي الأعزاء ....

سارة.. محمد.. أحمد.. مصطفى.. بهاء..

أعز وأحب ما لدي في الوجود

المقدمة

في حياة الأمم والشعوب شخصيات قادرة على تغيير مجرى التاريخ والأحداث، سواء بالسلب أو الإيجاب .. وقليل منهم من يتخطى حاجز الزمان والمكان ويسطر إسمه بأحرف من نور، وتضعهم شعوبهم في سويداء القلب عرفانا وتقديرا لدورهم البارز في حياتهم ، أو تسقطهم نهائيا من ذاكرتهم، أو قد تلقي بهم إلى مزبلة التاريخ.

وطننا العربي بحكم الظروف التي كانت مفروضة عليه من إستعمار خارجي وإستغلال لموارده ومقدرات شعوبه، برز فيه قادة غيرت مجرى الأحداث والتاريخ، وصنعت بطولات وسجلت مواقف مضيئة في الوطن العربي الذي جمعته الأحداث والمؤامرات التي غيرت من خريطته السياسية والإجتماعية ..

«أحمد سعيد» الإعلامي الأشهر في الوطن العربي، خلال الخمسينات والستينات من القرن الماضي، بل هو واحد من القلائل في الوطن العربي الذي جمعته الأحداث والمواقف بكثير من قادة الأمة العربية، وافق مشكورا أن يفتح لي عقله وقلبه لأبحر معه في نهر الذكريات، وتحدث معي عن هؤلاء القادة ليتعرف شبابنا في الوطن العربي على رموزه وقادته، ولكنه قال : انه لن يتعرض لأشياء لم يكن طرف فيها بل تحدث عن ما رأه وعايشه وشارك فيه، ولم يتعرض لصفة قائد أو تعاملاته الخاصة، لأنه ليس له دخل فيها.

وتعرض لأحداث تاريخية ومواقف فرُضت على الأمة العربية أسعدتها وأرقتها، شارك في كثير منها، بل ربما كان المحرك الرئيسي لها.

وضرب مثلا بأنهم كانوا حريصون جدا في صوت العرب على أن لا يتدخلوا في أي شأن أخر غير قومي عربي في عملهم الإعلامي .. بمعنى أن مصر بالنسبة لهم كانت ما هى إلا جزء من الوطن العربي يسري عليه ما يسري على باقي دول الوطن العربي، بل أحيانا كثيرة كانوا يتجاهلون أخبار مصر لصالح بعض الدول الأخرى، لأن مصر كان لديها برنامج عام في الإذاعة وتستطيع أن تبث أخبارها من خلاله، وتوجد ثورات أخرى ليس لديها إذاعة مثل ثورة الجزائر.

تقاربت من الأستاذ «أحمد سعيد» منذ سنوات بعيدة، بحكم عملي المهني، ولما لا ؟.. وهو شخصية أثير حولها الكثير من الجدل، فهو الخبير الإعلامي أو القطب الناصرى الكبير أو صوت عبد الناصر أو صوت العرب، أو الزعيم القومي، صفات كثيرة تنطبق عليه، سواء تتفق معه أو تختلف، فهو رجل قانون انضم للفدائيين عام ١٩٥١، والتحق بالعمل الإذاعي، وفجأة قامت ثورة يوليو ١٩٥٢، وأصبح المناخ يموج بالأحداث السياسية المتلاحقة والهامة الأمر الذي أحدث في حياته تحولاً كبيراً خاصة بعد انشاء إذاعة «صوت العرب» التي ارتبط بها ارتباطاً وثيقاً وأصبحت عرينه أو قاعدة صواريخه حيث قال عنه المفكر الإسلامي الكبير «خالد محمد خالد»: «صوت العرب» و«أحمد سعيد» كانا الاثنان – الصوت والصائت – يمثلان مدفعية ثقيلة تدك بالحق أو الباطل جميع الحصون والقلاع التي يجثم بداخلها الذين يعادون ثورة ٢٣ يوليو ويقاومونها على طول المنطقة العربية وعرضها، صال وجال، معضداً ومسانداً لـ«عبد الناصر» ولأفكاره، بهدف تحقيق أهداف ثورة يوليو ١٩٥٢، إلى أن حدثت نكسة يونية ٦٧ والهزيمة أصبحت قدراً محتوماً، التي أنهت مشواره المهني في عرينه «صوت العرب»، مقدماً إستقالته كمدير لـ«صوت العرب».

وبالطبع كان لا بد من تضميد الجراح بإعادة الثقة ورفع الروح المعنوية للضباط والجنود، وخاصة فس سلاح الطيران الذي ناله القسط الأكبر في الملامة، وتم إختيار «أحمد سعيد» ضمن مجموعة لعمل ما سمى حينها بـ«توعية» في سلاح

الطيران تحديداً، وكان «تيتو» الزعيم اليوغسلافي أعد مشروع مبادرة سلام بين القاهرة وتل ابيب وجاء بها إلى القاهرة، وشاع حينها أن مبادرة «تيتو» قد تلقى القبول والموافقة، وفي إحدى الندوات في القيادة المركزية لسلاح الطيران، تشجع أحد الضباط الشبان وسأل «سعيد» عن مبادرة «تيتو»؟ .. وقال «سعيد»: أن قبولها جريمة وإستسلام..

فسأله الضابط مرة أخرى : وماذا لو تم قبولها؟

فأجاب سعيد: كان فيه قبل الثورة رئيس وزراء إسمه «أحمد ماهر» باشا، وكانت الحرب العالمية الثانية شبه منتهية بإنتصار الحلفاء «امريكا، وبريطانيا، وفرنسا» وأعلن الحلفاء انه لن يتمتع بعضوية الأمم المتحدة إلا من يشترك في الحرب، مع أن الحرب كان أوشكت على الإنتهاء فعلياً، فأعلن «أحمد ماهر» إشتراك مصر في الحرب، التي كانت إنتهت ووضعت أوزارها، ولم يكن هذا الإعلان سيكلف مصر مليماً واحداً، أو نقطة دماء واحدة، ومع ذلك مصر لم تعدم من ظهر لـ«أحمد ماهر» وإغتاله تحت الأضواء الساطعة في ساحة البرلمان، وبعد هذه الإجابة، إبتعد «أحمد سعيد» عن العمل العام، أو الظهور في أي من وسائل الإعلام.

ويقول أعدائه أن إبتعاده عن الأضواء وعن الساحة الإعلامية، كان بسبب إنه أذاع بيانات مضللة تبشر بالنصر.. ونتساءل كيف؟ وجميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة أذاعت نفس البيانات، ولم يتم إبعاد أي مسئول يعمل في الإعلام غيره.. هذا هو «أحمد سعيد» الخبير الإعلامي أو الزعيم الإعلامي الذي ساعد في توجيه وتوحيد الرأي العام العربي لتأييد ومساندة سياسات ثورة يوليو، وحشد الجماهير العربية خلف الرئيس «عبد الناصر»، والذي كانت تنتظر جماهير العالم العربي صيحته من المحيط إلى الخليج، وكم من قادة وملوك ورؤساء وقفوا على أطراف أصابعهم خوفاً مما كان سيقوله «سعيد» ؟. وكم من عروش إرتعشت وإهتزت عبر أثير كلماته؟.

أذكر في ٢٠٠٥ جاء إلى القاهرة الزعيم الأسطوري الجزائري «أحمد بن بيلا» الثائر العريق الذي ينتمي إلى عمالقة الثوار الذين قادوا إحدى ثورات التحرير من اجل الحرية وكرامة الإنسان العربي، وقاد الكفاح المسلح من اجل تحرير الشعب الجزائري الشقيق من الاستعمار الفرنسي.. سجن واعتقل واختطف وعاني الكثير من أجل ما آمن به من حرية لشعبه، واستقلال بلده، حتي نجح في جهاده وخرج المستعمر، وأصبح «بن بيلا» أول رئيس وطني للجزائر، وأصبح الرمز والأب الروحي للشعب الجزائري، وذلك ما اعترف به شعبه واثبته في الدستور الجزائري، وبطبيعة الحال الحوار معه يثير إهتمام أي صحفي، فيحاول الوصول إليه.

فتمنيت علي الأستاذ «أحمد سعيد» الإعلامي الكبير أن اجري مع «بن بيلا» حواراً فقال: يا «ممدوح» هو جاء علي عين النظام ولا نريد توريطه في أي تصريحات لأنه ثائر بطبعه والنظام في مصر «شوية» موظفين، وليس له علاقة بالثورية أو النقلات النوعية وقد يتخذون قراراً «بجح» بمنعه من دخول مصر مرة أخرى، فأجبت بأن الحوار سيكون عن ثورة يوليو فقط وسوف أضمه في الكتاب «حيث كنت أعد كتابا عن ثورة يوليو».

وافق أستاذي «أحمد سعيد» وحدد اللقاء وذهبت معه، حيث كان يقيم في شقة السيد «عبد الحكيم» نجل الرئيس «عبد الناصر»، التي تجاور شقة الراحل «فتحي الديب» مدير الشؤون العربية بجهاز المخابرات المصرية، والذي كان صاحب فكرة إنشاء إذاعة صوت العرب، لأن الأستاذ «احمد» ذهب وكنت معه إلى أسرة الراحل وإطمئن عليهم، وكانت المقابلة في منتهى الحفاوة والود والتقدير المتبادل.

وبعد الانتهاء من الحوار شكرت الأستاذ «سعيد» على هذا السبق الصحفي بالنسبة لي فقال: يا «بني» أنت تستحق هذا اللقاء ولو لم تستحقه ما كنت لبيت لك طلبك، ثم أن هذه رسالتي أن اعطي الراية للاجيال من بعدي جيلا وراء جيل.

جلست مع الأستاذ «أحمد سعيد» عشرات المرات سواء للحوارات الصحفية، أو لزياراتي الخاصة له، كتلميذ محب إلى أستاذه، أو إبن يزور أبيه، فتأكدت أنه إنسان واضح وصريح في ما يخص معتقداته السياسية التي طالما دافع عنها، ويتمسك بمبدأ ثابت لا يحيد عنه سواء رضي عنه الآخرون أو لا يرضون، ولم أضبطه مرة واحدة يتاجر (مثل غيره ممن يطلقون على أنفسهم بالناصريين) باسم «عبد الناصر» ومتابع جيد لما ينشر إعلامياً في الداخل والخارج، ما من لقاء شخصي معه أو إتصال تليفوني به إلا ويفاجئني بمتابعته للأحداث والقرارات السيادية والوزارية والتشريعية، بل ومحلل ذو رؤية سياسية وإقتصادية وإجتماعية لما يحدث محلياً وإقليمياً ودولياً، لا زال يؤمن بـ«عبد الناصر» أشد الإيمان أيدولوجياً، حاد جداً بل في منتهى الحدة في الدفاع عنه وعن مبادئه، وإن كان إنتقد قليل من القرارات الناصرية، لكنه يصفها بالسلبيات الصغيرة لانه يتم الحكم عليها في القرن الواحد وعشرين، ولذلك يرفض أن ينشرها إعلامياً، يؤمن أن دوره إنتهى إعلامياً بعد نكسة ٦٧، وراضي بما حدث معه تمام الرضا، حيث إفتتح مكتب محاماة وعمل محامي فترة ولكنه لم يستمر..

ويقول: يا «ممدوح» أنا إعتبرت نفسي شهيداً مع شهداء يونية ٦٧، لأني لست أحسن من الضباط والجنود الذين إستشهدوا.

وفي كل لقاء كان النقاش يتطرق إلى العديد من القضايا التاريخية، خاصة قيام ثورة يوليو، وبداية إنشاء أول جمهورية في مصر، والتصدي للرجعية، وتقوية أواصر القومية العربية، وتحقيق أهداف ثورة يوليو، والوقوف ضد العربدة الأمريكية الإسرائيلية في منطقة الوطن العربي، فيدور الحوار حول قضايا متعددة.. لأن «أحمد سعيد» اعترك السياسة الخارجية والإعلامية، من منظور تنفيذ سياسات «عبد الناصر» داخلياً وخارجياً، بما لديه من ملكة قيادة الجماهير سواء كانت تلك القيادة للتهدئة أو للتثوير، أو لتوصيل رسالة سواء كانت للحكام المعادون لـ«عبد

الناصـر» أو للأسـتعمار الأجنبـي، وبـالطبع «سـعيد» جاهـد كثيـراً في التصـدي لمحاولات الهيمنة الاستعمارية من خلال عمله الإعلامـي الـذي أوصـله إلى أن يصبح زعيماً إعلامياً داخل الوطن العربي.

فما اكثر إقترابه من أحداث إقليمية ودوليـة، بالإضـافة إلى تعاملـه مـع قيـادات وزعامات هذه الفترة في عالمنا العربي، فأصبح مـن أهـم الأدوات المهيمنـة ذات القدرة والتأثير للحقبة الناصرية، بكل زخمها الثوري والقومي عـلى امتـداد الـوطن العربي، ونظـرًا لتفشـي الجهـل والأميـة في عالمنـا العربـي خـلال تلـك الفتـرة، فالاهتمام الأكبر كان لأجهزة الراديو، وذلك على حساب الصـحف والمجـلات، لدرجة أن العرب أطلقوا اسم «أحمد سعيد» في الخمسينات على أجهـزة «الراديـو»، نظراً لمحبتهم وثقتهم فيه حيث كان جهاز الراديو يعتبر الوسيلة الأسـهل المتاحـة للمواطن العربي البسـيط سـواء كـان في الصـحراء أو حقلـه داخـل الـوادي أو في مصنعه، ولهذا يعتبر صـاحب الـذكريات لـه الفضـل الكبيـر في إنتشـار الأهـداف والمبادئ الثورية والتحررية والنزعة القومية العربية لدى الشـعوب العربيـة التـي أمنت بـ«عبد الناصر» بغض النظر عن ماتحقق وما نفذ من كـل ماقيـل لهـم أو مـا خلق في النفوس من آمال وطموحات وآحلام تحققت أو تبخرت.

والله الموفق والمستعان،،

القاهرة ـ ممدوح دسوقي

٠١٢٢٢٧٥٤٨٢٧



ثورة يوليو ١٩٥٢

يقول «أحمد سعيد» : جاء بيان ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، متضمناً الإشارة إلى هزيمة الجيش في حرب ١٩٤٨، بما يشبه اللوم، وربما كان المقصود بها الجيش المصري قبل يوليو ١٩٥٢، أو الجيوش العربية ككل، بعد ما تأكد أن الهزيمة العربية كانت بسبب نوعية الأنظمة الحاكمة في سائر بلدان العالم العربي، وبناء عليه، قامت القيادة السياسية بعد الثورة، ببعض التحركات السياسة في المنطقة العربية، في محاولة منها لتأمين مصر من الأطماع، في ما عرف بأولويات الأمن القومي المصري، وبالطبع هذا لم يكن يحدث، إلا بوجود تنسيق وترابط عربي وقومي، بما يشمل نظرية الأمن القومي، ثم بعد مرور أقل من سنة على قيام الثورة كتب «جمال عبد الناصر» ثلاثة مقالات في مجلة «آخر ساعة» جمعت فيما بعد في كتاب بعنوان «فلسفة الثورة» والذي أقر فيه بضرورة تحرك الدولة المصرية في ثلاثة دوائر وهي: الدائرة العربية والدائرة الأفريقية والدائرة الإسلامية .

ويستشهد «أحمد سعيد» بالكاتب «ستيفنسو» والذي وصفه بالتجرد والموضوعيه والنظرة الحيادية، بل يراه من أفضل الذين حللوا شخصية «عبد الناصر» وكتبوا عنه ، لأنه قال: أن رؤية «عبد الناصر» وشخصيته، كانت نتاج تاريخ سابق وواقع حالي ورؤية مستقبلية، لأن الزعيم لا تصنعه الظروف، ولكن تصنعه مبادئه ورؤيته لها، وقدرته على حشد الجماهير من أجلها، ثم تلتف الناس حوله وتؤيده وتنفذ كل ما يطالبها به.

ويقول صوت يوليو:

قامت ثورة ٢٣ يوليو بمجموعة من الضباط الثوريين، وكان منهم الإخواني والشيوعي والمستقل، والإخوان أول من هللوا للثورة، وجميع طبقات الشعب انحازت للثورة لأنها كسرت حاجز الخوف وحاجز السلطة، وأن هذا البلد كان من المستحيل أن يفعل شيء لتغير الواقع، وايضاً قيادات حزب الوفد تعاملوا مع الثورة بحذر.. ورغم أن «مصطفى النحاس» و«فؤاد سراج الدين» لم يكونا في مصر

وقت قيام الثورة، إلا انهما بعد عودتهما إلى مصر، ذهبا إلى مجلس قيادة الثورة، وعرفنا أن «فؤاد سراج الدين» لم يكن يريد الذهاب لمجلس قيادة الثورة، ولكن «النحاس» باشا أقنعه وذهبا للقاء الضباط الثوار، وعندما علم اللواء «محمد نجيب» أن «النحاس» باشا أتى إلى المجلس، قام بتزرير الجاكيت وبحث عن الكاب، ونزل له في الدور الأول وقابلهما، ولكن «عبد الناصر» لم ينزل إليهما، وهذا موضوع آخر.. موضوع تاريخ ورؤية.

وبعد ذلك بدأت الثورة في التصفية الفعلية لباقي الأيدولوجيات السياسية، والشيوعيون كانوا أول من صفوا في شخص «يوسف صديق» ، بعد عدة أيام لدرجة أنه إنتشرت إشاعة بأن الثورة أمريكية، ثم تصفية «رشاد مهنا» عضو مجلس وصايا العرش، والإخوان فرحوا بذلك وإعتقدوا أن الأمور صارت لصالحهم ليحكموا، ولكن الضباط الذين قاموا بالثورة رأوا أنهم الأنسب ليحكموا، والأنسب هذه من وجهة نظرهم أو من وجهة نظر التاريخ فهذا موضوع آخر، سيذكره التاريخ فيما بعد، ثم تقلص العدد والأعوان والمساندين نتيجة أن التنظيمات الموجودة كلها، سواء الإخوان أو مصر الفتاة كانوا طامعين في أن يكون لهم نصيب في كعكه السلطة، ولكن الذين قاموا بالحركة كانوا إخوان وشيوعيين ومستقلين، وفي النهاية أصبحت الغلبة للمستقلين وقرروا أن ينفردوا بالسلطة..

ويؤكد «سعيد» بأنه لا يوجد أي تنظيم يمارس عمل سياسي جماعي، إلا ويكون أول هدف يفكر فيه ويسعى إليه، هو الإستيلاء على السلطة، لأن هناك فرق بين الدعوة التي يقوم بها تنظيم سياسي معين، في شكل حزب، فهذا التنظيم يريد أن ينمو وينمو ليصل إلى الأغلبية، هذا إذا كان في نظام ديمقراطي، وبين خلية تنظيم للضباط في ظل نظام عسكري، لأنه بالطبع سيحاول أن يقوم بإنقلاب من خلال تنظيمه داخل الجيش، وجماعة الإخوان في ذلك الوقت تحديداً كانو يلعبون سياسة وعسكر، وهذه هى حقيقة تنظيمهم السري.

ويقول أن شقيقه كان ضابط برتبة لواء، وأعتقل مرتين مع قيادات الإخوان، لأنه كان أحد المنظمين والمدربين.. ويسخر من مقولة أن جماعة الإخوان ليس لديها تنظيماً سرياً، أو ممن يدعي أن هذه طائفة شاذة عن فكر الإخوان .. بل يؤكد أن التنظيم السري حقيقة راسخة في عقيدة الإخوان، لأنه عانى منها في شبابه بسبب أخيه.. وجماعة الإخوان لهم تنظيم عسكري وعقائدي، ومع هذا لم يكن لديهم الحنكة السياسية الكافية للوصول إلى الحكم.

ويقول صاحب الذكريات:

لكن ظهرت العراقيل بعد قيام الثورة والتحدي أمام الثوار، ضد الإنتماء الذي ظهر من اعضاء جماعة الإخوان لأنفسهم ولجماعتهم، لأن هذا الإنتماء العقائدي كان يقابله وجهة نظر الثوار المستقلين، والتي كانت تتجسد من خلال المبادىء الستة الرئيسية لأهداف الثورة، والتي من المفترض أن ينفذوها، وحاول «عبد الناصر» أن يتسوعب بها جميع مبادئ التنظيمات المنافسة له لتنفيذها، وأخذ يتحرك في ثلاث دوائر الدائرة الأولى الإفريقية، ليس لأننا نتبع القارة الإفريقية فقط، ولكن من أجل مياه النيل فبدونها سوف نصبح شعباً من الشعوب المتخلفة، وأي رئيس دولة في حوض وادي النيل «يكح»، لابد أن نقول له سلامتك، ولو بني سداً مائياً، لا بد أن نبحث معه ما ينتج عنه من آثار، على حصة مصر من المياه، ولو تعرضت دولة من دول المنبع لخطر، تقلق مصر بسببه وتساندها ضده، والدائرة الثانية هي الدائرة العربية، لأننا نشترك جميعاً كعرب في تاريخ واحد، وفكر واحد، لغة واحدة، وعادات وتقاليد واحدة.. وكلما توحدت هذه المنطقة وتعاونت، نجحت في أن تحافظ على نفسها وتسود في عصرها، وكلما تفككت أضرت بنفسها وتأخرت، والدائرة الثالثة هي الدائرة الإسلامية، لأن الاسلام دين الأغلبية الساحقة للعالم العربي، و«عبد الناصر» قال في فلسفة الثورة: «أنه لا يتصور أن إجتماع الحجيج في يوم عرفة، مع كل ما له من قدسية متصلة بالذات العالية، إلا

أنه يجب أن يكون فرصة ليجتمع زعماء العالم الإسلامي، بما يمكن أن نطلق عليهم النخب الإسلامية، لكي يتشاوروا في أمور بلادهم، ولهذا قالها «عبد الناصر» : بأنه لابد أن يتحرك في الثلاث دوائر لتحقيق مصلحته الأمنية والإجتماعية والإقتصادية والدينية. وقد أصبح زعيمًا عربيًا وإفريقيًا وفي دول عدم الانحياز.

هذا بخلاف المفاوضات الخاصة بإعادة تسليح القوات المسلحة المصرية بعد أن لجأ «عبدالناصر» إلى الكتلة الشرقية، وحصول مصر على صفقة الأسلحة التشيكية، والتي كانت اشبه بالزلزال في العالم الغربي، لأن هدفه كان صناعة الدولة (الطوق) حول إسرائيل في محاولة منه لتحرير القرار العربي.

و«عبد الناصر» هو الذي صنع كاريزما خاصة به ولم تصنعه الكاريزما، ولهذا يقول: لا داعي للإقليمية الضيقة، فهل «نزار قباني» من مصر؟.. بالطبع لا.. وإنما هو يعتبر شاعر المنطقة بعد «أحمد شوقي».. ومصر بحكم إنها ثلث الوطن العربي فهذا وضع طبيعي لأن تكون متميزة في بعض الأشياء.

ويستشهد بمقولة «انتوني ناتنج» وزير الدولة البريطاني، والذي استقال فور إفتضاح تواطؤ بلاده، مع فرنسا واسرائيل، في تدبير العدوان الثلاثي على مصر، لأنه قال: أن صمود «عبدالناصر» بشعب مصر ومشاركة العرب له، أكدت مكانته في الشرق الأوسط، كزعيم أمة، وصانع للأحداث، من خلال قدرته الفائقة على قيادة الجماهير العربية، في مواجهة أعتى الاسلحة وأحلك الظروف.

ويقول الخبير الإعلامي:

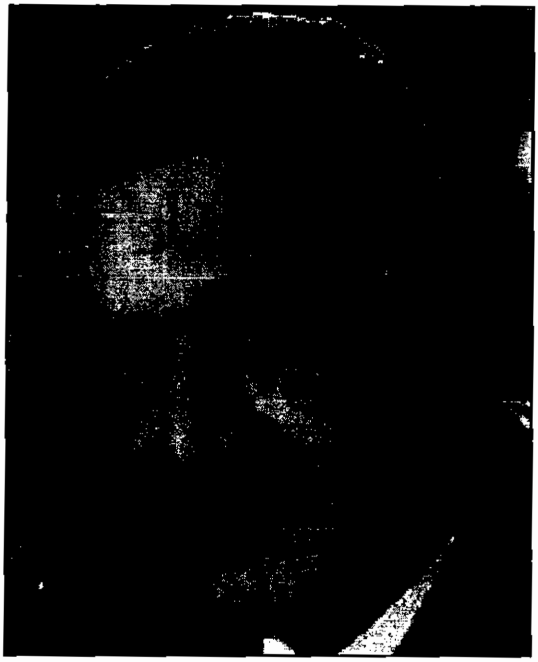
لهذا يجب الاعتراف أولا بحقيقة ما شهدته المنطقة العربية من تغيرات إيجابية، وتفاعلات وإنجازات مع ثورة ٢٣ يوليو، منذ اندفعت بمصر في حمل مسئوليتها القومية، من خلال الدعم المادي والمعنوي غير المحدود لثورات تونس والمغرب و الجزائر، حتى نالت هذه الشعوب استقلالها، ويوجد إنجاز

كبير جداً وهو وحدة مصر وسوريا، وأندماجهما في الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٨، كذلك تأميم «عبدالناصر» لقناة السويس والذي شجع العرب على استرداد ثرواتهم البترولية من الاحتكار الأجنبي لآبار البترول، بل «عبد الناصر» اعلن في احد اجتماعات الجامعة العربية: أن ثروات البترول هي أيضا سلاح في يد العرب تماما مثل الكثافة السكانية في مصر سلاح في يد العرب جميعاً، وإذا كانت مصر تملك الجيش الرئيسي في القتال ضد العدوان على العرب، فيجب أن تكون الثروات العربية سلاحاً في يد العرب، مما جعل خصوم «عبد الناصر»عربا وغير عرب، ينظرون إلى «عبد الناصر» علي أنه يريد أن يسيطر علي البترول العربي بدلاً من الغرب ومن عملائه ، وحينها ستزداد قدراته في الضغط علي السياسات الغربية العالمية، والوقوف ضد مخططاتها.. ثم محاصرة حلف بغداد قبل أن تقضي عليه ثورة العراق، وتحريض «نوري السعيد» رئيس وزراء الحكومة الملكية في العراق لبريطانيا، حتى تضرب مصر وتصفية «عبدالناصر» بعد تأميمه لقناة السويس، ثم تحذير أحد الكوادر الصهيونية البارزة، في حكومة واشنطن بضرورة القضاء على زعامته «عبد الناصر» حتى لا يسيطر على الأنظمة العربية الصديقة للغرب، كل هذا بعد أن أدركت الأنظمة المعادية، والدول الاستعمارية بخطورة السياسات التي تنتهجها ثورة يوليو، وحقيقة زعامة «عبدالناصر» الاسطورية للجماهير العربية، لأنه وقف بمنتهى القوة ضد جميع السياسات الاستعمارية في المنطقة العربية..

ولهذا صدقته الجماهير وأقبلت عليه وقاتلت معه ضد الرجعية والعمالة التي تمثلت في حلف بغداد، وضد العدوان الثلاثي، وضد الهيمنة والسيطرة الأجنبية على مقاليد البلاد وعلى ثرواتها، ثم طالبته بأن يكون رئيساً للجمهورية المتحدة لمصر وسوريا، ثم غفرت له هزيمته في يونية وتمسكت به ورفضت تنحيه عن الحكم.

بالاضافة إلى ثورة اليمن وتحرير جنوب الجزيرة وادخالهما في زمن القرن

العشرين، كل هذه الانتصارات التي بقيت رغم هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، عنواناً على صلابة وتأثير ثورة يوليو، وحقيقة إنتماء سياسات «عبدالناصر» إلى الشعوب، والتي جسدت عظمة وايمان الجماهير بزعامته يوم تنحيه عن الحكم، وحينما ذهب إلى مؤتمر الخرطوم بعد هزيمة يونيو، ثم يوم وفاته خرجت له الجنازات وحملت فيها النعوش الرمزية في جميع مدن وقرى الوطن العربي من الخليج إلى المحيط.



جمال عبد الناصر

يتذكر «أحمد سعيد» أول لقاء له مع «جمال عبد الناصر» حيث كانت خلال الفترة التى ألغى فيها «مصطفى النحاس باشا» معاهدة ١٩٣٦ ، وكان «سعيد» يعمل مراسلاً في الإذاعة المصرية مع الفدائيين، ولكن عرف الإنجليز اسمه وإكتشفوا من يكون، فأصطحبه مدير مصلحة التليفونات في بور سعيد المرحوم «إبراهيم الرداد» وكان من الوطنيين، وكانا يرتديان ملابس عمال الهاتف ويحملا بطاقاتهم وهربا إلى القنطره شرق ثم إتجها إلى العريش، وذهبا إلى معسكر القوات المسلحة واستقبلهم «وجيه أباظه» وأدخلهما «ميز» الضباط، وكان يوجد «ناصر» و«صلاح سالم» و«حسن إبراهيم» وكانوا يلعبون الورق وكان «أنور السادات» معهم وكنت أعرفه من صوره المنشورة في الصحف أيام محاولة اغتيال أمين عثمان، ودار حواراً بينه وبين أحد هؤلاء الضباط والذي كان «جمال عبد الناصر» .

ويذكر «سعيد» حينما كان يتحدث الضباط مع بعضهم البعض نادى عليه «السادات» قائلا «يا جمال» فنظر له «عبد الناصر» بغيظ شديد وكأنه لم يكن يريد لأحد أن يعرف اسمه أو أنه يأتي إلى هذا المعسكر، وسأله «عبد الناصر» : أنت بتعمل برنامج تسجل فيه العمليات فدائية، وبعدين ترسل بالتهاني إذاعيًا للملك بمناسبة ميلاد ولى العهد»؟ فقال له : «لأن الإذاعة والحكومة بدأت تمنع الرسائل الصوتية للفدائيين، وأنا وجدت كبار رجال الدولة والعالم كله يهنئون الملك بولي العهد، فإضطررت لفعل هذا، فهز رأسه وقال له :«ومالوا اللى تغلب بيه العب بيه».

ثم يذكر اللقاء الثاني بـ«جمال عبد الناصر» والذي كان ايضاً فى ذات المعسكر وفي نفس «الميز» فى معسكر العريش، حيث كانوا يقومون بالتسجيل للإذاعة مع القوات المصرية فى غزة، وكان معهم «صلاح سالم» الذى كان مسئولا عن بعثة الإذاعة فى غزة، ومن هناك تحركوا إلى العريش وتقابل مع «عبد الناصر» ودار بينهما كلام عام وعادى جدًا هذه المرة. ولكنه يذكر أول لقاء تم بينه وبين «عبد

الناصر» بعد ثورة يوليو، وكان في مسجد «خالد بن الوليد» فى ميدان الكيت كات، والذي أقيم على أنقاض كباريه «الكيت كات» وهذا الكباريه كان قائمًا بعد الثورة ولكن تم هدمه وإقاموا المسجد عليه حيث ألقى «عبد الناصر» فيه كلمة بعد إعلان فلسفة الثوره وبدأ يخطب، وقد جلس الجميع معه قبل بدء المؤتمر، وكان هذا اللقاء هو الإرهاصة الأولى لتأسيس صوت العرب.

ويؤكد الإعلامي الأشهر في الوطن العربي: بأن على الجميع أن يعرف أن «عبدالناصر حصل على تعليماً صارماً فى الكلية الحربية جعله يواجه بكل قوة من يعترض الثورة أو يعيق مشروع وحدة الأمة، ولذلك كانت أيامه كلها لم تخلُ من مواجهات كثيرها معلومة وغير معلومة وهذا ما يفسر سر الصرامة التى واجه بها «عبد الناصر» خصوم الثورة، وفي ذات الوقت يبررها عندما يقارنها بالدكتاتوريات العسكرية التى ارتكبت فظائع ضد شعوب العالم الثالث الذى كانت مصر جزءًا منه، لأن هذه الصلابة أضفت على «عبد الناصر» طريقة تعامله مع رجاله وأسلوبه فى اختياره لمعاونيه، وطريقة إتخاذه للمواقف الثابتة المنحازة لتحرر الأمة العربية وإمتلاكها لمقدرات شعوبها، وإنحيازه المطلق لبسطاء وفقراء هذه الشعوب، وأيضاً فرضت ثقافته وتقشفه وطهارة يده وتواضعه.

ويرى «أحمد سعيد» أن ابرز ما في شخصية الرئيس «جمال عبد الناصر» هو قدرته على التعرف على نوعية الأفراد التي تحيط به ويعتبرها إحدى مزايا «عبد الناصر» ويدلل على ذلك انه كثيرا جدا ما كان يذكر أسم شخص أمامه ، فلو كان لديه معلومات عنه يتخذ قراراته بناء على هذه المعلومات وحسب قدرة هذا الشخص على التنفيذ ، وإذا لم يكن لديه معلومات فلا يتخذ أي قرار تجاه هذا الشخص قبل أن يجمع المعلومات اللازمة عنه .

مستوى القيادة

ويضرب «سعيد» مثلا بـ «فؤاد الركابي» أمين عام حزب البعث العراقي قبل

ثورة يوليو(تموز) العراقية ١٩٥٨ وخاصة في المرحلة الأولى ، فما كان يعرفه «ناصر» عن «الركايبي» أنه مهندس من أبناء البيوت الراقية في العراق ، وكان يقدره كابن من بيوت الطبقة الأرستقراطية انقلب على هذه الطبقة وأنضم لحزب إشتراكي وناضل من أجل أفكار هذا الحزب لدرجة انه أُعتقل قبل ثورة تموز ١٩٥٨ بالعراق فكان له تقدير كبير واحترام خاص لدى «عبد الناصر» خاصة أن حزب البعث في العراق كان له قوة وكيان ويتمتع بقوة حقيقية في الشارع السياسي وأيضا في سوريا ولبنان والأردن ، لأن هذه الدول كانت مراكز رئيسية لحزب البعث قبل إنتشارهم في اليمن والجزائر وبعض البلدان الأخرى .. وهذا كان رأي «ناصر» في «فؤاد الركابي» قبل أن يقابله ويتعرف عليه، ولكن عندما جاء «الركابي» لاجيء سياسي إلى القاهرة وتعرف عليه تغير رأيه فيه ليس إلى الأسوأ ولكن على مستوى القيادة ومن زوايا معينة وليس من الزوايا التي كان يتمناها «عبد الناصر» .. لأن «ناصر» كما يراه «سعيد» كان لديه القدرة على تقديم وتفضيل ماهو عام على ماهو خاص ويدلل على ذلك بأنه عاش معه تجربة « الركابي » لحظة بلحظة .. فقد كان منبهر ومعجب به أو متكامل معه جدا ، ولكنه احس أنه مثالي جدا وأن الخريطة البشرية الإجتماعية والسياسية في العراق تحتاج إلى شخص أكثر بطشا ، أو يكون هو باطش بطبيعته لأن العراق بحكم أوضاعه الخاصة يحتاج إلى نوعية أخرى من البشر مثل شخصية «نوري السعيد» رئيس وزراء العراق الذي يختلف عن شخصية «فؤاد الركابي» الشاب التنظيمي الوديع الإداري القيادي المفكر ، وكان يرى أن خلقه ونبله ليس لهما فائدة مع هذه المنطقة ، وهذا نبه «أحمد سعيد» ذاته إلى عنصر مهم جدا مع الرئيس « عبد الناصر» أنه يفرز الشخص الذي يتعامل معه جيدا ليعرف قدراته ونقاط ضعفه وقوته .

أنماط مختلفة

ويؤكد «أحمد سعيد» أن ما حدث مع «الركابي» عكس ما حدث تماما مع تنظيم

«الضباط الأحرار» الثوري الذي قاده «عبد الناصر» مع انه كان ينظر إليهم نفس النظرة ، ولكنه عندما يقوم بتنظيم ثوري أو يدير حكم فطبيعة العملية تفرض عليه التعامل مع أنماط مختلفة ، ولهذا شمل التنظيم عضو شيوعي وأخر ليبرالي أو علماني وإسلامي وهكذا .. وبرغم هذا الاختلاف إلا أنهم كانوا يسعوا إلى هدف واحد ، مع اننا نستطيع أن نقول انهم لم يكونوا على قلب رجل واحد ، ولكنهم عملوا على تحقيق هدف واحد وهو تحرير وطنهم ، وهذا هو الوضع الذي قام به «عبد الناصر» أو فرض عليه .. ولذلك تجد الكثيرون يلومونه على إبقاء «عبد الحكيم عامر» طوال هذه المدة في الجيش ، ولكنه فاتهم أن «عامر» كان يملك عنصريين رئيسيين يرجحا كفته لدى «عبد الناصر»

أولا : صداقة عميقة الجذور..

ثانيا: مؤمن له الجيش من القلاقل والفتن والانقلابات ، وبالفعل كان مأمنه حتى عام ١٩٦٧ اما إذا كان جيش قوي أو ضعيف فهذا موضوع أخر ورؤية أخرى .. وبرغم كل الإنتقادات التي كان توجه إلى «عامر» كان «عبد الناصر» يتحملها .. لأن المهم لديه هو تحقيق الهدف ..

ويضرب «سعيد» مثلا في هذا الشأن بأهمية تحقيق الهدف لدى «ناصر» بالفترات التي تعاون فيها مع «خالد محي الدين» ثم إختلف معه على تحقيق الهدف ، وتعامله مع «يوسف صديق» وكان أكثر شيوعية من «خالد محي الدين» ، ولكنه نحاه جانبا في بداية الثورة .. وأيضا تعاونه مع «كمال الدين حسين» ولكنه نحاه بعد التعاون معه لفترة ، لأن «عبد الناصر عندما يختلف الشخص في إختلاف الهدف نجد «ناصر» يتدخل بحسم وبسرعة .

الخطة المطلوبة

ويؤكد «أحمد سعيد» بأن «عبد الناصر» كان لا يتدخل في أي عمل عكس ما يعتقده البعض ويروج بأنه كان يتدخل في كل كبيرة وصغيرة، لانه عندما كان يثق

في أحد معاونيه فيعتبر عمله عملية منتهية ويدعه يعمل بفكره ومنظوره هو، ويدلل على ذلك بأنه خلال مسيرته الإعلامية وهو يعتبر نفسه مسمار من مسامسر الآلـة الضخمة في النظام الناصري، وربما تدخل «ناصر» ست أو سبع مـرات في العمـل الإعلامي فقط .. وقد كان يرى هذا المسؤل وهو على رأس دولتـه في مرحلـة مـن أهم مراحل مصر والشرق الأوسط، كان لا يتدخل في العمل الإعلامي بعدما وثق فيهم وطالمـا أن التقـارير تشير إلى أن نتـائج العمليـة الإعلاميـة محققـة للخطـة المطلوبة.

وإنما كان يتابع ويناقش وليس بالصورة التي يتصورها البعض، ولهذا لم يجدوا خلال حكم «عبد الناصر» كلمة بناء على توجيهات الرئيس التي اصبحنا نسـمعها بعد «ناصر» كل وقت وفي كل مكان وعـلى لسـان كـل المسـؤلين .. وعنـدما كـان يتدخل أحيانا يكونوا قد تصرفوا تصرف شاطط بعض الشيئ، أو هو كان يريد أن يشرح شيئ بطريقة عامة معينة، ويريد أن يتخذ فيها قـرار بعـد شـهر أو شـهرين، ويحتاج إلى فرشة إعلامية ولا يريد أن يطلع أحد على السـر، انمـا يريـد أن يشـرح الهدف حتى يمهدوا الأرض، حتى لو كانت شطحاتهم ما زالت في إطـار إمكانيـة تحقيق الهدف، فلا يتدخل إلا إذا أحس أن هناك خطـر عـلى الجهـاز الإعلامـي، ويكون تدخله بالسؤال أولا: لماذا فعلوا هذا؟ وعندما يجيبوا إذا أقتنع إنتهى الأمر وإذا لم يقتنع يوجه إنذار، بإذا لم يتحقق الهدف فسوف يبحث الأمـر، وهـم دائمـا كانوا يعملون وفق خطة وكانت تبلغ بها الأجهزة المختصة للمتابعـة، ولـو كـانوا أكفاء تركوهم وإذا لم يكونوا أكفاء تبدأ الأجهزة المختصـة بإعـادة النظـر فـيهم .. ويرى «سعيد» أنها كانت نقطة هامـة جـدا في «عبـد الناصـر» وقـد تكـون السـبب الرئيسي في نجاح الجهاز الإعلامي المتمثل في إذاعة «صوت العرب».

حلف بغداد

وإستشهد «أحمد سعيد» بكلام الراحل الأستاذ «محمد حسنين هيكل» في قناة

الجزيرة بأن صوت العرب وصلت إلى درجة انها أصبحت بالفعل المحرك للشارع العربي بعد ما أصبحت جهاز مهول وأن الشارع في الأردن كان يتلقى التوجيه من إذاعة صوت العرب في القاهرة .ويذكر «أحمد سعيد» أنه في عام ١٩٥٥ وقبل وصول الجنرال «تمبلر» رئيس أركان حرب القوات البريطانية إلى الأردن ليعجل بدخولها إلى حلف بغداد ، انهم قرروا في صوت العرب شن حملة إعلامية لمنع دخول الأردن في هذا الحلف .. وبالطبع أي حملة إعلامية لها خطة ومطلوب منها حركة إستمرارية لتصعيد حماس ووعي الجماهير ، بحيث تصل إلى نقطة معينة لدى الجماهير وهى أن تخرج إلى الشارع وتناضل من أجل إيقاف هذا الشيئ وعدم تحقيقه . وعلى حد قوله كانوا لا يتحركون من فراغ لأن العملية ليست أن يتكلم شخص في الاذاعة ، ثم تخرج الجماهير في مظاهرة ، لأن من يقتنع بهذا سيكون من البلهاء ، ولهذا كانوا يتحركون بموجب تعاون كامل مع جهاز المخابرات المصري للشؤون العربية ومع التنظيمات القومية في الوطن العربي ككل .. إلى درجة انه من الممكن أن يحتج تنظيم من التنظيمات العربية على حملة إعلامية تقوم بها صوت العرب ، ويكون هذا التنظيم غير مستعد في هذا التوقيت للتعاون مع الحملة ولهذا يطالب بوقفها ، ويؤكد «سعيد» بأن «عبد الناصر» كان يقبل هذا الاعتراض ويوقف الحملة لأنهم لن يعملوا بمفردهم على الساحة ، ولو أن الشارع خرج بطريقة هوجاء من الممكن أن يضربه البوليس ويموت منه الكثيرين دون نتيجة ، لكن لو خرج الشارع بطريقة منتظمة فخسائره سوف تقل في مواجهة البوليس او الجيش ، ثم يكون وصل إلى تحقيق أهدافه وهذه كانت القضية الرئيسية في حملتهم الإعلامية ضد حلف بغداد .

فرط الثقة

وفي الحملة الإعلامية ضد حلف بغداد خاصة في الأردن كانوا يعملون بتقارير المخابرات المصرية ، التي كانت تطلعهم على الموقف بشكل كبير ، وبناء على هذا وضعوا الخطة التي تجعل أقصى يوم للحملة الإعلامية يوم جمعة، وبناء عليه يوم

الخميس مساء وجه «أحمد سعيد» نداء إلى الشعب الأردني وحدد لهم بعد صلاة الجمعة في الغد ضرورة خروج المظاهرات من جميع المساجد في الأردن (المدن ، القرى) وعليها الذهاب لحصار القصر الملكي ، بل وطالب المسيحيون وعلى رأسهم القساوسة أن يذهبوا إلى المساجد ليخرجوا مع إخوانهم المسلمين ومشايخ المسلمين والأئمة في مظاهرة موحدة . ويذكر هو بذاته أن تحديد المظاهرة يتم في وسائل الإعلام بالذات لأن التحديد هنا خطأ ، ولكنه يعود ويقول أنه كان نوع من أنواع فرط الثقة ، ولكنه كان متفق عليه مع « عبد الناصر » ومع المنظمات القومية والمخابرات المصرية .. وبعد أن أذاع «أحمد سعيد» التعليق مساء يوم الخميس وجد « سامي شرف» وزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية يتصل به تليفونيا ويقول له أنت عملت أيه الرئيس زعلان وصوته حاد وقال لي أطلب لي «أحمد سعيد» ، وحين بدأ «سعيد» في الشرح لـ «سامي شرف» وجده يقول الرئيس معاك على التليفون ..

وسأله الرئيس لماذا أذاع خطته على الهواء ؟ فهذا شغل مخابرات والتنظيمات الحزبية هى التي تحركهم وليس شغل إعلام وإن ما قام به خطأ لأنه نبه الشرطة والحكومة المضادة ومن الممكن أن تكون إستعدت بطريقة أو بأخرى واعتقلت جميع قيادات الشارع ، وحينها ستكون الجماهير مهزوزة لانها ستصبح بدون قيادات تحركها ، وانه بهذا فضح خطته وأظهر للعالم أن القاهرة تتدخل في الشأن الداخلي للأردن وإذا لم يحدث ما طلبه «سعيد» منهم فستكون هزيمة للجهاز الإعلامي ، ولو خرجت الجماهير بالخطأ ستكون ضحاياها كثيرة وبهذا القاهرة تكون إرتكبت جناية ..

وبعد ما انهى «عبد الناصر» كلامه ..

قال «أحمد سعيد» سيادة الرئيس أنا إشتغلت بناء على تقارير المخابرات والتنظيمات ..

فقال الرئيس هل التقارير اللي عندك أهم وأكثر من التقارير التي تحت يدى ؟ ما أنا عارف طالبين أيه وكاتبين إيه ، والمفترض أن تفكر حسب مصلحتك وهم يطلبوا اللي عاوزينه ويقولوا اللي يقولوه لكن أنت لابد أن تفكر وتراجع .

فقال «سعيد» سيادة الرئيس المفترض أنهم واثقين من تقاريرهم ..

فقال الرئيس مقاطعا : إذا لم يتحقق اللي طلبته ، أنا سيكون لي حساب معاك !!

وهنا أنتبه «سعيد» إلى أن التعليق سوف يعاد الساعة العاشرة والنصف مساء ..فقال سيادة الرئيس سوف أعيده في العاشرة والنصف مساء ..

فقال الرئيس لا .. لا تعيده .

أحمد سعيد : سيادة الرئيس سوف يكون تراجع منا .

الرئيس (بعد فترة) ده شغلك وانت حر فيه وإذا لم يحدث ما نريده لي حساب معك ، تصبح على خير .

وعلق «سعيد» على هذا الموقف قائلا : انه يعطي فكرة عن كيفية تفكير الرئيس «عبد الناصر» .. أولا : انه بيخاف على جهازه الإعلامي من أن يفقد مصداقيته في التأثير على الشارع العربي

ثانيا : تستنتج انه يعطي معاونيه ثقة في أنفسهم بأن لا يكونوا تابعين إلى أي جهة، وعليهم أن يفكروا فيما يطلب منهم أولا ثم يرونه هل يتماشى مع مقتضيات هدفهم الذي يسعون اليه أم لا ؟ وبناء عليه يتم التنفيذ .

ثالثا : كان يعطي معاونيه حرية الحركة في عملهم ، ولا يريدهم أن يعملوا تحت ضغوط من أي نوع، خاصة الضغوط الخارجية التي تخرجهم عن تركيزهم مما قد يبعدهم عن تحقيق أهدافهم.

سيطرة شيوعية

واقعة أخرى يرويها «أحمد سعيد» تثبت من وجهة نظرة أن الرئيس «عبد الناصر» لم يكن يتدخل في العمل الإعلامي .. ويشير إلى أنه في عام ١٩٦٥ كان الشيوعيون مسيطرون على المؤسسات الصحفية والفنية والثقافية، مثلا «خالد محي الدين » كان رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم ، و«علي الراعي» يرأس المسرح و«محمود أمين العالم» رئيس مجلي إدارة المؤسسة العامة للكتاب ، والدكتور «عبد العظيم أنيس» كان رئيس مجلس إدارة الكتاب العربي للطباعة والنشر ، لأنهم قاموا بمصالحات مع «عبد الناصر» بعد قرارات يوليو الإشتراكية وخرجوا من المعتقلات وإحتلوا هذه المناصب المؤثرة في الثقافة والإعلام إلى درجة أنه جاء منهم وزير في الدولة وكان الدكتور« اسماعيل صبري عبد الله» ..

وبدأ الكلام والدعايات المغرضة في بعض دول الوطن العربي بإطلاق شائعات بأن مصر ستصبح مثل «كوبا» وتنقلب شيوعية !! ، وجاء شهر رمضان في ذلك العام في شهر يناير وفبراير ، وأنتهز «سعيد» فرصة الشهر الكريم ، وبدأ يتكلم في الإسلام والحكم ورأس المال والإعلام ، وإختار ميعاد الإذاعة وقت سحور المشرق العربي الذي يوافق سهرة الشمال الإفريقي لدول «تونس والمغرب والجزائر وليبيا»، ثم بعد إذاعة أكثر من حلقة طلبه رئيس مجلس الأمة حينها «محمد أنور السادات» ، وكان «أحمد سعيد» عضو مجلس الأمة ويذكر «سعيد» الحوار الذي دار بينهما :

السادات : إيه اللي أنت بتذيعه ده ؟

سعيد : خير يا فندم .

السادات : أنت مش لاقي غير هذه المواضيع وتتكلم فيها ؟

سعيد : مواضيع دينية ونحن في رمضان .

السادات : بتتكلم في مواضيع الحكم وتقولي ديني ؟!! الدين يعني روحانيات .

سعيد : حضرتك فيه حاجة ضايقتك تحديدا ؟

السادات : مش أنا بس ده كمان الرئيس «ناصر» كنت بتسحر معاه ومش عاجبه، شوف لك موضوع ثاني اتكلم فيه !!

سعيد: يا أفندم أنا لا أرى فيها حاجة ، هل الرئيس طلب منعها ؟
السادات (يتراجع): لا لم يطلب منعها .

سعيد : يا افندم لو عايز منعها ما أسهل عليه أن يرفع السماعة ويطلب من د/ «عبد القادر حاتم » وزير الإعلام ونائب رئيس الوزراء ذلك .

السادات : يعني إيه ؟ كلامي مش عاجبك وما عرفشي أقولك توجيه أو أي حاجة ؟

سعيد : سيادة الرئيس سيادتك تعلم جيدا أن لي قنوات شرعية .. وهنا «سعيد» يقول انه يعرف جيدا انه يتكلم مع عضو مجلس قيادة الثورة ، ورئيس مجلس الأمة ومن الصعب الصدام معه ، ولكن الإثنان «السادات وسعيد» يعلمان جيدا أن «السادات» قام بتسجيل أحاديث إعلامية في صوت العرب عام ١٩٥٣ وتم منعها من جانب الرئيس «عبد الناصر» ، وحتى عندما أرادوا أن يسجلوا قصة كان كتبها «السادات» عن «عبد الناصر» بعنوان (هذا عمك جمال يا ولدي) حصلوا على إذن من «ناصر» لأنه كان ممنوع أن يظهر أحد من قادة الثورة في أحاديث إعلامية حتى لا تصبح العملية فوضى (!!) .

ولهذا يقول «سعيد» بمجرد قوله أنا لي قنوات شرعية .. سيادتك خليهم يكلموني .. ويعتقد «سعيد» أن ذكرى ١٩٥٣ ألقت بظلالها على الأثنين ..و يكمل «سعيد» لهذا «السادات» إنفعل وظهرت عليه النرفزة وقام واقف من على مكتبه ، وانهى المقابلة، قائلا : خلاص سأجعلهم يكلموك .

وعلى حد قول «أحمد سعيد» انه أخذها من قصيرها ، وقال أن شاء الله يـا افنـدم وإستأذنه وخرج من المكتب .

وفي المساء إتصل به الدكتور «عبد القادر حاتم» وزيـر الإعـلام حينهـا ودار الحوار الذي يذكره «أحمد سعيد» كالتالي :

د. حاتم : انت مزعل الريس «أنور» ليه؟

سعيد : مزعلتوش .. أنا قلت له أنا لي قنوات شرعية ..

د. حاتم : عايزين نرايحه تكلم في مواضيع أخرى .

سعيد : أعتبر هذا أمر وزاري ؟

د. حاتم : لا بل توجيه .

سعيد : إرسل لي ورقة بما تراه وسأنفذ سيادتك .

د. حاتم : أن شاء الله سوف ارسل لـك ورقـة وأغلـق السـماعة (ولم يرسـل). واستمر «أحمد سعيد» يقدم البرنامج الديني كما هو ، وفي تلك الفترة كـان الكتـاب الشيوعيين قد بسطوا سيطرتهم أكثر على الساحة الثقافية والإعلامية وبدأوا محاولة تقليص أي نشاط أخر لغيرهم فأزعجهم البرامج التي تأصل في الدين وينشره.

معركة إشتراكية

ويذكر «سعيد» أن الأستاذ «عزيز قسطنطين» كتب في أخبار اليوم مقاله بعنوان « نادي الإشتراكية هل يلعب ضده أحد» وكانت المقالة بالكامل ضد «أحمد سعيد» .وعـلى الفـور إتصـل «سـعيد» بـ«سـامي شـرف» وزيـر الدولـة لشـؤون رئاسـة الجمهورية ودار هذا الحوار بينهما ..

سعيد: عايزك تفكر معايا حتى لا أتخذ قرار بمفردي .

سامي : بخصوص مقال النهاردة؟

سعيد : نعم

سامي : إرمي في البحر .

سعيد : إزاي !! واحد عايز يوقع بيني وبين الدولة اللي بتقود الإشتراكية ، ديه جريمة ولابد أن أرد .

سامي : سوف تفتح معركة إشتراكية ماركسية أم مذهبية ؟

سعيد : لن أسكت ومستعد للمعركة .

سامي : أنتظر بعض الشيء يمكن أبلغ الرئيس لكن لا تنشر حاليا .

ولم يهدأ «سعيد» وقام با لإتصال بالأستاذ «محمد حسنين هيكل» .

هيكل : لن أقول لك رد ، ولكن كن جاهزا ونحن مستعدون في الأهرام .

سعيد : لن أرد في الأهرام فقط، بل في صوت العرب أيضا .

هيكل : بلاش صوت العرب .

سعيد : قسطنطين إستغل موقعه الوظيفي الحكومي ، وأنا أيضا سوف أستغل منصبي الحكومي لأني أدافع عن مصر ، وعن ثورة مصر ، وعن «عبد الناصر» بأنه مش شيوعي ، فأنا الأقوى وليس قسطنطين .

ويتذكر الأستاذ «أحمد سعيد قائلا : ثاني يوم كلمه الأستاذ «هيكل» وقال :

(على كل حال جهز نفسك الريس كلمني وقال انه سيخطب غدا في مجلس الأمة ، وبعد ما يخطب إبقى أتكلم).

ويذكر «أحمد سعيد» أن الرئيس «ناصر» تكلم في خطبته عن الحريات ، وان فيه أشخاص بتستغل الحريات إستغلال سيء ، وأشخاص تريد أن تكتب ولكنها

تخشى من الرقيب ، ومعتقده انها لابد أن تنافق الحاكم ، وطالب كل من يريد أن ينتقد فلينتقد ، ومن يريد أن يمارس حريته فليمارسها ، وأشار إلى الأستاذ «أحمد سعيد» قائلا : «عندكم زميلكم في المجلس أحمد سعيد» كان يذيع في الفجر أشياء دينية كثيرة ، وبعضها لم أكن موافق عليها .. وكنت أستطيع أن أقول لـ «حاتم: قل لـ أحمد سعيد» أن يغير أو يتوقف ، ولكني لم أفعل لأني لو منعت فبذلك أكون بأقضي على «أحمد سعيد» وبقيده وأكلبشه وهنا بقضي على صوت العرب وستفقد قيمتها، ولذلك فهو يقول ما يريده طالما إنه في الهدف المطلوب ... ولكن لو لعب ضد الهدف سيكون لي معه حساب ثاني ، ولهذا أتركه يعبر عن الهدف بالطريقة التي يراها لأنه عمله ، وإلا كنت بلبشه وأكتفه وأفقد صوت العرب قيمتها.

(ولهذا يؤكد أحمد سعيد أن «عبد الناصر» لم يكن يتدخل في عملهم كإعلاميين)!!.

قرار عنتري

ويصر «أحمد سعيد على منطقه ومبدأه ويضرب مثالا بواقعة أخرى يؤكد بها وجهة نظره عن الرئيس «عبد الناصر» ويضيف عندما ظهرت منظمة «فتح» في عام ١٩٦٥ ، المعلومات التي جاءت اليهم حينها انها منظمة إخوانية ، وفي تلك الأيام كان يوجد صدام بين الدولة وبين جماعة الإخوان ، وكانت الدولة متوترة بعض الشيء وصدرت تعليمات عمت على جميع وسائل الإعلام في مصر من صحافة وإذاعة وتليفزيون ، ممنوع منعا باتا ونهائيا أن يذاع أي شيء عن منظمة فتح لا بخير ولا بشر ، وكان الأمر واضح وصريح وهو التجاهل التام وكأنها لم تكن ، (وهذا كان من وجهة نظر «أحمد سعيد» أمر معقول ومقبول وأمر طبيعي ولم يكن قرار عنتري) فهذه دولة وعليهم حماية مصالحها .. واستمروا على هذا الوضع خاصة أن «أحمد سعيد» كان له تجربة مشابهة ، وكانت الإخوان طرفا فيها مع اللواء

«محمد نجيب» سواء التي كانت في ١٩٥٣ عندما تنحى الرئيس «نجيب» والشعب والإخوان أعادوه ، أو أزمة مارس ١٩٥٤ أو في محاولة إغتيال «عبد الناصر» في اكتوبر ١٩٥٤ من جماعة الإخوان ..

وعندما حاول «صلاح سالم» وزير الإرشاد القومي أن يقوم بحملة إعلامية ضد «محمد نجيب» وجماعة الإخوان ، وهم كإعلاميين في صوت العرب قالوا ليس لهم شأن بهذا ، خاصة أن الشارع في سوريا والأردن ولبنان كان ضد مصر ، وفي هذا التوقيت كان الاخوان والبعثيين قوتان يملكان الشارع السياسي في هذه الدول ، وكانوا ضد «عبد الناصر» ، ولهذا فضلوا أن لا يدخلوا معركة معهم لأن هذا شأن داخلي مصري ، وهم كإعلاميين المفترض أنهم قوميين .. وأثناء هذه الأزمة كانوا مسجلين (٦٠) حديث مع أخوان وبعث من قيادات هذه البلدان ، وهذا شيء عادي فالقومية العربية ليس لها دخل بإتجاه سياسي ،اشتراكي أو ديني ، وصوت العرب تتحدث عن القومية العربية ، والتضامن العربي ضد إسرائيل وضد الاستعمار .. لدرجة انهم كانوا يذيعون هذه الأحاديث المسجلة وقت ما كانت زعماء هذه الدول يخرجون بمظاهرات ضد «عبد الناصر» في عمان ودمشق وبيروت ، وتم مهاجمتهم من «صلاح سالم» لأنهم لم يردوا عليهم ويهاجموهم .. وعليه صعد «فتحي الديب» مؤسس صوت العرب الموضوع إلى الرئيس «عبد الناصر» في ذات اليوم ، ولكن الرئيس طلب أن يجنبوا صوت العرب بعيدا عن هذا الأمر ، لأن هذا شأن مصري داخلي ، وقال على صوت العرب أنهم أعلم بما يذيعوه ، وبما يؤجلوه وهم تعلموا الدرس وطبقوه على أخبار منظمة فتح .

قضية مؤجلة

ويستطرد «سعيد» استمر هذا الوضع بمنع إذاعة أخبار فتح على صوت العرب إلى أن جاء خبر من دمشق بوقوع عملية فدائية قامت بها منظمة فتح عبر الحدود السورية ، عندما تسلل (٦) فدائيين وقتلوا (٤) جنود لإسرائيل واستشهد (٤)

فدائيين .. وجاء بالخبر الأستاذ «محمد أبو الفتوح» رئيس وردية الأخبار ، ومؤشر على الخبر للعلم فقط وليس للنشر .

وتسائل الأستاذ «أحمد سعيد» بينه وبين نفسه ماذا يمكن أن يحدث لو أذاع هذا الخبر ؟

ووضع إحتمالات عديدة إذا تم نشر هذا الخبر .. ووجد أن أضرار عدم إذاعة الخبر على صوت العرب أكثر من الأضرار التي يمكن أن تقع عليه شخصيا لو أنه أذاعه وخالف التعليمات ، لأن الضرر هنا سيقع على شخصه ، أما عدم إذاعته فالأضرار ستقع على الجهاز الإعلامي كله ، لأن هذا الجهاز جهاز تحرير شعوب وليس لهم دخل بأن قضية فلسطين قضية مؤجلة ، لأن الظروف العالمية لا تسمح بقيام حركة نضالية تستطيع مقاومة اسرائيل وطردها مثلما حدث في الجزائر .. واصبح إعتقاده انه لابد أن يتم التعبير عن المقاومة وبقوة خاصة انه سقط شهداء .. وأن أقصى ما كان سيعاقب به هو قرار بالفصل ، ولكنه في ذات الوقت كان متأكدا انه لن يحدث لأنه يعلم عقلية «عبد الناصر» جيدا ، وإلا يكون بذلك قد قام بعملية إنتحارية دون نتيجة ، ولكنه كان يعلم جيدا انه سوف يتم لومه لوما شديدا ، وقد يتم التقليص من سلطاته ، ويتم إخضاعة لعملية رقابة ولكنها لن تطول أكثر من شهر ، وبعد ذلك سيدعه يتحرك لأنه يعلم أن «عبد الناصر» إذا قيد «أحمد سعيد» فلن يستطيع أن ينطلق ..

ثم تسائل وفكر في نفسه عن من يمكن أن يحضره «عبد الناصر» ليقيده به إعلاميا؟، وهو يرى أمامه ومنذ ١٩٥٣ إنتصارات إعلامية متتالية ، وحينها تأكد من انه لابد أن توجد حسابات لدى الرئيس، فتشجع وطلب من رئيس الوردية أن يذيع الخبر على مسؤليته ، وبالفعل تم إذاعة الخبر ، وقبل أن يصل إلى الاستوديو ليذيع التعليق بأن العمليات الفدائية جزء من الحل لبقاء القضية الفلسطينية قضية حية ، دون ذكر لمنظمة فتح مع انها جزء من الخبر.. وجد تليفون من سامي شرف ..

سامي : أنت مهبب إيه النهاردة ؟ الريس غاضب .

سعيد : منظمة فتح .

سامي : يا نهارك أسود (!!) الريس معاك .

عبد الناصر : جرى إيه يا أحمد ، هو أنا بأعطي تعليمات في البلد ديه ولا تنفذ ؟
سعيد : يا أفندم ده فيه شهداء ، وكمان إسرائيل ستذيع ..

عبد الناصر : يعني بتمسكني من إيدي اللي بتوجعني بالشهداء ؟

سعيد : لا يا افندم بس الشهداء (وكان سعيد يفهم معنى كلمة شهداء لدى الريس).

عبد الناصر: خلاص خلاص .

سعيد : يا افندم سوف أقول أن العمليات الفدائية هى النبض الحي الذي يمثل إستمرار للقضية.

عبد الناصر : ماشي ماشي

سعيد : سيادة الريس لو جاء خبر ثاني ؟

عبد الناصر (ضاحكا) : ماشي بس الخبر لا يكبر قوي حتى نرى معهم حل .
وهذا كان يعطي «أحمد سعيد» يقينا أكيدا عن شخصية «عبد الناصر» من خلال أسلوب تعامله معه ، بأنه إذا وثق في أحد معاونيه فإنه لا يتدخل في عمله على الإطلاق ، بل يعطيه حرية وثقة طالما يعمل من أجل الهدف الذي يبتغيه «جمال عبد الناصر» .

إيجابيات وسلبيات

ويرفض «سعيد» الصاق اي سلبيات لـ«عبد الناصر»ولهذا قال يوجد إنجاز وحيد لم يفعله «ناصر» وهو الديمقراطية فكان لابد من إعمال الديمقراطية.. شيء

آخر يشترك في خطأه بل وجريمته مع جماعة الإخوان وهو أن الإثنين كانوا طـامعين في السلطة وهذا الصراع أعاق مصر كثيراً ولكنه يحمل جماعة الإخوان الخطأ أكثـر من «عبد الناصر» لأنه حسب قوله لو مات المرشد العـام للإخـوان يوجـد عشـرة غيره لأن الديمومة موجودة.. ولكن بعـد مـوت «عبـد الناصـر» ممكـن أن تغلـق الديمومة كما حدث.. لأنه أيضاً ليس كل يوم سيظهر «ناصر».. وتساءل كم ضابط حكم في الوطن العربي وماذا صنعوا ؟.. إنما «ناصر» هـو الـذي صـنع التـاريخ!! و«توماس كارلاين» قال: «التاريخ يصنعه نخب»..

وعـن إيجابيـات «عبـد الناصـر» يقـول «سـعيد» أول إيجابيـة هـو حسـاب المساحات التـي تحـررت بـالكيلومترات في الـوطن العربـي عنـدما بـدأ يتحـرك «ناصر» كمسئول بمفرده بهد إنتهاء أزمة اللواء «محمد نجيـب» وجماعـة الإخـوان فالمنطقة العربية كان فيها إحتلال فرنسي وبريطاني وكان يوجـد إحتكـار لثـروات البترول وإحتكار القطن المصري ويوجد فقـر وجهـل وبطالـة .. لكـن الإنجليـز خرجوا من مصر والسودان ومن عدن والخليج والفرنسـيون خرجـوا مـن تـونس والجزائر والمغرب وبتأثير ناصـري وعنـدما تـوفى كانـت سـيناء محتلـة والضـفة الغربية والجولان والقدس والمنطقة العربيـة كلهـا دون أجنبـي فيمـا عـدا بعـض الجنود في سلطنة عمان وبعض الجنود في الإمارات والسعودية وليس هنـاك علـم أجنبي يرتفع على قاعدة عسكرية يـوم وفاتـه وبحسـاب كشـف حسـاب الأربـاح والخسائر بالكيلومترات لنعرف هذا الرجل كسبنا أم خسـرنا؟!! نحسـب مسـاحة الوطن العربي ومساحة الأجزاء المحتلة ونحسب حساب الأرباح والخسائر هـذا بجانب حق التعيين وحق العلاج والمساكن الشعبية والمصانع والسد العالي .. كل هذه مكاسب.. ولو ناصر كان إنتصر في١٩٦٧ ولو كان على طريقـة ١٩٥٦ حيـث كان متصور ذلك ووقتها الحال لم يكن الحال إنما حساب الأرباح والخسائر التـي نحاسب عليه «ناصر» كان سوف يكون من زاوية أخرى وليست زاوية الإنجازات

لأن الإنجازات المادية ضخمة جداً..

ويرفض «سعيد» الرأي القائل أن مصر هي التي أعطت الزعامة للرئيس «عبد الناصر» ولو انه كان خرج من أي دولة أخرى ما حقق شيء بل يؤكد أن «ناصر» هو الذي صنع كريزما خاصة به ولم تصنعه الكريزما ، ولكن بحكم أن مصر ثلث الوطن العربي فهذا وضع طبيعي أنها تكون متميزة في بعض الأشياء.. فتجد مثلاً رجل مهزوم بفضيحة في بضع أيام والناس في الحجيج عندما عرفوا خبر الهزيمة توقفوا وأخذوا يدعون لـ «ناصر» والأجانب كادوا يجنوا عندما عرفوا وقوف الشعوب العربية خلفه..

وعن إتهام الإعلام التعبوي الموجه الذي قام بتجميل صورة الرئيس عبد الناصر وإطلاق صفات كثيرة عليه مثل القائد والزعيم، رمز الأمة، بطل العروبة، ناصر يقول «سعيد» هو بالفعل كذلك... وبالفعل كان يوجد شيء إعلامي لأن الإعلام كان لـ«عبد الناصر» الذي يتهم بانه كان يعمل منه بطل أو زعيم كما يدعون.. ويتساءل من يستطيع أن يقول أن الإعلام هو الذي أمم القناة ؟...

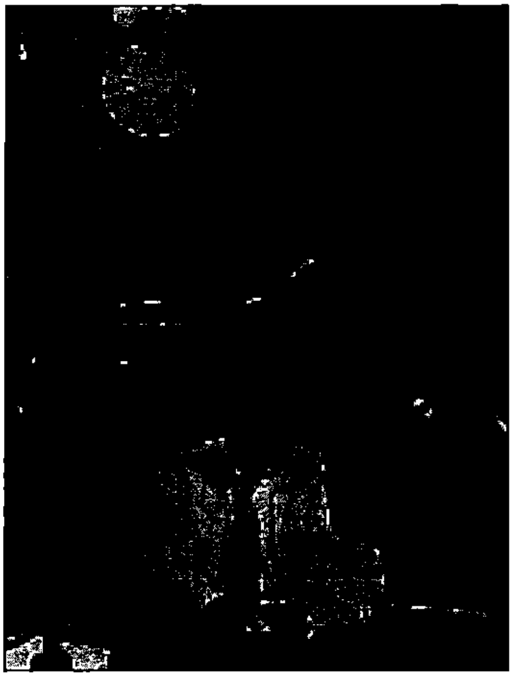
وهل الإعلام هو الذي فكر في الحياد الإيجابي وعدم الإنحياز؟..

هل الإعلام هو الذي كسر إحتكار السلاح وعقد صفقات مع الإتحاد السوفيتي ؟..

وهل الإعلام هو الذي أقام المصانع والسد العالي؟..

ويجيب بل الإعلام لم يصنع «ناصر» ولكنه كان يقدم الرئيس للجمهور وهناك فارق.. وصوت العرب كانت تقدم أعمال الثورة ولم تصنع «ناصر».. فالزعيم حسب رؤية علماء الإجتماع وعلماء السياسة هو الذي يكشف لجماهير معينة في لحظة معينة عن قدرته الحقيقية ويقودها نحو تحقيق أهدافها.. هذا هو الزعيم وقد كان «ناصر» ذلك الزعيم ..لأنه شاء القدر الثوري أن «ناصر» لم يكن ضابط عادي بل كان ضابط متميز يقرأ ويستمع جيداً وكان يتمتع بالعقلية الإسفنجية يمتص

ويعصر ويخرج الأفكار والمبادئ وهذا له مزايا.. وكان «ناصر» منذ أن وعى دوره ودور مصر وقدرها ليس في الستة مبادئ والثلاث دوائر فقط فسوف نجد أنه بدأ يتحرك بإندفاع أكثر من تعقل وحكمة لذلك كان لابد له من أهداف لأنه من البداية واضح فهو رجل محدود الدخل وليس رجل رأسمالي ولا من طبقة التجار ولا يفكر في طبقة رجال الأعمال وهو يفكر فقط في أن القطاع العريض الذي يراه في الجيش فقراء ومعدمون وهو تأثر بذلك.. فأول شيء فعله عندما وصول إلى السلطة هو تحديد الملكية الزراعية.. ويدافع عن ذلك بقوله: لأن الثروة كان فيها نظام الإقطاع مهما إدعوا غير ذلك، فقد كان يوجد إعتداء على العرض، وكان يوجد جلد ووجدت ثورات ضد البدراوية ووجدت تعذيبات آل الفقي في المنوفية ولذلك قرر «ناصر» أن الشعب هو الذي يملك الوطن.. وقال أن الذي يموت في الصفوف الأولى للحرب هو الجندي.. إذن هو صاحب الوطن.. ثم هاج رجال الإقطاع لدرجة أن رئيس الوزراء «علي باشا ماهر» إستقال ،وطلب منه أن يأخذ ضرائب تصاعدية فرفض وكل ذلك كان يحتاج إلى إعلام ليسانده ويؤيده حتى تعلم الجماهير بأفكاره وسياساته.



الإعلام الناصري..
منصات صواريخ

يقول «أحمد سعيد» انه يرفض إتهام إعلام ثورة يوليو بأنه كان مكبلاً بالتأميم والتكميم والرقابة مما جعله إعلاماً موجهاً يتلقى الأوامر والتعليمات لينفذها، دون رؤية أو إستراتيجية حرة مستقلة، لأن أي إعلام لمن يملكه... وأعلن تحديه لأي انسان يعمل في الحقل العام ويدعي أن الإعلام عام وليس لمن يملكه، ويضرب مثلاً بأي جريدة حزبية لا تستطيع أن تروج لمبادئ أخرى غير مبادئ حزبها، ولو حدث غير ذلك سوف يفصل رئيس التحرير.. ولهذا لا يجب التعامل مع العملية الإعلامية ببساطة، ولا نعتقد أن من يعملون في الإعلام أحرار، أو أنهم يقولون الحقيقة، أو انهم لابد وأن يقولوا الحقيقة.. ويؤكد على من يريد أن يقول الحقيقة فليقف في أي ميدان ويمسك ورقة في يده وليكتب عليها ما يشاء من الحقيقة التي يراها فهو هنا حر.. ولكن إذا أراد أن يذيع الحقيقة في تليفزيون أو ينشرها في الصحف فلابد أن جميع المسؤولين عن هذه الصحف والتليفزيونات أن يكونوا موافقينه في الرأي، حتى لو كان من باب الدجل الإعلامي.. ويؤكد على وجود دجل إعلامي «تلاف» لأنه عندما يتم مهاجمة الإعلام والإيحاء للبسطاء، والذين يأخذون ثقافتهم من أجهزة الإعلام المقروءة أو المسموعة أو المرئية ويقال لهم الإعلام الحر، أو الإعلام الفاسد أو الإعلام السلطوي أو الإعلام التعبوي أو إعلام موجه.. حينها يكون الدجل الإعلامي في أوج صوره، لأن الإعلام موجه من أوله إلى آخره، وكل جهاز إعلامي ينسب الحقيقة لنفسه وينكرها على غيره، وهذه ثوابت ولا داعي لصداع الرؤوس وخداع الناس ليتوهمون أن الإعلام حر ...

ويقول الزعيم الإعلامي:

لهذا كان على إعلام يوليو تأييد خطوات الثورة، ويعود بنا إلى التاريخ النبوي وتحليله لـ«غزوة بني النضير» قائلاً: عندما أمر الرسول ﷺ يهود بني النضير بأن يتركوا حي بني النضير ويرحلوا ولا يأخذوا إلا ما يستطيعون حمله فقط، وتم ذلك

بالفعل وهنا المسلمون أصبح لهم الحق في الغنائم.. ولكن النبي ﷺ لم يوزع الغنائم، وتمهل في التوزيع وعندما سألوا الصحابة عن الموضوع.. حدثهم النبي ﷺ بأنه عنده إقتراح، وهو إنه طلب من أهل المدينة أن يتركوه يوزع الغنائم حسب رؤيته ﷺ ووافق أهل المدينة على رأيه.. ونزلت آية في سورة الحشر تمتدحهم على هذا الموقف.. وهنا كان النبي ﷺ يرى أن مجتمع المسلمين إنقسم إلى قسمين: قسم إزداد ثراءً وقسم إزداد فقراً، فقرر أن يعمل نوع من أنواع العدالة الإجتماعية..

ويؤكد الإعلامي الكبير: على أن من ينظر إلى هذا الموقف يجده نظرة إعلامية.. فهذا الموقف هو عملية إقتصادية إجتماعية وفي الحقيقة عملية إعلامية أيضاً .. ولأن الرسول ﷺ هو القدوة، وأي رسول قدوة، وهنا يأتي دور الإعلام لأن الإعلام عليه التأييد.. وهذا ما طبق على الثورة ... لأن مصر حدثت بها مظالم قبل الثورة وكانت بلد محتلة من الإنجليز ٧٠عاماً، وكان على رأسها ملك فاسد يعين أحزاب، ويقيل حكومات ويعين حكومات ويشكل الحرس الحديدي يقتل به معارضيه، وحاول قتل «النحاس باشا» أكثر من مرة من خلال الحرس الحديدي، ويبق الأحكام العرفية، وكل هذا كان لابد أن ينتج عنه غضب، والغضب تبلور في تفكير رافض، ثم تبلور في تنظيم والتنظم في حركة... وشاء القدر أن هناك مجموعة من الضباط الأحرار شعروا بما يعانيه شعب مصر، فقرروا تغيير المناخ الفاسد وقد كان.. فالثورة شأنها شأن غزوة بني النضير، شيء سوف يلغي شيء أو يوقف شيء، فوضع طبيعي أنها تحتاج نوع من أنواع الدعوة والتأييد..

ويؤكد صاحب الذكريات:

ان هذا التأييد لابد وان يحتاج إلى تأميم الإعلام، حتى يساند ويؤيد ويدعم، ورغم أن أسباب التأميم كثيرة ومعلومة ولكنه أشار إلى واقعة مضحكة بعض الشيء ومع انها ليست السبب الرئيسي في التأميم ولكنها كانت القشة التي قصمت

ظهر البعير.. حيث كان يوجد سفاح يقتل الناس ويروعهم، وتم قتل هـذا السـفاح عن طريق رجال الشرطة.. فما أن كان من «مصطفى أمين» في جريـدة الأخبـار أن أخرج مانشيت كبير في الصفحة الأولى بعنوان «مصرع السفاح» ومـن أسـفله خبـر آخر «جمال عبد الناصر في باكستان» فأصبح الخبر يقرأ «مصرع السفاح جمـال عبـد الناصر في باكستان» لأنه تصادف أن «ناصر» كان مسافراً إلى باكستان.. فالتأميم من وجهة نظر صاحب الذكريات كان وضعاً طبيعياً، لأن العملية كما يقول: أصـبحت يا قاتل أو مقتول... «وأخرجوهم من حيث أخرجـوكم» و«عبـد الناصـر» أصـبح لديه السلطة ومن طموحاته أن يتم نوع من أنـواع التـأميم أو التعامـل مـع أجهـزة الإعلام بما يخدم أفكاره ومبادئه فكان لابد من التأميم، وتأسـيس جهـاز إعلامـي موجه إلى العرب ليفلسف العمل في النطاق العربي.

ولهذا قرر «عبد الناصر» في أوائل ١٩٥٣ إنشاء جهـاز مخـابرات ومـن ضـمن الذين أختيروا في هذا الجهاز اليوزباشي «فتحي الديب» وكان من سلاح المظلات ودارس أركان حرب، وهذا الضابط كلف بملـف الشـئون العربيـة، وعمـل خطـة للعمل وتقدم بها إلى رئاسته «زكريا محيي الدين»، والذي أرسلها بـدوره إلى «عبـد الناصر» الذي إسـتدعى اليوزباشـي «فتحـي الـديب» ودارت مناقشـة بينـه وبـين «ناصر» وهذه الوثيقة نشرها «فتحـي الـديب» في كتابـه تحريـر المشـرق العربـي، وطالب في أول بند من بنود خطة العمل، بإنشـاء إذاعـة تخاطـب الشـعب العربـي وتحمل إسم «صوت العرب»، ومن أهدافها أن تعطي هـذه الإذاعـة حـق مهاجمـة السياسات للحكومات العربية، إذا خالفت آمال الشعوب العربية، بما فيها حكومة الثورة المصرية وسياستها..

وأهداف صوت العرب حددت بما يـلي: تحريـر الـوطن العربـي لأنـه كـان مستعمراً إستعماراً فكرياً فيما عدا اليمن الشمالية، وسـوريا، ولبنـان، وفيمـا عـدا ذلك كان يوجد قوات إحتلال عسكري، والسعودية كانت ظاهرياً مستقلة إلا أنهـا

كانت بها قاعدة الظهران وكانت أكبر قاعدة أمريكية ومعها قاعدة أخرى.. واجتمع «ناصر» بهم وأعلن أنه سوف يحتاج صوت العرب في مرحلة قريبة جداً للضغط على بريطانيا لإدخالها في مفاوضات جادة مع مصر من أجل الجلاء.. وبدأت بالفعل صوت العرب في ٤ يوليو ١٩٥٣، وبدأوا يتحسسون طريقهم، لأنهم لم يستطعوا تحديد أسلوب الخطاب الإعلامي بتفاصيله أو تحديد هويتهم الإعلامية، أو أن يحددوا صياغة الإعلام، ولكنهم كانوا يعلمون بأن لهم رسالة محددة، وكانت مدة الإرسال حينها ثلاثين دقيقة يومياً..

ولكن بإهتمام «عبدالناصر» بالإعلام إرتفع بث صوت العرب إلى ٢٤ ساعة يوميا بعد أن كانت تبث ثلاثين دقيقة فقط، خاصة بعد ظهور كتابه «فلسفة الثورة» وتحديد «عبد الناصر» لحركة ثورته بالدوائر العربية والإسلامية والافريقية، ثم إنشاء إذاعة القرآن الكريم وإذاعة الشرق الأوسط وإذاعة بالعبرية وإذاعات بالفارسية وبالأردو ولغات ولهجات شعوب افريقيا خاصة الإسلامية منها، أو المرتبطة مع مصر في حوض ومنابع نهر النيل.. بجانب إذاعات بكافة لغات العالم الحية من الانجليزية والفرنسية والألمانية والاسبانية والروسية والايطالية لشرح وجهات النظر العربية في مختلف قضايا التحرر العربي سياسيا واقتصاديا..

وأشار «سعيد» إلى:

إشادة أكثر من مؤرخ أجنبي في إنشاء صوت العرب وأهمهم «توني شو» الذي أيّد هذه الفكرة وأثنى على أجهزة «عبد الناصر»، كما أن الإذاعة أداة أكثر سهولة في عبور الحدود أكثر من الصحيفة، وقد لعبت الإذاعة دورا مهما في التأكيد على زعامة مصر وزعامة «عبد الناصر»، والذي قام بجهد موازٍ بالتحرك في المنطقة العربية وأيقظ قدرة الجماهير العربية على الفعل وهذا كان ملمح من مقومات الزعامة.

وعن اولى معارك صوت العرب الإعلامية يقول صوت عبد الناصر: أن

عبدالناصر أنشأ إذاعة صوت العرب للدفاع عن أهدافه الثورية، وخاضت أول معاركها بعد إنشاءها بشهر ونصف فقط، بتبنيها للثورة المغربية، وكان ذلك حدثاً فارقاً في تاريخ المنطقة العربية، لأنه ولأول مرة تتبني حكومة عربية بوضوح وبصراحة، قضية الدعوة إلي ثورة دولة عربية أخري، وهناك فرق بين أن تؤيد ثورة، أو أن تقول للمستعمر إنك أخطأت، وكانت هذه علامة أخري فارقة، بعد أن وصلتهم أخبار الخلاف الذي حدث بين الرباط وبين باريس، حيث كان الفرنسيون طلبوا من السلطان «محمد الخامس» سلطان المغرب، إصدار قوانين تُميز المستوطنون الفرنسيون على المواطنين المغاربة، ورفض السلطان ذلك الأمر، فأرسلوا لإبنه يستميلوه إليهم بأن يعزلوا أبيه وينصبوه سلطان ورفض الإبن، فتم عزلهما (السلطان وإبنه) بل وأسروهما وأصدروا قراراً بنفيهما إلى جزيرة «كوستاريكا» ومنها إلى «مدغشقر»..

وتم تعيين «عمر بن عرفة» سلطاناً وكان عميل فرنسيا و«الجلاوي» باشا رئيساً للوزراء، كل تلك الأحداث كانت متسارعة، من ٢٠ إلى ٢٣ أغسطس.. ويذكر «سعيد» يوم خروج موكب السلطان من قصره إلى المطار، أعلنت قوات الإحتلال الفرنسية في الإذاعة تحذيرات شديدة، أنه على المواطنين غلق النوافذ والشرفات، وإذا فتحت أية نافذة أو شرفة سوف يتم إطلاق النار عليها، والشعب المغربي كان متعاطفاً مع السلطان، ففتحت بعض السيدات الشرفات وأطلقن الزغاريد، وفي المغرب تطلق الزغاريد في الأفراح وعند تحية الشهداء، على إعتبار أنهم يزفون إلى الجنة.. فأطلق الحرس الفرنسي النار على الشرفات وسقطت بعض الشهيدات وقد غضب «عبد الناصر» غضباً شديداً عندما علم بذلك فقد كان له موقف ثابت من تحرير الوطن العربي كجزء من تخطيط الثورة..ومن هنا بدأت صوت العرب معركتها في ٢٣ أغسطس وأظهرت الخط الثوري الكامل في الخطاب الإعلامي وفي الصياغة الإعلامية، بعد مقولة «عبدالناصر» الحاسمة لأنه قال: إننا لم نعزل الملك «فاروق» عن عرش مصر لأننا ضد الملكية كنظام، وإنما

لمفاسده ومعاداته لأماني الشعب، أما «محمد الخامس» سلطان المغرب، فملك تخلى عن عرشه لينضم إلى الشعب، ويرفض تكبيل فرنسا له، فهو قد إرتقى بنفسه من ملك يرث ملكا، إلى زعيم شعبي يخلد للأبد، وطلب دعم ثورة الشعب المغربي من أجل فرض عودة السلطان على فرنسا وتصفية الاستعمار الفرنسي..

وتوالت بعد ذلك العملية الإعلامية التي واكبت خطوات التثوير المصري للمنطقة العربية قاطبة بـ«تفجير الثورات» لدرجة أن القوات الفرنسية والبريطانية والإسرائيلية« المعتدية في ١٩٥٦ » إستهدفت محطات إرسال صوت العرب في أبو زعبل وضربتها بالفعل، دون أي هدف عسكري آخر... وتم إستخدام إذاعة المخابرات الخاصة بالثورة الجزائرية حتى تم الإصلاح، وكان مقدمو البرامج بالصدفة خارج مصر، في مهمة خاصة لتغطية إضراب إتحاد العمال العرب، في المنطقة العربية إحتجاجاً على عمال شحن نيويورك.. فطلب من الإذاعيين أن يقولوا صوت العرب من دمشق، صوت العرب من بيروت ومن عمان.

ويقول أحمد سعيد في نشوة وفخر مغلفة بالأسى: انه لم يرى أى وسيلة إعلامية تحاكي صوت العرب التي كانت تتبنى سياسات «عبد الناصر»، وكانت تعطي المستمع العربي معلومة ليتحرك بها الشارع العربي بقوة وحماسة غير مسبوقة ، وكانت قادرة على إخراج الجماهير إلى الشارع وتدعوهم إلى التعبئة الجماهيرية وحشد المظاهرات وتفجير الثورات، وكانت بمثابة القِبلة التي توحّد العالم العربي بأكمله ضد الاستعمار والطغيان، وبالحسابات الرقمية والموضوعية يؤكد أن أجهزة الإعلام الناصرية كانت تمتلك من القدرات الهندسية والبرامجية وأيضا التحررية ما جعلها في زمن الحقبة الناصرية خلال الخمسينيات والستينيات رائدة ومؤثرة على مستوى الوطن والعالم.

ويقول: يكفي الإعلام الناصري فخراً شهادة ثلاثة من أعداء العرب حينها أولهم الجنرال الفرنسي «جاك سوسنيل» حاكم الجزائر وقائد القوات الفرنسية

أثناء الثورة الجزائرية والذي أصدر قرارًا بإعدام أي مواطن يضبط وهو يستمع إلى إذاعة صوت العرب، وحكم المؤبد لمن يشترك في الاستماع معه، ولا يبلغ عن صاحب الراديو، وما قاله «انتوني ناتنغ» وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطانية في حكومة «انتوني ايدن» اثناء العدوان البريطاني الفرنسي الاسرائيلي على مصر في مجلس العموم البريطاني عقب بدء العدوان على مصر، «اننا لم نشترك مع حكومة فرنسا في العمليات الحربية في مصر شمال قناة السويس الا لتحقيق هدفين كبيرين طالما تمنت الحكومات في بلادنا تحقيقهما، اولهما حديث وهو تأميم «عبدالناصر» لقناة السويس وتهديده للملاحة الدولية ومصالحنا فيها، والثاني قديم ولكنه متصل ومستمر ومتزايد ومتفاقم وهو اذاعات «عبدالناصر» خاصة المسماه بصوت العرب وتحريضها المستمر لقتل جنودنا في «عدن» ومحميات جنوب اليمن وتهديد مصالحنا البترولية في الخليج ، وأيضاً ما قاله رئيس وزراء فرنسا خلال العدوان الثلاثي من أن حكومته مقتنعة تماما بأن مقاتلة الجيوش الفرنسية مع الجنود البريطانيين لـ«عبد الناصر» في مصر سيحقق بقاء فرنسا في الجزائر، وتصفية الثورة ضد فرنسا هناك، بما يوقف أي دعم عسكري أو اذاعي تلقاه هذه الثورة، طالما كان «ناصر» يحكم مصر ويملك هذه الاذاعة المسماة صوت العرب.

واصفاً وسائل الإعلام في العالم العربي بكافة أشكالها، ومهما قيل عن درجة حريتها إلا أنها محكومة بمصالح الملاك وبحسابات سياسية ولكنها للأسف معادية وليست في صالح المشروع العربي أو القضايا العربية وإنما لصالح سياسات التطبيع والتصالح مع إسرائيل، وتجميل صورة أمريكا التي تسعى إلى تجويع وإذلال الدول العربية وعلى رأسها مصر، وذلك لارتباط الأنظمة العربية وأصحاب رءوس الأموال بالمشروع الصهيوأمريكي في المنطقة، ولا ينفي وجود وسائل إعلامية تبدو جرأتها واضحة إلا أنها تلتزم بسقف من الحرية يحدد لها في تناول القضايا وعرضها، بعد أن أصبح الإعلام العربي يدعم الأنظمة السياسية

التي يرتبط وجوده بوجودها منحياً القضايا الإستراتيجية العربية والإقليمية جانباً، ولهذا أصبح إعلام موجه في الطريق الخطأ.

وعن الحرب الإعلامية بين صوت العرب وبين الإذاعات الأخرى يقول الخبير الإعلامي: أن فرنسا هالها ما حدث من تثوير الشباب في الجزائر، بعد مساندة صوت العرب للثورة المغربية، والبداية الإعلامية لصوت العرب للشعب الجزائري، أن قام الاستعمار بالتحالف مع الرجعية، بإنشاء أول إذاعة سرية ضد مصر وكانت باسم «مصر الحرة» وكان يديرها بعض المختلفين مع ثورة يوليو و«عبد الناصر»، وتلتها بإذاعة أخري ضد مصر ومن الدهشة والعجب والتحدي حملت اسم «صوت العرب» بل ووضعت هذه الإذاعة علي موجات صوت العرب بقصد التشويش ولخداع الجزائريين، وجاءوا بشخص يقلد صوت «أحمد سعيد» ويقول تعليقاته ولكنها فشلت، ثم بدأت إرهاصات الوحدة مع سوريا، وأنشئت حكومة «نوري السعيد» باشا في العراق الملكية إذاعة باسم «أمة العرب»، وبدأت حملة ضد الوحدة بين مصر وسوريا، ولكن بعد الوحدة بعدة أشهر، قامت ثورة تموز في العراق وأطيح بالأسرة الملكية وبحكم «نوري السعيد»، وألغيت هذه الإذاعة، والسعودية أيضاً أنشأت إذاعة في جبال جيزان جنوب غرب المملكة متاخمة للحدود اليمنية، وردّت مصر عليها بإذاعة سرية، وبسبب هذه الإذاعة حدثت هوجة حرب بين الطيارين السعوديين وانضموا لـ«عبد الناصر».

وجاءت المفاجأة كما يقول «أحمد سعيد» أن إذاعة إيران أصبحت تهاجم الوجود العسكري المصري في اليمن وتعلن أن عدد الجنود المصريين وصل إلي ٤٠ ألف جندي، وأن «ناصر» بدلا من يرسل جنوده إلي سيناء لحسم قضية العرب الكبري، بإسترداد فلسطين من المحتلين، أشعل حربا عربية عربية داخل الأراضي اليمنية، وترك إسرائيل تعربد، وبقايا جيشه الهزيل في سيناء، مختبئاً خلف قوات الطوارئ الدولية في سيناء وفي غزة وفي شرم الشيخ، وكان غريباً أن يصدر هذا الكلام عن إذاعة إيران، و«شاه إيران» كان معترفاً بإسرائيل وتوجد سفارة

إسرائيلية في طهران.. ثم أبلغ قسم الاستماع السياسي أن جريدة «الحياة» وكانت حينها تصدر في بيروت، ولها شبهات غربية وتمويل سعودي، ولبنان أغلب صحفها كانت مشتراة، أنها تردد نفس الكلام دون أن تنسبه إلى إذاعة إيران، وفي المساء أجهزة رصد الإذاعات أكدت أن الـ«العربية» أذاعت برنامجا عن الإذاعات السرية وذكرت إذاعة إيران، فقرر ناصر« أن تبدأ »صوت العرب« حملة إعلامية مضادة ضد جميع الأطراف العميلة والرجعية.

ويدافع «سعيد» عن هجوم الإعلام الناصري على بعض الدول العربية متمثلة في القيادة السياسية كأشخاص وليس مهاجمة سياسات قائلاً : أن الهجوم كان ضد السياسات فقط !! والمصلحة العامة هى التي كانت تهمهم فقط، ومع اختلاف «الحبيب بورقيبة » الرئيس التونسى مع «عبد الناصر» لأنهم هاجموه في صوت العرب بعد إغتيال «صالح بن يوسف» الزعيم التونسي عقب خلافه مع «الحبيب بورقيبة» على سير تونس نحو التوجه القومي او التوجه الاوروبي، ونقلت«صوت العرب» عن صحف فرنسية وبيروتية اتهام «بورقيبة» بالتحريض على الاغتيال، وأدى ذلك إلى مطاردة حكومة «بورقيبة» لكل من يستمع إلى «صوت العرب» بل وتدمير أي مقهى يدير مؤشره عليها، وقد أدى ذلك ايضا إلى تحجيم حكومة تونس للأسلحة والمعونات المرسلة من مصر لثوار الجزائر عبر ليبيا وتونس، وأصبحت الثورة الجزائرية في وضع حرج، ولهذا طلب ثوار الجزائر عدم مهاجمة «بورقيبة» ..

ويتساءل«أحمد سعيد»:

أليس هذا كان تدخلا في سياسة مصر؟! وفرض عليهم أن يواجهوا هذا الحرج ويقدمون نوعا من التنازلات والترضيات لحكومة «بورقيبة» وإستجابوا لان تونس كانت معبرا للسلاح والادوية اللذين يذهبان لثوار الجزائر من مصر ومعبراً للجنود الذين كانوا يتدربون في تونس ولذلك« بورقيبة » بدأ يضيق الخناق علي

الثوار الجزائريين بسبب هذا الهجوم وإضطرت مصر إلي ايقاف الهجوم..

ولهذا يؤكد «سعيد» أن العملية الإعلامية ليست هياجا وتهييجا بل عملية واعية وعقلانية ومدركة مايدور حولها، وما تقدمه.. وكانوا لا يفرحون عندما تخرج مظاهرة في عاصمة ما، ولكنهم كانوا يفرحون عندما تؤدي المظاهرة هدفها..

وعن هجوم صوت العرب علي الرئيس «عبدالكريم قاسم » يقول «سعيد»: هذا الهجوم بعد ما إبتعد «عبد الكريم» عن العناصر القومية والاسلامية واعتمد إعتماداً كبيراً على الشيوعيين ويرى أن هذا وضع طبيعي لانهم كانوا في فترة ١٩٥٨ في الوحدة مع سوريا التي كانت تتأثر كثيرا بما يحدث في العراق، أما الهجوم علي الملك « حسين » فيقول: انه كان وضعاً طبيعياً لان « عبدالناصر» كان يريد ان يحرر الوطن العربي من الاستعمار وعملائه ورؤوس الاموال المستغلة والاقطاعيين.

ويذكر «أحمد سعيد» موقفاً اخر، لأنه عندما دعا «عبدالناصر» للقمة العربية في مطلع الستينات وجد في لقاء الحكام الثوريين مع نظرائهم التقليديين ما يعرض الثورية للخطر، وعلق على هذا واتهم حينها بمعاداته للسياسات الناصرية الرئاسية، ولكن بعرض الامر ووجهة نظره على الرئيس استقر الرأي على ترك صوت العرب حرة في اذاعة أنباء القمة دون التعليق عليها مدحا او ذما، وقد طالب بذلك بعض الحكام العرب في اجتماعات القمة بفندق فلسطين بالاسكندرية، وجاء رد «عبدالناصر»، أن «أحمد سعيد» يذيع الأنباء التي تصله عن القمة، وانه لا يستطيع إلزامه بالتعليق عليها، ثم اضاف «ناصر» ضاحكا، اظن يكفي انه لا يهاجمها ويهاجم البعض هنا.

وعن تلاعب الإعلام بالمسميات في هزيمة يونيو ٦٧ يقول صوت عبد الناصر: أن هذا كان جزء من الإعلام و المسميات هى جزء من العملية الإعلامية، وما حدث بالضبط في ١٩٦٧ يؤكد أن النظام ككل قد سقط ولكن لو عملنا زووم علي

التفاصيل، سنجد أن الذي سقط سيناء والجولان والضفة الغربية والقدس الشرقية، ولكن باقي مصر لم يسقط وهو الملايين فسيناء من الناحية البشرية كانت - ١٠٠- ألف نسمة وكفاءتها الاقتصادية كانت محدودة والوادي كله كان سليماً بمصانعه ومدارسه، ومستشفياته والسد العالي والقناطر، ومن السهل ان يقف مرة أخري علي قدميه، ثم الشيء الثاني الذي سقط هو اسلوب النظام وليس النظام والهزيمة لم تكن بالمعني الحقيقي للهزيمة، فمصر لم تصبح مثل المانيا في الحرب العالمية الثانية، والهزيمة يراها تعبيراً فيه استهجان.. فلماذا لا يعتبرها نكسة أو علقة!!.. لأن أي دولة يمكن أن ينهزم جيشها بطريقة مهينة وسريعة، ولكن طالما الدولة سليمة ومن يقول انها هزمت سوف يصبح مجنوناً..

وهل لو انسان فقد احدي عينيه سيقول فقد عين ام يقول فقد بصره؟!. وفي ذات الوقت يبرئ صوت العرب من التهويل في البيانات العسكرية لأنها كانت تأتي اليهم من العقيد« حسني عبدالمجيد » وكان المسئول العسكري بالقوات المسلحة عن إيفادهم بالبيانات، عن طريق غرفة العمليات التي من طبيعتها أن لا تبحث عن الحقيقة بل تبحث عن الصالح لتعلنه للناس، لأن البيانات العسكرية لها رد فعل جماهيرياً وعسكرياً في الجبهة ودورالإعلام ألا يسبب لهم أي ذعر.

ويضرب المثل بإعلام أمريكا التي كانت معتمة علي أخبار حرب فيتنام إلى أن قامت قناة «فرايتي» بفضح الموضوع مع انها قناة منوعات وبعد أن يأس المراسل في فيتنام من أن القنوات الأخري لا تذيع الأخبار لأنها محكومة بالبنتاجون وبالبيت الأبيض، فأرسل بتقاريره لقناة «فارايتي» للمنوعات فأذاعت التقارير وانقلبت الدنيا.

ويقول: بالفعل الجيش أسقط طائرات إسرائيلية، ولكن قضيتهم كجهاز إعلامي توحيد قنواته كلها وتوحد التوجيه السياسي، لأنه كان يوجد دولة مهزومة بالفعل، وأنه أيقن أن معركة الممرات التي بدأت الأربعاء والخميس انتهت على لا

شيئ، واسرائيل تقترب من القناة، ومصر وافقت علي قبول وقف اطـلاق النيـران، وسوف تبدأ في إعلان أنباء الهزيمة..

ويتساءل ما هى مهمتهم كإعلام ؟..

ويجيب بتسـاءل أخـر: هـل يلطمـون الخـدود؟!، أم يجعلـوا الشـعب يتقبـل الهزيمة؟ مع الفارق الكبير بين ما كان في ٣ يونيه إلي يـوم الاربعـاء، حيث الخـط الإعلامي الساخن المتصاعد نتيجة لتعليمات معينة ما بين حربية وسياسـية وبـين الواقع والهزيمة...

ويكمل أن أهم ما كان يشغلهم هو كيف كانوا يستطيعوا وقف تداعي الهزيمـة الجزئية.. ويجيب بكل الثقة أن هذا هو عمل الإعلام لأنه ما اسهل ان يهزم جيش جيشا آخر يمثل قوة خارقة، أو ذكاء امام غباء، أو جدية امام تهاون، وامام هذا كان عليهم أن يجعلوا الشعب يتماسك ولا ينهار، وهو يتلقـي انبـاء الهزيمـة، حتـى لا يخرج يحطم في البلد او يحرق القاهرة مرة ثانية وألا تقوم جماعات جـاهزة بعمـل انقـلاب أو تسـرق البلـد، ولا يحـدث قتـال بـين عناصـر المشـير وبـين عناصـر «عبدالناصر» ..

ويستشـهد في إدارة الإعـلام المصـري خـلال النكسـة بـرأي« إريـك رولـو» الصحفي الفرنسي الشهير والخبير في الشئون العربيـة، بـان «صـوت العـرب» في الايام الاخيرة للمعركة وما تلاها كانت في قمة جودة العملية الإعلاميـة، وكـذلك رأي «روبن شوفينا » من الناحية الحرفية، وكيف جعلـوا شـعبا مهزومـا يتماسـك وظل الامن مستقرا. وكان عليهم في تلك الفترات العصيبة، هو كيـف يسـتطيعون وقف تداعي الهزيمة الجزئية، بعد أن تم إحتلال جزء من البلد؟ والإعلام عليه أن يحافظ على إرادة شعب حتى يقاوم هذا الإحتلال، خاصة أن الإتصال إنقطع بينهم وبين الدولة لمدة ٦٣ ساعة من صباح يوم الخمـيس رغـم أن في مكتبـه تليفـونين أحدهما متصل بالقوات المسلحة والآخر بمنزل الرئيس.. إبتـداءً مـن ٣ يونيـو إلى

يوم الأربعاء مع الخط الإعلامي الساخن المتصاعد نتيجة لتعليمات معينة ما بين حربية وما بين سياسية وبين واقع الهزيمة.

ويقول بمنتهى الحدة أن هذه هى مواصفات إعلام الحرب، الذي لابد أن يلعب دورًا مماثلاً للحرب النفسية، ويتذكر البيان الذى ألقاه بعد النكسة بسبعة أيام وتحديدًا يوم ١٣ يونيو حينما قال: علينا أن نثق فى الشعوب لا الحكام، وقد أحدث ضجة وأصبحت أزمه وهدد «سعيد» حينها بالاستقالة، لأنه لا يروج لعنتريات زائفة ولم يخون وطنيته، وما قام به فى إذاعة صوت العرب كان للمحافظة على معنويات الشعب والجنود الذين كانوا يجرون فى عراء سيناء، وكان بحوزة كل منهم راديو ترانزستور.. لأنه كان بداخله إيمان قوي بأن ما يفعله هو مهمه أكثر قداسة من تحقيق النصر نفسه فقد كان يحافظ على الروح المعنوية وعلى تماسك الجبهة الداخلية، لأنه حين يندلع حريق ما فى بناية ما يجب أن تكون مهمتك الأولى هى إنقاذ الأرواح، وأن تغرس بداخلها أملا في النجاة ثم تنقذ الممتلكات بعد ذلك.

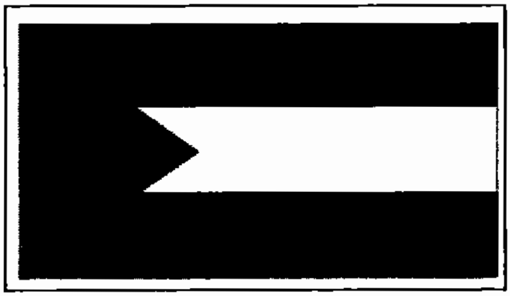
ويرد «سعيد» على إتهام الإعلام الناصري الذي قام بتشويه صورة الملك «فاروق» وشيطنته في حين قام بتجميل صورة «عبد الناصر» وأطلق صفات كثيرة عليه مثل القائد والزعيم، بطل العروبة قائلاً: هو بالفعل كذلك... مع الأخذ بفكرة أنه كان يوجد شيء إعلامي والإعلام هنا لمن؟

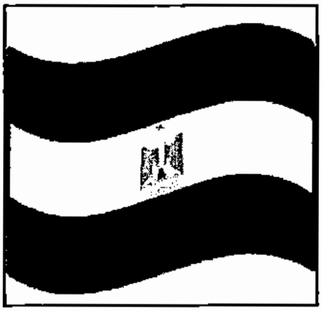
ويجيب لـ«عبد الناصر» الذي كانوا يعملون منه بطلاً أو زعيماً كما يدعون، ويتحدى متسائلاً: من يستطيع أن يقول أن الإعلام هو الذي أمم القناة؟، وهل الإعلام هو الذي فكر في الحياد الإيجابي وعدم الإنحياز؟، أم أن الإعلام هو الذي كسر إحتكار السلاح وعقد صفقات مع الإتحاد السوفيتي؟

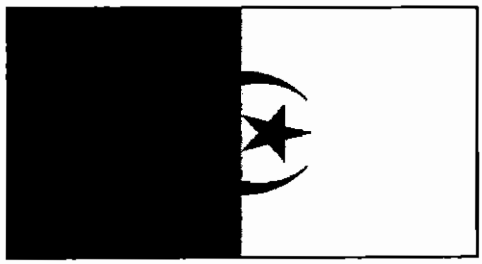
وهل الإعلام هو الذي أقام المصانع والسد العالي؟..ويؤكد انهم لم يصنعوا «عبد الناصر» ولكنهم كانوا يقدمون الرئيس للجمهور وهناك فارق.. لأن صوت

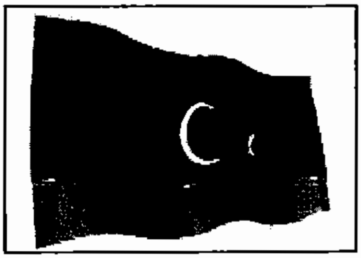
العرب كانت تقدم أعمال الثورة ولم تصنع «عبد الناصر».. لأن الزعيم حسب رؤية علماء الإجتماع وعلماء السياسة هو الذي يكشف لجماهير معينة في لحظة معينة عن قدرته الحقيقية للقيادة، ويقودها نحو تحقيق أهدافها.. وهذا هو الزعيم وقد كان «ناصر» ذلك الزعيم.. لأن الإعلام في عهد «عبدالناصر» ادى دوره في دعم تطلعات الشعوب العربية المستعمرة، للحرية والاستقلال خاصة أن الذي اعترف بذلك هم الاعداء من خلال الدراسات العلمية الموثقة في بريطانيا وفرنسا واميركا وروسيا. أما ما يخص الملك «فاروق» يقول صاحب الذكريات: أن كل عصر له حسناته وسيئاته.. والملك « فاروق » كان له معه موقف شخصي، ومهما قيل في الملك فأنه دائما يحكى هذه الواقعة.. فالملك بكل مفاسده في لحظة ما شعر انه ملك مصر ولابد ان يحمي مصر وابناءها وذلك في حادثة معينة، حيث كان توجد سيدة انجليزية تدعي سيستر « آن » وقتلت في الإسماعيلية والإنجليز اتهموا الفدائيين بقتلها وكان «أحمد سعيد» من ضمن صفوف الفدائيين وذلك في عام ١٩٥١ ولكنهم نفوا تلك التهمة وقالوا أن الرصاص الانجليزي الذي قتلها..

والملك « فاروق » قرر أن يذهب الفدائيون إلى الدير ليسجلوا ما يثبت ذلك، وقام الملك بإرساله للخارج ليذاع وينشر علي نفقته الخاصة، وهذا الموقف لا يستطيع «سعيد» أن ينكره علي الملك « فاروق » لأنه بهذا ينفي عن الفدائيين تهمة الارهاب وقتل المدنيين وبالتالي لا يريد أن يقول انه سيىء كله أو جيد كله شأنه في هذا شأن أي حاكم آخر. ولكنه الإعلام الذي وضعه بين نارين : نار الشيطان الذي إمتنع عن الامر الإلهي بالسجود لآدم قائلا: أنا خير منه، خلقتني من نار وخلقته من طين، أما النار الاخرى، فهي نار جلد الذات بما يعنيه هذا الجلد من البعض من يأس وانكفاء وإنبطاح وهو امر ضد طبيعة الحياة. ولهذا يقول عنه: ويل للحقيقة من الحمل الزائد للإعلام وويل للإعلام من الحمل الكاذب للحقيقة..









القومية العربية
وصراعها مع الرجعية

يقول «أحمد سعيد» الزعيم القومي العروبي:

بدأت الفكرة الأولى للمشروع القومي العربي مع بدايات عام ١٩١٥ وحتي عام ١٩١٨، وعقدت عدة مؤتمرات في باريس عن طريق بعض رموز النخب اللبنانية والسورية المهاجرة، ونادوا بضرورة استقلال الدول العربية وتحريرها من الاستعمار، وتبنوا فكرة «القومية» والمشروع القومي إلى أن ظهر تنظيم القوميين العرب، ثم جاء بعده حزب البعث العربي الاشتراكي كتجسيد للقومية العربية، وفرضت الفكرة نفسها على الأجواء السياسية، رغم أن معظم الدول العربية كانت ترضخ تحت وطأة الاستعمار، ورغم التخلف وغياب آليات القدرة على التنفيذ، وبسبب الإيمان السائد والعميق بالفكرة، تعرض بعض من هذه النخب للإعتقال وبعضهم للنفي، وبعد ما « تعرض البطل عبد الكريم الخطابي» للإعتقال ظهر البطل المصري «صلاح الدسوقي» لنجدته وتهريبه من المعتقل، وبطلاً أخر مثل «عدنان الفاسي» حين تعرض للإعتقال هرب إلى مصر، ثم تفاجأ الإستعمار بإندلاع مظاهرة في مصر عام١٩٢٥ إعتراضاً على ضرب الفرنسيون لسوريا ، وهبت الجيوش العربية لمصر وسوريا وليبيا والسعودية لتشارك في حرب فلسطين، كل هذا أكد أن المشاعر القومية هي مخزون وطني عربي لأبناء هذه الأمة، بل أن هناك دستوراً سورياً قديماً نص على أن سوريا جزء من الأمة العربية.

ويحكي صاحب الذكريات:

ومع تأمل المسار التاريخي لفكرة الوحدة في الوطن العربي، نجد مع دخولنا إلى القرن العشرين رأينا ظهور ملامح الوحدة إبداعيا حينما بدأت في قصائد الشعراء مثل «أحمد شوقي» و«حافظ إبراهيم» وغيرهما، بل تلك الفترة شهدت نزوحًا عربيًا شاميًا تجاه مصر وأدى رساله راقية في الصحافة والأدب والمسرح، لكن ما لفت الانتباه وبشدة ذلك التوهج والزخم القومي تجاه الوحدة خلال الخمسينات والستينات من القرن الماضي.

إلا أن ما شهدته المنطقة العربية من تبلور فكرة القومية العربية جاء مع المد الثوري لثورة ٢٣ يوليو، حينما تصدت مصر لحمل أماناتها القومية، من خلال الدعم المادي والمعنوي غير المحدود، في مساندة الشعوب العربية من تأييد ودعم ثورات تونس والمغرب و الجزائر، حتى نالت هذه الشعوب استقلالها، ثم الإتفاق على الوحدة السورية المصرية تحت مسمى الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٨ تحت راية الجمهورية العربية المتحدة، وكذلك لطمة «عبدالناصر» للإستعمار من خلال تأميمه لقناة السويس، مما شجع العرب على استرداد ثرواتهم البترولية وتحريرها من الاحتكار الأجنبي لآبار البترول، ومحاصرة حلف بغداد حتى قضت عليه ثورة العراق، بالاضافة إلى دعم ثورة اليمن وتحرير جنوب الجزيرة وادخاله إلى القرن العشرين.

ولكنه يقول: في الفترة التي أعقبت إنفصال مصر وسوريا، حدث نوع من الانكماش في الفكر القومي وللثورات القومية، ولكنها لم تستمر حتي قامت الثورة اليمنية، التي واجهت مشكلتان كبيرتان اولها تحدي الاستعمار البريطاني في جنوب الجزيرة، ثم مخاوف الأسرة السعودية من أن انتصار الثورة اليمنية، بواسطة مجموعة ضباط في الجيش اليمني علي حكم الأئمة، يمكن أن يشجع بعض الضباط في الجيش السعودي أوالحرس الوطني السعودي لعمل انقلاب، خاصة أنه خلال تلك الفترة، حدثت واقعة هددت الكيان السعودي وقتها لأن ثلاث أمراء لجأوا إلي مصر وتنازلوا عن ألقابهم وأيدوا سياسات «عبدالناصر» ضد الحكم السعودي، والواقعة الثانية أن مجموعة طيارين سعوديين حربيين جاءوا بطائراتهم لاجئين إلي مصر، وهذا يثبت إنه حتي الأسرة المالكة كان بينها عناصر تؤمن بالفكر القومي وبالتحرر العربي، ولهذا تصاعدت مخاوف الأسرة السعودية، وقررت الوقوف ضد الثورة اليمنية، وبدأت بالفعل من يومها الأول، بالإشتراك مع بريطانيا في دعم التآمر ضد ثورة اليمن، مما دفع ثوار اليمن إلي طلب الدعم العسكري من مصر، ولكن حدثت ضغوط من المثقفين السعوديين ومحاولات للضغط علي الأسرة السعودية لتجميد عدائها لـ«عبدالناصر» ، لأن مبادئ

«عبدالناصر» كانت تلقي هوي لديهم، ولهذا إزدادت مخاوف الأسرة السعودية.

وعندما أصبح الوجود العسكري المصري في اليمن أمراً أكيداً، زادت مخاوف كل من بريطانيا والسعودية، ولهذا بدأت بالفعل ما يشبه الحرب المنظمة، بواسطة مرتزقة من جنوب إفريقيا ومن بريطانيا وبعض الأجانب، ومن تم شراء ولائهم من اليمنيين المتواجدين علي الحدود الجنوبية والحدود السعودية مما جعل الوجود المصري يزداد في اليمن.. وبالفعل أصبح هذا الوجود يمثل خطراً كبيراً على أصحاب الرؤية المضادة للفكر القومي، وبالنسبة لبريطانيا قامت ثورة ضد الوجود البريطاني في جنوب الجزيرة وأيدتها مصر.

ويشير «سعيد» إلى أن قيام «عبدالناصر» بتأميم قناة السويس، إشعل المنطقة العربية بالكامل، لأن تأميم القناة معناه إمتلاك قرار استرداد الثروات ومصادر الإنتاج، وحينها بدأت حملة منظمة لإسترداد الثروات العربية ليس فقط البترول، بل الكوبلت والفوسفات في المغرب، وارتفع سعر البترول الضعف في ليلة واحدة بعد حرب ١٩٥٦، وخروج «عبدالناصر» من هذه الحرب بطلا وزعيما له كلمته في المنطقة العربية، وحينها تم اجتماع في جنوب بريطانيا لرجال مسئولين، معظمهم من المخابرات الأمريكية والبريطانية، وصدر قرار في صيغة أمر إلى شركات البترول العالمية، لرفع سعر البترول الضعف، وبدأ الحساب بنظام البرميل وليس بنظام حق الإمتياز، وهذا القرار صدر معه بند آخر، بألا تذهب الأموال إلي شركات البترول أو تتقاسمها شركات البترول، وإنما تذهب إلي الحكومات والحكام العرب التي تملك البترول، وبالطبع كان هدف أجهزة المخابرات الغربية، من رفع سعر البترول، هو وضع حاجز اقتصادي بين فكر «عبدالناصر» وبين شعوب المنطقة، لإغراقها في حالة ثراء متزايد، حتى يستحيل انتماؤها إلي فكر «عبدالناصر» ، الذي كان بدأ يتضح انه اشتراكيا من قرارات يوليو ١٩٦١ وما قبلها في التأميم والتمصير.

ويؤكد الزعيم القومي :

ان المعركة الثانية لصوت العرب كانت ضد حلف بغداد، بعد أن إشتد الصدام بين «عبدالناصر» وبين جماعة الإخوان، والإعتقالات التي طالتهم، وتزامن هذا مع الغاء الاحزاب، وحزب البعث وجماعة الاخوان في سوريا إستغلا ذلك للهجوم على «عبدالناصر» ، وقد كانا قوة ضاربة حينها هناك، لأن هذه القرارات، كانت تشبه قرارات «حسني الزعيم» و«الحناوي» و«الشيشكلي» فخرجت المظاهرات في سوريا ولبنان ضد «عبدالناصر» الذي كلف «أحمد سعيد» بالسفر إلى بيروت لأنه كان من الصعب السفر إلى دمشق لشراسة الحملة المعادية هناك، ثم استطاع دخول دمشق بشكل سري من بيروت، وشاهد المظاهرات ثم عاد إلى بيروت.. وأرسل التقارير والمعلومات عن طريق السفارة المصرية هناك، وإلتقى بجميع رؤساء التحرير ومالكي الصحف اللبنانية، وكان منهم «كامل مروة» الذي التقى معه أكثر من مرة، وتناقشا معاً حول سياسة مصر واتجاهاتها القومية، حيث كان الشائع أن «عبدالناصر» أمريكاني أو على الأقل سوف يحتويه الأمريكان، و كان «كامل مروة» ذو اتجاهات غربية ويعطي الغرب اهتماماً كاملاً تقديراً منه للقدارت الغربية، وفي احدى الجلسات اخبره «كامل» أن «سليم الدحداح» سفير لبنان في تركيا يريد مقابلته، وتقابلوا جميعاً في مطعم «ايدن روك» وكانت المفاوضات المصرية - البريطانية قد شارقت على الإنتهاء.

وسأله الدحداح: هل تعرف معلومات عن المقترحات المطروحة التي ستوافق عليها مصر تمهيداً للجلاء البريطاني؟

سعيد: آه طبعاً.

الدحداح: وهل تعرف إنه إذا وقع اعتداء على تركيا، ستعود القوات البريطانية إلى قاعدتها في مصر؟

سعيد: أنا سمعت بذلك.

الدحداح: هذا يعني أن اي عدوان على تركيا، ستعود القوات البريطانية إلى مصر، والاتفاقية تلزم مصر بالمحافظة على القاعدة صالحة لاستخدامها فور تعرض المصالح البريطانية أو حلفائها للخطر.

سعيد: نعم.

الدحداح: وهل بلغ القاهرة أن تركيا ربما تدخل في اتفاقية، مع إيران وباكستان لمواجهة الخطر الشيوعي، وبهذا أي دولة تتحالف معها تركيا عسكرياً سوف تدخل مصر معها في دائرة الخطر.

وانتهى اللقاء ورجع «سعيد» مع «كامل مروة» وفهم من الحوار معه ضرورة أخذ حديث «سليم الدحداح» بجدية، لأن يوجد اتفاقاً يتم بحثه بين بريطانيا وتركيا وإيران وباكستان. وتوجه «سعيد» إلى «عبدالحميد غالب» السفير المصري، وأبلغه بالحديث الذي دار مع «الدحداح» ، وطلب منه أن يبلغ القاهرة بالأمر، لكن السفير اشار عليه بالسفر إلى مصر، فقد تكون هناك تعليمات جديدة، وكان «صلاح سالم» تولى وزارة الارشاد القومي، وأبلغه بتفاصيل لقائه بـ«كامل مروة» و«سليم الدحداح» وطلب منه «صلاح سالم» العودة إلى لبنان، والتأكد من هذا الموضوع، ومعرفة هل سيدخل العراق في هذا الحلف أم لا؟ لأن من ضمن ما اشار به «كامل مروة» دخول العراق بينما «الدحداح» لم يشر إلى ذلك نهائياً، بل وطلب منه أيضاً محاولة دخول العراق بعد أن تكتمل الدراسة التي يعدها في لبنان.

ويقارن صاحب الذكريات، بين رئيس سوريا «شكري القوتلي» القومي العروبي، الذي تنازل عن حكم سوريا في سبيل رفع راية الوحدة، وبين «نوري السعيد» الذي إنضم إلى حلف بغداد، لضرب حركات التحرر الوطني، لأنه في ذلك الوقت نما إلى علمهم أن «نوري السعيد» اجتمع مع «عدنان مندريس» ، ووقعا بالأحرف الاولى على اتفاقية النيات في سرية تامة، وحينها تقدم «أحمد سعيد» بطلب السفر إلى بغداد إلى السفارة العراقية بواسطة السفارة المصرية في بيروت ،

ولكن رفض طلبه بحجة وجود اضطرابات ومشاكل في بغداد، وعلمت مصر أن بعض الزعماء العراقيين المعارضين لـ«نوري السعيد» بدأوا يجرون اتصالاتهم بـ«كمال الحناوي» الملحق العسكري المصري في بغداد، ويتحدثون عن رفضهم الحلف، وعليه لم يجد وسيلة لدخول بغداد الا من خلال اتصاله بالمعارضة.

ثم أعلن «نوري سعيد» دخول العراق حلف بغداد رسمياً، فأصبح من الأهمية أن يتواجد «سعيد» في العراق، وكان صديقاً للصحفي والشاعر اللبناني «صلاح الأسير» وسأله عن طريقة للسفر إلى الكويت، حيث لم تكن هناك خطوط مباشرة للعراق إلا عن طريق الكويت أو عمان، وأبلغه بوجود طائرة خاصة للشيخ «عبدالله المبارك» نائب حاكم الكويت في ذلك الوقت تحمل بضاعة خاصة به ومسافرة إلى الكويت، وبالفعل سافر «سعيد» ومعه «صلاح الأسير» بوصفه صديق «عبدالله المبارك» الذي وفر لهما التصريح بركوب طائرته، ووصلا الكويت وتقابل مع «عبدالمجيد مصطفى» مدير البعثة التعليمية المصرية، وكان عمدة للمصريين في الكويت، وابلغه سراً انه يريد دخول العراق، فأخبره أن هذا في منتهى الصعوبة، إلا من خلال الحاكم الشيخ «عبدالله السالم» أو نائبه «عبدالله المبارك» ، وفي ذات اليوم اخبره أن الشيخ «عبدالله المبارك» سيساعده في دخول العراق، بواسطة السفر بالطائرة، وحينها لن توجد امامه إلا مشكلة النزول في البصرة، وهناك إما أن يستطيع الدخول إلى بغداد ام لا.

ويقول الإعلامي الأشهر : في مطار البصرة وجد شخصيات من كبار المسؤولين المصريين يزورون العراق وهم «حسني نجيب» مدير الإذاعة السابق ومعه «محمد رجائي» أحد مديري شركة مصر للتمثيل والسينما، ودخل «سعيد» في زمرة «حسني نجيب» و«رجائي» على أنهم بعثه ترويحية مصرية، وجاءت التعليمات في مطار البصرة أن ينتظروا الإذن بالدخول ولكنهم فوجؤا بأمن المطار يخبرهم، بأنهم سوف ينتظرون حتى تعود الطائرة من بغداد، لتعود بهم إلى الكويت، فقال «سعيد» في حدة بالغة: من مدير المخابرات؟ أتصلوا به أو اتصلوا بفخامة الباشا «نوري السعيد»، وبأعلى صوت

قال: هل «نوري السعيد» يخشى أن يدخل «أحمد سعيد» بغداد؟.

ومع ذكر اسم «نوري السعيد» إرتبك الضابط وإرتعب وقال له: تفضل بالجلوس، وتركه وعاد إليه بعد فترة ليقول: أهلاً بك في بلدك، وتم ختم الجوازات وركبوا جميعاً الطائرة المتجهة إلى بغداد، ويضحك قائلاً: لكننا قضينا طوال المدة في جو يعلم به الله، بما فيها مقابلته لـ«نوري السعيد» مرتين ونزوله الشارع معه، ولكنه نجح رغم المتابعة والملاحقة، في أن يحصل على وثيقة موقعة من ١٢ زعيماً من زعماء العراق المعارضين، منهم ٤ رؤساء وزراء سابقين ضد إنضمام العراق إلى حلف بغداد، ثم واجه مشكلة عملية تهريب هذه الوثيقة، لأن الأجهزة التي كانت تتابعهم، عرفت بوجود هذه الوثيقة، فأعطى نسخة منها للملحق العسكري، تحسباً إذا تم ضبط النسخة التي معه، حيث كانت مصر دعت الدول العربية لإجتماع لمناقشة اعلان بغداد وإنضمامها للحلف، وتم لهم عملية تفتيش دقيق مستفز في المطار، ولكنه استطاع تهريب الوثيقة، وسافر إلى بيروت وأرسلها إلى القاهرة، وتم استدعائه إلى القاهرة حيث عقد اجتماع الدول العربية وقام بعرض الوثيقة وكانت صدمة كبيرة جداً لـ« فاضل الجمالي» مندوب العراق في الجامعة العربية.

ولكن بعد مؤتمر جامعة الدول العربية، تم توقيع بغداد على إنضمامها رسمياً إلى الحلف، ثم طلب «نوري السعيد» من «عبدالناصر» أن يرسل له مسؤولاً مصرياً على مستوى عالٍ، ليناقشه في جدوى الحلف، فأرسل له «صلاح سالم» الذي كان في الثلاثينات من عمره، ليجلس مع رجلاً كان داهية، ويمارس السياسة والعسكرية قبل ميلاد «صلاح سالم» الذي يتفاوض معه، ومن خلال المفاوضات نجح «نوري السعيد» في أن يشكك «صلاح سالم» في كل شيء.

وعندما قال له صلاح سالم : انكم تضحون بالدماء العربية التي تحاول الاستقلال والتحرر، وجميع الشعوب العربية رافضة لهذا الحلف، وكبار الكتاب يرفضونه.. وأعطى «صلاح سالم» امثلة لكبار الكتاب وذكر منهم اسم «أحمد

سعيد». وأراد «نوري السعيد» أن يهاجم إذاعة صوت العرب، لأنها القوة الضاربة ضد هذا الحلف.

فقال له: «أحمد سعيد» ده موظف عندكم، ويفعل ما يؤمر به، أين آراء «طه حسين» و«عباس العقاد» والدكتور «محمد عوض محمد» والدكتور «سليمان حزين»، وباقي عمالقة الفكر والأدب في مصر؟ لكن «أحمد سعيد» قابلني وسرت معه في الشارع وهو شاب صغير في سن ابني.

فرجع «صلاح سالم» إلى القاهرة، وكلام «نوري السعيد» قد ثبت في عقله فإستدعى «أحمد سعيد» وسأله عن عدد التعليقات التي يذيعها يومياً؟

فقال له سعيد: حسب الظروف.

صلاح سالم: أريد تعليقات «طه حسين» و«فكري اباظة»، و«محمد عوض محمد» وذكر له اسماء أقطاب الفكر والرأي من كبار الكتاب والأدباء..

سعيد: على عيني وراسي لكن هل سأذيع تعليقات هؤلاء؟ .

صلاح سالم: نعم.

سعيد: سنجري معهم احاديث؟

صلاح سالم: لا. بل تعليقات.

ويقول «سعيد» انه لم يكن يعرف ماذا قال له «نوري السعيد» ، وقال في نفسه دعه يخوض التجربة.. وبدأ كل يوم يكتب نقاط التعليق المطلوبة ويذهب بها إلى الدكتور «طه حسين» مثلاً ليحفظها ثم يقولها وهكذا مع «فكري اباظة» وغيرهما من كبار الكتاب، حتى تمضي تجربة «صلاح سالم» إلى نهايتها، وامتنع «سعيد» عن التعليقات نهائياً. وحينها بدأت المخابرات تؤكد في تقاريرها، أن مستوى صوت العرب بدأ يتدنى، وبدأت الناس تسأل عن تعلقات «أحمد سعيد»؟.. لأن مهنة التعليق الإذاعي شيء والأدب والفكر شيء آخر، وأيضاً لان شريحة المستمعين مختلفة، وبالطبع

كانت صورة من تقارير المخابرات تصل إلى «صلاح سالم»، وعندما قرأها هاج وثار واستدعى «أحمد سعيد».. ويقول «سعيد» عندما دخل مكتب «صلاح سالم» وجه إليّ ألفاظاً نابية بأمه وأبيه، وغضب «سعيد» وقام بالرد عليه، فانفعل «صلاح» وكان أمامه «جعران» من الذهب، فقذه به في رأسه فجرحت، وإشتبكا بالأيدي في منتهى القوة والعنف، فدخل عليهما ثلاثة ضباط من السكرتارية، وأنهوا الأمر.. وفي اليوم التالي أيقظته والدته من النوم لتخبره أن شخصا اسمه «صلاح سالم» على الباب يريد مقابلته، وصالحه وأخذه معه وأعاده إلى مكتبه.

ويقول صوت «عبد الناصر»:

بعد توقيع العراق لدخول الحلف، أراد الغرب أن يضم إليه دولاً أخرى مثل سوريا ولبنان والأردن والسعودية، ولكنه فشل بسبب الثورية العربية في المنطقة الشعبية، ثم أن السعودية تحفظت على الإنضمام، وسوريا كانت تضج بإرهاصات الوطنية المتوهجة، ونفس الأمر في لبنان، رغم إعلان «كميل شمعون» بأن لبنان مستعد لدخول الحلف، لكنه خاف من ضغوط سورية ومصر، ووجد الغرب مراده في الثغرة الأردنية لإختراق المنطقة العربية، وبالفعل أعلنت الحكومة الأردنية موافقتها على توقيع معاهدة حلف بغداد، وطار الجنرال «تمبلر» رئيس أركان حرب القوات البريطانية، لحضور توقيع الحلف والتأكيد على الوجود العسكري المساند للحلف، وعلى الفور تحركت صوت العرب إعلامياً لإفشال الخطة، وقامت بحملة إعلامية تصاعدية حتى اليوم المحدد لوصول «تمبلر»، بحيث يتحرك الجميع في مظاهرات جماعية وأجهزة شعبية وسرية قبل وصول «تمبلر»، وكانت الخطة أنه بمجرد انتهاء صلاة الجمعة تخرج المظاهرات وتبدأ المواجهات، وأيضاً وضعوا في حسبانهم الأخوة المسيحيين في الأردن، وطلبوا منهم التوجه إلى منطقة المساجد في هذا اليوم.ورغم انه كان يوجد تردد في تحديد موعد المواجهة، في يوم الجمعة، إلا أنهم تأكدوا من درجة الشحن الجماهيري والتنظيم الشعبي، فبدأوا برسم مراحل التوجيه

يوماً وراء يوم، إلى أن وصلوا إلى قناعة كاملة، أنه في يوم الخميس طلبوا أن تكون جميع خطب الجمعة عن هذا الموضوع، وأن يتوجه المسلمون إلى المساجد وتبدأ التظاهرات عقب صلاة الجمعة مباشرة.

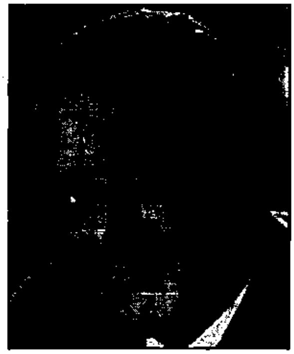
وجاءت الدعوة إلى التحرك والخروج صراحة في تعليق الثامنة مساء، وحددها «أحمد سعيد» بالتفاصيل بشكل واضح، وكان من الطبيعي أن هذا التحديد يزعج «عبد الناصر» ،فإتصل «سامي شرف» بـ«أحمد سعيد» وسأله على لسان الرئيس: من الذي اتفق معك على تحديد موعد المظاهرات؟ لأن التحديد بهذا الشكل به نوع من الجرأة، وهذا ما قاله له «عبدالناصر» عندما فتح الخط وحوّله عليه «سامي شرف»..

فقال له عبدالناصر: «أنت اتجننت؟ معقول تحدد الموعد والتفاصيل بالشكل ده؟ طيب لما أشوف ها يحصل إيه؟»، مع أن الحملة كانت كويسة جداً، لكن إيه اللي حصل لكي تحدد؟

سعيد: يا فندم أنا مطمئن لأن هناك تنظيمات وترتيبات.

عبد الناصر: حتى ولو كان ده صحيح، ما تحددشي.. وليه تسمع كلامهم وتطمئن لهم؟

وفي يوم الجمعة فرضت السلطات الأردنية، حصاراً على البرقيات التي تخرج من الأردن، إلى أن جاءت الأخبار من وكالة يونايتدبرس من بيروت، تؤكد خروج المظاهرات، وسقوط ضحايا كان في مقدمتها فتاة اسمها «رجاء أبو عماشة» ، وكانت أول شهيدة سقطت في المظاهرات ضد حلف بغداد، وحينها عاد الجنرال «تمبلر» بطائرته إلى لندن بعد ٦ ساعات من وصوله إلى عمان، ولم يوقع الحلف وكان هذا أكبر نجاح لصوت العرب في تأجيج مشاعر القومية العربية والتضامن العربي، إذ تم تحجيم حلف بغداد ومحاصرته حتى قضت عليه ثورة تموز ١٩٥٨ في العراق .






الصراع العربي الإسرائيلي

عن الصراع العربي الإسرائيلي يقول «أحمد سعيد»:

إنه صراع لم ولن يتوقف حتى بعد توقيع إتفاقية السلام، وإعلان «السادات» أن حرب أكتوبر أخر الحروب، وعند الحديث عن معاهدة السلام مع الكيان الصهيوني، لابد أن نضع في الإعتبار الظروف التي تمت فيها المعاهدة، لأن العرب جميعاً كانوا مهزومين هزيمة مخزية في يونية ١٩٦٧ ، وحرب الاستنزاف هى التي ردت جزءاً من إعتبارهم، بعد أن رفض الشعب المصري والعربي الإستسلام لنتائج الهزيمة، وأهمها كان عدم قبول الشعب المصري لفكرة التنحي، ثم بقاء «عبد الناصر» فى الحكم بإرادة شعبية جارفة، ثم ذلك النصر العظيم في اكتوبر ١٩٧٣ ، رغم حدوث «الثغرة» لأن البعض يحاول أن يقلل من هذا النصر بسبب الثغرة!! بحجة عبور بعض القوات الاسرائيلية إلى غرب القناة.. مع أن الحرب كر وفر، وهذا لا يؤثر على النصر العظيم الذي حدث، ولكن تسارعت الأحداث إلى أن وصلنا إلى توقيع معاهدة السلام مع العدو الصهيوني بسرعة لا داعي لها.

ولهذا لا يرى «أحمد سعيد» لمعاهدة السلام أية إيجابيات بمعنى الأمل، ولكنه لا ينفي أن كان لها إيجابيات مرحلية لكنها كانت مع حكم فاسد مثل الذي كان موجوداً، وتساءل: لماذا تمت المعاهدة إذن؟.. أليس للرخاء والتنمية، فأين هذا الرخاء وهذه التنمية مع هذه البطالة الموجودة؟!! ولماذا رفعت ثورة ٢٥ يناير شعار العيش المفترض بعد سلام ورخاء؟..

ويجيب.. هذا لأن المعاهدة كانت جزء من النظام الفاسد والعكس صحيح، ولا يتصور أحد أن أمريكا واسرائيل لديهما استعداد لظهور قائد مثل «عبد الناصر» مرة أخرى. والشعوب العربية أيضاً لا يجب أن تنتظر «عبد الناصر» أخر، ولا بد أن يتم الإعتماد على الشعوب ذاتها، وان تمنح العزة والكرامة وتوريث الحلم العربي بإسترداد فلسطين وإقامة دولة عربية فيها حتى لو كانت في شكل

منظمات سرية.. وإذا لم يسمح أي حاكم بذلك سيكون حاكماً مستبداً وسيناقض نفسه وسيكون حكمه بعيداً عن رغبة شعبه.

ويقول الإعلامي القدير:

ربما يفسر البعض أن هذه السرعة في إتمام السلام مع إسرائيل، كانت لإستثمار نصر اكتوبر، ولا شك أن «السادات» دخل معركة النفس الطويل مع اسرائيل المسنودة على الولايات المتحدة الأمريكية ١٠٠٪ ، مع أن اسرائيل لم تكن تستطيع فعل شيء لو كان قال لا، وهذه قاعدة في العلاقات الدولية، وأمريكا ظلت تلعب بنفس طويل حتى استطاعت تفكيك الاتحاد السوفيتي، إلا أنه قد سلم لأمريكا أمام الموقف التفاوضي مع اسرائيل، مع أنه لم يكن في موقف الحليف الاستراتيجي معها، بالرغم من أن امريكا لم تكن عادلة ولا منصفة في التعامل مع حليفها الاستراتيجي اسرائيل، لأنها ضغطت عليها لتلاقي «السادات» في منتصف الطريق، لذلك جاءت المعاهدة في صورة غير منصفة للعرب وخاصة بعدما أعلن «السادات» أن حرب أكتوبر هي آخر الحروب.

لان هذا لا يقال في العلاقات الدولية، لأن آخر الحروب كلمة انهزامية، أكثر من أنها تعطي الأمل للشعوب، ويستشهد بتجربة اليهود أنفسهم بعدما دمرت لهم دولة دينية منذ ألفي سنة تقريباً، لم ييأسوا بل ورثوا الحلم بالعودة وإقامة الدولة للأجيال اللاحقة لهم، ووضع حاخامات اليهود تراتيل دينية تحض على ذلك ومنها ترتيل يقول: يلتصق لساني بسقف حلقي أن نسيتك ولم أذكرك يا«أورشليم»، والحاخام كان يُعلم هذا الترتيل لتلاميذه اليهود حتى يورثوا الحلم جيلاً وراء جيل، إلى أن نجحوا بعد ألفي سنة من استغلال ظروف كثيرة، عالمية وعربية وأقاموا الدولة، بل نجحوا في أن يفرضوا على أكبر دولة عربية الصلح معها والاعتراف بهم كمغتصبين لفلسطين العربية..

وحتى لا يقول احد انه لا يوجد شيء ثابت في السياسة وأنه يناقش قاعدة ثابتة يقول: بالفعل هى قاعدة ولكنه لا يناقشها بل ينظُر إلى نتائجها، لأن «ميكافيللي» وهو استاذ السياسة وأيضاً المثل الأعلى لحكام العالم، وضع قاعدة تقول: ليس هناك عدو دائم أو صديق وفي... ويوافق «سعيد» على أن عدو اليوم قد يكون حليف الغد، وان السياسة الخارجية تدور في هذين المبدأين، والنبي ﷺ تعامل مع المؤلفة قلوبهم ودفع لهم أموالاً حتى يحيدهم، ووافق على صلح «الحديبية»، بما فيه بعض الشيء من الإمتهان للمسلمين، وظل عدة أعوام في المدينة لا يقاتل، إلى أن أتم الإستعداد وجاء له الإذن بالقتال.. فالقضية ليست المواجهة بل من يحارب ولماذا الاستسلام والخضوع والاطمئنان والركون؟

ويرفض القول بأن مصر بالسلام تستطيع أن تلتفت لمصالحها، أو أن الاتفاقية كانت حتمية لأن امريكا تدخلت لتوقف الجيش المصري في سيناء، ولم يكن في استطاعته استعادتها بالحرب مع أمريكا، لأن ليس معنى أن جيل الستينيات والسبعينيات تقبلا الهزيمة، وتدخلت امريكا في الحرب وصنعت الثغرة أن نقول إنها آخر الحروب، بل نعلن إننا نوقع إتفاقية، وألمانيا واليابان وقعتا اتفاقية استسلام ولكنهما الآن يفوقان الاقتصاد الامريكي.

ويعود بنا صاحب الذكريات إلى ديسمبر ١٩٥٣ عندما عقد «عبد الناصر» مؤتمراً دعا اليه اساتذة الجامعات المتخصصين في العلاقات الدولية، وسفراء مصر في الخارج سواء القائمين بالعمل أو من كان منهم بالمعاش، وكان قد صدر كتابه «فلسفة الثورة» وحدد بأننا عرب، مسلمين، أفارقة، ولم يكتفي أن يقول هذا فقط لأن الدولة باقتصادها وفكرها وامكانياتها البشرية والاقتصادية، لم تتوقف عند هذا، ولابد من تحديد ماذا تريد الدولة؟. وهذا يمثل خططاً ومسيرة وأهدافاً ومن الطبيعي أن مصر تعيش على نهر النيل بالدرجة الأولى ثم على طاقتها البشرية، وتم

طرح كل هذا على أعضاء المؤتمر، وطلب منهم أن يحددوا من واقع معايشتهم وتجاربهم ودراساتهم التاريخية، خطاً رئيسياً لسياسة مصر الخارجية.

وكانت قواعد هذه السياسة وثوابتها، أن هؤلاء المتخصصون خرجوا بقرارات وتوصيات، وهى أن نرتبط ونوطد علاقاتنا بالدول التي تتشابه معنا في المشاكل، وكانت تشبهنا وبدأت خطوات التطوير، واعتبروا سوريا هي الدولة الأقرب إلى مصر في هذه العلاقة، ولهذا قامت الوحدة معها بعد ٥ سنوات من هذه التوصيات، وهذا كان يمثل نضج التفكير في العمل الخارجي.. وعند اختيار دولة آسيوية كانت الهند ولم يختاروا باكستان الدولة الإسلامية، وبعد فترة تم تحالف «نهرو» مع «عبد الناصر» و«تيتو»، فيما سمى بدول عدم الانحياز، ونشاط باندونج والكتلة الآسيوية الافريقية، والزخم الوطني الثوري الذي ظهر خلال الخمسينيات والستينيات، والذي حرر معظم دول أفريقيا وآسيا من الاستعمار.. وكانت التوصية إذا نمينا علاقاتنا مع هذه الدول سنحصل منها على خبراتها وتساعدنا في التحرك سواء في المجال العربي أو الاسلامي أو الحضاري.

ويعترف قائلاً:

رغم أن هذه السياسة لم تتجنب الصدام مع فرنسا وبريطانيا، وكانتا قوتين كبيرتين، فقد تم وضع خطة السياسة الخارجية على اعتبار أن مصر محتلة من بريطانيا، لأنها لم تكن وقعت اتفاقية الجلاء، وبريطانيا كانت أخذت في الاعتبار أن مصر دخلت في خصومة شديدة مع فرنسا بسبب نفيها وعزلها لـ«محمد الخامس» سلطان المغرب، وأن المعسكر الغربي الرئيسي حينها، كان يتشكل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، ومصر فقدت فيه فرنسا، وبالطبع ستختلف ١٠٠٪ مع بريطانيا عندما تطالبها بالجلاء.. إذاً الحليف الطبيعي لمصر سيكون أمريكا، وبالطبع هي لها طموحات بأن ترث الامبراطورية الانجليزية في المنطقة، ولها مصالح بترولية ومصالح استراتيجية في قناة السويس.. ثم لم تكن أمريكا الحليف الأول لاسرائيل في

هذه الفترة، بل كانتا فرنسا وبريطانيا والسلاح الرئيسي للجيش الإسرائيلي كان فرنسياً، فاتخذت مصر قرارها بتجنب الصدام مع امريكا، بل السعي حثيثاً لإشتراكها في عمليات المفاوضات المصرية الانجليزية بأي صورة من الصور.لكن سرعان ما تم الارتماء في أحضان السوفييت ولعن كل ما هو أمريكي بما جر علينا ويلات كثيرة، والسفير «فتحي رضوان» هو الذي طرح فكرة التعاون مع السوفييت معللاً ذلك بأننا إذا كنا نتجنب الصدام مع الامريكان فلنحاول فتح الباب مع السوفييت دون أن نزعج أمريكا، ودارت المناقشات وتوصلنا إلى أن القطب الشيوعي يجب أن يكون محل اعتبار في تلك المرحلة لأنه من الممكن في مرحلة قادمة أن نصبح خصوماً لأمريكا. مع انه يعترف بأن السياسة الخارجية مد وجذر وليست عنترية، ولكنها أيضاً ليست انهزامية، بمعنى أن نكون انهزاميين..

ويصف جيله بأنه كان جيلاً مهزوماً في ١٩٦٧ ورغم هذا لم يستغلوا تضحيات الشهداء في ١٩٧٣ وبطولاتهم وانتصارنا وسلموا لإسرائيل، ولهذا لن يلقي العجز والقصور وعدم القدرة على التفاوض، واختيار حليف امريكي غير صادق معنا.. ثم نفرض كل هذا على الاجيال القادمة.. أي جيل الهزيمة يفرض على المستقبل جريمته بهذه المعاهدة.

ويرد الإعلامي الشهير على من يرى أن معاهدة السلام كانت أمراً حتمياً، لوقف نزيف الدم المصري، وإهدار الموارد على حروب لن تنهي على اسرائيل مستهجناً: بأن الزبال مع أنه يؤدي مهمة رئيسية للمجتمع، لكنه لو حكم على ابنه ليصبح زبالاً مثله، هنا يكون حكم على عائلته بأن تظل محلك سر، لكن لو فتح الفرص أمام ابنه قد يخرج علينا «زويل» آخر! ولكن يؤكد أن جيلهم حُكم في ظل نوع من أنواع العجز والقصور كما حدث في ١٩٦٧ وتداعياتها وصولاً إلى كامب ديفيد ومعاهدة السلام.. ويرى أن هذا الجيل المهزوم حكم على الأجيال التي تليه بالهزيمة ليتقبلها ويستمر فيها.. وإلا ما الداعي لقيام ثورتي تونس ومصر في يناير ٢٠١١.

مؤكداً انهم جيل لم يريدوا الإعتداء على أحد بل كانوا يريدون حقهم وحق العرب والأمان للجميع وهذا الأمان لن يأتي من اسرائيل ولا أمريكا، ولا أي دولة في الغرب لأنهم يحتاجون البترول العربي ، هذا بخلاف الممرات المائية ونحي جانباً العداء الديني والعنصري، وقال هم يريدون التحكم في سعر الشراء والبيع للبترول.

ولهذا يقول «سعيد» تم زرع اسرائيل في المنطقة العربية، ويتم مساعدتها ومساندتها من الغرب، الذي لم يزرع اسرائيل في الشرق حباً في اليهود، لأن هذه الفكرة بدأت منذ مجيء «نابليون بونابرت» وحملته إلى الشرق، وحينها ظهرت أول صورة للدولة اليهودية ولكنها فشلت مع حملة «نابليون»، فتربصت اليهود مع الغرب وهم يروا عداءه للخلافة العثمانية ورغبته في تصفيتها وعملوا على هذا، إلى أن أقاموا الدولة الاسرائيلية، التي نشأت لتكون ثكنة عسكرية واقتصادية وحضارية ضد الوطن العربي وعلى رأسه مصر... مع أن العداء الغربي لمصر هو الأساس، بل ظهر منذ الحروب الصليبية التي جاء فيها قساوسة من فرنسا وانجلترا وبلجيكا وهولندا، وعندما وصلوا إلى مصر كان أحدهم مؤرخاً لأكبر وأشهر حملة صليبية في زمن مملكة القدس المسيحية التي كانت قائمة مع وجود «نور الدين زنكي» استاذ ومعلم «صلاح الدين الأيوبي»، وهذا القس المؤرخ الصليبي كتب أن امتداد نفوذ «الزنكي» إلى مصر وظهور شخصية مثل «صلاح الدين الأيوبي» بعدما أظهر كفاءته كفارس وقائد وحقق عليهم الانتصارات المتتالية، وأزعج الممالك والامارات الصليبية، أن وجوده في مصر حرم عليهم الأمان ولابد من القضاء عليه ،لأن مصر امكانياتها وفيرة ومتعددة، وبعد نجاحه في ضم الشام إلى مصر بعد وفاة «نور الدين الزنكي» وصراع ابنائه على عرش سوريا.. وكان هذا معناه نهاية الوجود الصليبي في فلسطين ولهذا فالعداء قديم وقائم.

ويؤكد الزعيم الإعلامي:

على أن شكل العداء اختلف حالياً خاصة بعد ظهور البترول ووجود ممر قناة السويس وأهميته، وتحليل السياسة الامريكية التي تتحكم فهيا رؤوس الأموال، من بترول وصناعة السلاح، وطالب العرب أن يعرفوا لماذا يوجد فنيون عسكريون أمريكيون في إسرائيل وكم عددهم؟ ويجيب حينها سيعرفون أن الرقم يقول إنهم أربعون ألفاً ورقم آخر يقول سبعين ألفاً، ومهمتهم ادارة الترسانة العسكرية الامريكية المتواجدة في اسرائيل، وهذا يعود بالعرب جميعاً إلى اسرار حرب ١٩٧٣ ، وما حدث من الثغرة بعدما بكت «جولدا مائير» رئيسة وزراء إسرائيل لواشنطن، بعد عبور المصريين واحتمال زوال اسرائيل نهايتها عسكرياً، مهددة بانها سوف تستخدم القنبلة الذرية اذا لم يسعفوا اسرائيل، وبالفعل انقذوها بالقنابل التليفزيونية التي ساهمت في صناعة الثغرة، إذاً لايجب عليهم أن لا يفصلون أمريكا عن اسرائيل لأنهما كيان واحد وليسا اثنين.

مع أن رؤيتهما قد تختلف فيما يخص مصر، أو عند حسابات المصالح لكل طرف سواء أمريكياً أو اسرائيلياً، وقد يكون هناك رؤية أمريكية للتعامل مع مصر تختلف عن الرؤية الاسرائيلية، ولكنهما يريدان أن تكون مصر راكعة من ناحية السلاح، وهو المورد الرئيسي لمصر من أمريكا والغرب، وهذا لا يجعل اسرائيل في حاجة إلى التجسس أو القلق من هذا الجانب، لأنه عندما يوجد في حكم مصر من يخرجها من حالة الخنوع والإنبطاح، ستنشط الجاسوسية الاسرائيلية في هذا الجانب لأنه قد يستورد اسلحة سرية لا تعلمها اسرائيل، وقد تمثل امريكا الجانب الأعقل والأدهى، لكن اسرائيل تستطيع كولد شقي أن تعبث مع الآخرين بعيداً عن علم أبيه ومن وراء ظهره وحينها يلزمه بشيء ليس في الحسبان.

ويضرب «أحمد سعيد» المثل بما حدث في ١٩٥٦ وتحالف إسرائيل مع فرنسا

وانجلترا وعدوانهم على مصر، بعد ما اتفقت مصر على صفقة الأسلحة التشيكية وناطح «عبدالناصر» الغرب وحينها خرج «بن جوريون» من عزلته، ورأس الوزارة حيث كان استقبال ومكث في «سانت بوكر»، وكان أول من أوصى بحرمان مصر من دعم أمريكا ومن البنك الدولي في انشاء السد العالي، وقال: قيام «ناصر» ببناء السد العالي يعني أن مصر ستزداد قوتها (٣) أضعاف، وهذا يمثل خطراً على اسرائيل، وظهر الموقف الامريكي ثم البريطاني ومن خلفهما البنك الدولي، وانسحبت فكرة التمويل ثم العدوان على مصر، ولكن جاءت نتيجة رد الفعل العربي غير المتوقع، وكان مهماً جداً في محاصرة السفارات الغربية في الوطن العربي، فإضطرت امريكا أن تتدخل لسحب القوات الفرنسية والانجليزية ومنع العدوان على مصر.. ولكن اجتمع مجلس الأمن القومي الامريكي برئاسة «أيزنهاور» واتخذ قراراً بتصفية «عبد الناصر» وذلك بتوجيه ضربة موجعة تقلل من قيمته في المنطقة العربية حتى لا يصبح بهزيمته أو باستشهاده بطلا هو ومبادئه، وهذا مثبت في الوثائق الامريكية.وبذات الطريقة تتعامل أمريكا واسرائيل مع مصر بعد يناير ٢٠١١، وهى لم تتوقف عن محاولتها في الهيمنة، وما حدث في مصر من انكسارات ثورية، سببه وهدفه أن أمريكا تريد لمصر أن تمد يدها لتكون في حالة تسول دائم، وليست في حالة قوة ذاتية حتى لا تفكر في مصالحها الشخصية.

ولهذا المطلوب الآن تحديداً، أن ندرس وضعنا جيداً، وتحديد عناصر القوة والضعف، لأنه يوجد لدينا عناصر ضعف كثيرة تجعلنا نقبل الدنية، لكن حتى لو قبلنا هذا علينا ألا نورث أجيالنا هذه الدنية.. وإذا كان المؤيدون للمعاهدة يتحججون بأن المعاهدة أعادت سيناء إلى مصر.

فيرد .. لكن الثمن كان باهظاً وما أفدحه من ثمن، وهو الاعتراف باسرائيل وبإغتصابها للأرض الفلسطينية.. وهذا يفقد ٢٣ثورة يوليو شرعيتها، لأنها قامت ببيان يقول فساد في الجيش أدى إلى هزيمة في حرب فلسطين، ونحن هزمنا في ٦٧

ووقعنا إتفاقية الاعتراف باسرائيل بعد الإنتصار وليس بهد الهزيمة.

ويرد أيضاً على من يقول: أن إسرائيل دفعت ثمن السلام أيضاً بخروجها من سيناء، يقول: هم دفعوا الثمن لأننا اعترفنا بهم، لأن كان حلمهم خروج أكبر دولة عربية من سباق العداء معهم، فإسترداد سيناء ليس فخراً للاتفاقية بل ثمن..

لأن إسرائيل مغتصبة ومن الممكن أن تعتدي على مصر في أي لحظة من لحظات الضعف، وتصريحات «ليبرمان» الوزير الإسرائيلي يجب ألا يمر بسهولة، لأنه هدد أكثر من مرة بضرب السد العالي، ولماذا يسمح لهم بهذا القول من التهديد، والعرب لا تورث أجيالها الحلم العربي بإسترداد فلسطين، ولنجعل الأغلبية تقول المعاهدة والأقلية تقول استرداد فلسطين.

لأنه في حالات الغموض والارتباك علينا أن نعرف ماذا نريد.. هل نريد أن نأكل ونغمس لقمتنا بالتسول من خلال المعونات؟ أو نريد حياة كريمة بعد ٢٥ يناير و ٣٠ يونية، لأن الشعب الذي هاجم السفارة الاسرائيلية لديه وجهة نظر، فلنتركه يعبر عنها لأنه عندما يقال له إستردنا سيناء، سيقول وأنتم اعترفتم باسرائيل وكان الثمن، مع أننا واقعيا كنا مضطرين في تلك المرحلة.. ولكن أمن مصر القومي والحضاري، يفرض علينا ألا تكون اسرائيل هي جارتنا، بل تكون دولة عربية صديقة متآخية معنا، لأن اسرائيل بالأمس واليوم وغداً ستظل معتمدة على معونات خارجية كي تعيش، وهذا الخارج له مطامع ومصالح في المنطقة، ونحن نحتاج إلى الإستقرار والتنمية وفتح أسواق للخارج ليعيش الشعب حياة كريمة، وهذا لن يحدث في وجود ثكنة عسكرية اسرائيلية معادية في فلسطين، وهذا سيشغلنا بها أطول فترة ممكنة وستحول دون تنفيذ مشاريعنا الانمائية الواجبة، وقد يسمحوا لنا بمشروعات لكنها ليست على المستوى الضروري حتى لا ندخل في مناقسة معهم لأن مصر هي المنافس الوحيد لهم.

ويقول صاحب الذكريات:

مهما قيل عن تردي العلاقات العربية، ومهما وصفت شراسة الهجمة على التآخي العربي من الغرب، فالعرب أمة واحدة ومستقبل ومصير واحد، ومهما قيل عن خرافة القومية العربية فنحن في احتياج إلى بعضنا البعض، وهذه ليست بدعة وقد ثبتت فاعليتعها في الخمسينيات والستينيات، و«السادات» حاول أن يضم اليه بعض الزعماء العرب في تحاوره مع اسرائيل وأمريكا مثل «صدام حسين» و«حافظ الأسد» ولكنه مل منهما بسرعة وكان يجب عليه أن يعلق موافقته على استرضاء العرب.

ولهذا أمريكا تلعب مع مصر بسياستها الدولية، فهي تريد أن تجعلها في احتياج مستمر ولا تجعلها مستقرة ولا أحد يصدق أنها تريد ديمقراطية في مصر، والدلالة على ذلك هذه الديكتاتوريات التي رعتها في مصر والشرق الأوسط منذ الخمسينات وحتى الآن.. وعلى الأقل «حسني مبارك» كان أرحم من أنظمة موجودة في الخليج، رغم ما فيه من غلظة وقسوة وغدر، لكن الآخرين يحققون الأهداف الامريكية، ولهذا لن تمتد اليهم أيادي التغيير إلا لو قويت المقاومة الشعبية لديهم، وأيضاً ستحاول امريكا أن تركبها وتحركها كما تريد، كما حدث بمنظمات المجتمع المدني، لأن أمريكا تهيمن على دول الشرق الأوسط ، وإلا بماذا نفسر تهريب نشطاء المجتمع المدني الامريكيين من مصر وبحكم محكمة، أليس هذا نفوذاً امريكياً وسيطرة امريكية؟!! أم لابد وأن ينزل الجيش الامريكي في القاهرة، للهيمنة والسيطرة حتى تتأكد من هذه الهيمنة التي تتمثل في تنفيذ الإرادة الامريكية وتحقيق ما تريد بكل الطرق، وبالطبع المعونة الأمريكية أحد هذه الوسائل، التي أصبحت أساسية منذ توقيع إتفاقية السلام، رغم أن أمريكا أعطت مصر معونة خلال عصر «عبد الناصر» ولكنها كانت معونات غير مؤثرة لأنها كانت تتمثل في الجبنة والزبدة وعندما حاولوا رشوة «ناصر» حصل على

الرشوة، وأقام بها برج الجزيرة، فالكل يتحرك، ومن السذاجة أن يتصور أحد أن امريكا لا تتحرك في مصر، المهم ألا نفقد الحلم باسترداد فلسطين لأن هذا هو الكارثة، وأيضاً لا تُحرم الأجيال القادمة من هذا الحلم، ولا يتم التعامل معهم بالأسلوب الدوني العاجز!! ولا نجعلهم مهزومين منكسرين مثل الأجيال السابقة لأنه ليس من حق احد أن يفرض عليهم هذا. وينفي أن يكون هذا معناه إشعال الحروب ودق طبولها، طالما نعلم حقيقة قدراتنا العربية سنترك العنتريات جانباً، لأن الدول العربية الآن أضعف لأنها متفرقة، ولو قويت بطريقة ما أو نتيجة لخطأ اسرائيلي سنضرب على رأسنا من أمريكا.. واحتلال العراق درس وعبرة من أمريكا إلى الحكام العرب.. ولكن الحاكم الذي سيعتبر معاهدة السلام غاية المنى فحسابه عند شعبه وعند الله.

ويقول «أحمد سعيد» رغم أن حكومات الربيع العربي لديها من المشاكل ما يكفيها بما يجعلها بدون سياسة خارجية قوية، وما حدث في مصر بعد ٢٥ يناير من جرائم بسبب الأمن المنفلت والاقتصاد المنهار والاحتياطي النقدي الذي كان يتناقص ملياراً وراء مليار بمعدل مليار كل شهر، وكنا مقبلين على كارثة اقتصادية بعد عدة أشهر لولا ستر الله، وباقي الدول العربية منكفئة على ذاتها وليس لديها أي طموحات أخرى، لأن كل حاكم خائف ومرعوب على نفسه بعدما حدث في تونس ومصر واليمن وليبيا وما يحدث في سوريا، ثم أن الخطاب العربي يدعي أكثر مما ينطبق على الواقع.

وهذا ما جعل فترة ثورات الربيع العربي هى فترة الانكماش العربي الشديدة، ومع هذا اسرائيل قلقة من أن يفرخ الربيع العربي قيادات وأنظمة تستطيع النهوض بدولها، وتتصدى لها مع أن فترة الزعامات بدأت في الانهيار، وسيبدأ عصر المؤسسات، ولكن المشكلة أن امريكا واسرائيل تغلغلا في المنطقة العربية

وتحكما في السياسات العربية، العربية، سواء كانت ملكيـة أو جمهوريـة أو تـابعين مثل العراق أو الدول التي تحاول أن تتحرر كما حدث في مصر بعد ثورة ٢٥ ينـاير و٣٠ يونية، أما الباقي مستسلم ومسترخ لامريكا واسرائيل، وهذا الوضع قد يؤدي إلى كوارث أكثر وانقسامات أكبر، وهذا هو المطروح في ليبيا، وما تـم في السـودان يريـدون أن يطرحـوه في مصـر وسـوريا والسـعودية، والمنطقـة العربيـة خاضـعة لمناورات وعبـث غربـي إسـرائيلي وللأسـف الشـديد وصـل بعضـه إلى القـوات المسلحة في أكثر من دولة!! ولذلك يرى أن العالم العربي في أشد الحاجة إلى وقفة مع الذات، مع انه لن يستطيع الوقوف مع الذات إلا أن تقف كـل دولـة مـع ذاتهـا أولاً، ومصر تأخرت في المطلوب منها بعد ٢٥ يناير لأنهم أدخلوها في صـراعات، كان من الممكن حلها منذ اللحظة الأولى حينما قيل الدستور أولاً، ولكن لم يجـد أحداً مستمعاً فاهماً أو مستجيباً واعياً.



الوحدة المصرية السورية

يقول «أحمد سعيد» الإعلامي الأشهر في الوطن العربي:

قبل الوحدة مع سوريا كان السوريون يخشون من سطوة الحكم العسكري لما عانوه بدءاً من انقلاب «حسني الزعيم» حتى انقلاب «أديب الشيشكلي»، ولهذا كانت قيادات سياسية ومن جماعة الإخوان في سوريا يرون أن موقف ثورة يوليو و«عبدالناصر» من الأحزاب المصرية، ومن الجماعات الدينية يهدد طموحاتها في تداول السلطة ويثبت في بلادها نظم الحكم العسكري، بالاضافة إلى ما روجه الشيوعيون في مظاهراتهم من اشاعات عن وجود تأييد اميركي لحركة يوليو، لكن سرعان ما تغير هذا الفكر وهذه الظنون، بعدما وجدوا في «عبد الناصر» الزعيم الحقيقي الذي يجسد أحلام الأمة ويحقق إنتصارات للشعب المصري، وتحوله إلى رمز قومي بعد حرب ١٩٥٦، فتمت الوحدة بإرادة شعبية، رغم انها نفذت بقرار فوقي.

ويتذكر صاحب الذكريات قائلاً:

في أكتوبر ١٩٥٧ حيث فوجئ بإستدعاء من الرئيس «عبد الناصر» وطلب منه الذهاب إلى المخابرات العامة والرئاسة ليتطلع على جميع التقارير التي وصلت من سوريا، حيث كانت الدلائل تشير إلى أن مصر في طريقها للوحدة، وبعد إطلاعه على التقارير، طلب منه «عبد الناصر» الذهاب إلى سوريا، للقيام بعمل مسح شعبي شامل لقيادات الشارع واعضاء البرلمان خلال شهر او شهرين في اقصاها مدة، حتى يحدد لـ«عبد الناصر» ما هو رأي الشعب السوري، ومواقف البعثيين والقوميين والرأسماليين من الوحدة، وبالفعل إختار «أحمد سعيد» لمعاونته في مهمته اثنين من الصحفيين واستأذن الدكتور «عبدالقادر حاتم» الذي كان مشرفاً على الوكالة انباء الشرق الأوسط إنهما كانا يعملان بها، ومنذ وصول «أحمد سعيد» ورفاقه إلى سوريا، تأكد لـ«أحمد سعيد» أن الشعب السوري كله يطالب بالوحدة ويتطلع اليها، فأرسل «سعيد» تقاريره إلى «عبدالناصر» بهذا الأمر، فكانت احد

أسباب قراره بالوحدة مع سوريا.

ويؤكد الزعيم الإعلامي:

على أن الرئيس «عبد الناصر» كان يهمه معرفة رأي الشارع في سوريا، لأنه كان يعرف خشيته وقلقه من الحكم العسكري، لان تعاقب الانقلابات السورية أفقد الشعب الثقة في العسكر، وفي ذات الوقت كان الشعب السوري يريد الاطمئنان اذا جاء ثوار يوليو من مصر، هل سيواجهون هذه الاعتراضات أم أن الأمر سيختلف؟ ويقيناً أن قرار «عبد الناصر» بالاندماج كان نابعاً من قناعاته بأن الشعب السوري يريد الوحدة وليس الجيش فقط خاصة أن «عبدالناصر» ظل متردداً في قبولها طويلاً، لأن العملية كانت معقدة لأن السوريين رأوا في «عبدالناصر» البطل القومي فكانت مستعدة للتضحية معه، من أجل الحرب مع إسرائيل، ولكن هذه الحرب كانت قضية مؤجلة لدى «عبدالناصر». إلا أن «جاسم علوان» الضابط في الجيش السوري أنهى الخلافات بين الضباط حول تفاصيل الوحدة، ولولاه لم تكن هناك وحدة، لأن مع انقسام الضباط في سوريا حول الوحدة دخل «جاسم» إليهم قائلاً: وقعوا هذا البيان، وطالبهم بالسفر إلى القاهرة لتوقيع بيان الوحدة بشروط «عبدالناصر»، وجاء بوفد عسكري وقابل «عبد الناصر» في القاهرة، وبقي «عبدالحميد السراج» و«أمين النفوري»، في سوريا، وكان «جاسم» سكرتير هذا الوفد، وعرضوا على «عبد الناصر» الموافقة على الوحدة.

وقال «عبدالناصر» للوفد العسكري السوري: أن التفاوض مع وفد عسكري في أمر الوحدة غير معقول لأن لديكم وزارة مدنية ورئيس جمهورية، فجاء الوفد الرسمي وعلى رأسه «شكري القوتلي» رئيس الجمهورية و«صبري العسلي» رئيس الوزراء ووقعا الاتفاق على الوحدة، وبعد الاستفتاء الشعبي على الوحدة في فبراير ١٩٥٨ ، قام «عبدالناصر» بزيارة سوريا وحملته الجماهير على الأكتاف، بينما تنحى قادة الجيش من مناصبهم.

ويقول صوت عبد الناصر: خلال إعداده للتقارير التي كان يرسلها إلى «عبد الناصر» وجد أن جميع القيادات الشعبية كانت تقدر «عبد الحميد السراج» وتهابه لأنه قوي، وان القيادات الرأسمالية الوطنية كان لديها القلق من «عبدالناصر» وسياساته الإقتصادية، خاصة بعد قرارات التأميم في ١٩٥٦، وكان يوجد تيار أخر رافض لحكم العسكر المصريين من منطلق اذا اردنا إستبدال العسكر فلا نستبدلهم بعسكر مستوردين من مصر. وهذه التقارير كانت تصل إلى الرئيس«عبدالناصر» بعيداً عن «محمود رياض» سفير مصر في سوريا، والذي كان يميل إلى البعث، وايضاً بعيداً عن «عبدالمحسن ابو النور» الملحق العسكري، الذي كان يميل لـ«السراج»، ولهذا اقترح «أحمد سعيد» على «عبدالناصر» ارسال مراقبين محايدين احدهما يعمل على طمأنة العسكر، والآخر يطمئن قيادات الرأسمالية السورية، وبالفعل قيل له أن «كمال رفعت» سوف يحضر ليطمئن الجيش، و«مصطفى أمين» سوف يأتي ليهدئ من روعة الرأسمالية الوطنية.

ويقول الزعيم القومي العروبي: بعد الاستفتاء على الوحدة طلب «عبدالناصر» من جميع العاملين في سوريا، كتابة رأيهم وتصوراتهم فرادى في كيفية التعامل مع سوريا، حيث كان «عبد الناصر» قرر تشكيل الحكومة ولكنه أخر القرار قليلاً، وعقد اجتماعاً عاماً معهم ولخص فيه كل شخص رؤيته، وجميع الآراء طالبت بان يحصل «شكري القوتلي» على صلاحيات نائب رئيس الجمهورية، وان يصبح «السراج» في وضع مدني بعد فترة، أما ما يخص القادة العسكريين فيجب أن تتم تصفية جميع الضباط الحزبيين بإخراجهم من الجيش.. مع التأكيد على صعوبة نزع نفوذ حزب البعث وسطوته والتي كان يستحوز على جميع الوزارات الرئيسية قبل الوحدة وبعدها، ونتيجة نزع تلك الصلاحيات منه، فربما يؤدي هذا إلى خلخلة السلطة وتقويضها.

***

ويقول «سعيد»:

لكن تمت الوحدة في ظروف صعبة ولم تكن القاهرة أو دمشق يملكان أن يقدما ثمن هذه الوحدة، أي أن يضحيا ويقاتلا من اجلها، فالقيادات المصرية لم تكن مؤهلة لذلك، وكذلك السوريين أيضاً، بل كان السوس ينخر في عظم الوحدة، بالإضافة إلى عيوب الحكمين المصري والسوري، حيث كانا الاثنان تحت حكم العسكر، وحزب البعث نجح في فرض نفسه وبسط نفوذه من خلال تنفيذ خطته منذ عهد «حسني الزعيم» بإلحاق أولاد البعث في الجيش وبعد ١٥ سنة يتولون الحكم وهذا ما حدث بالفعل.مؤكداً أن «عبدالحميد السراج» كان الرجل الأول في سوريا قبل الوحدة وبعدها وهو قومي وناصري مئة في المئة وكان أكثر السوريين محبة لـ«عبدالناصر»، وقد دس كثيرون ضد «السراج» لدى «عبدالناصر» مما يسر نجاح مؤامرة الانفصال بين مصر وبين سوريا.لأن «عبد الحميد السراج» بكل ثقله وسطوته، عندما قدم استقالته نتيجة خلافاته مع القادة المصريين، فهذا أدى إلى ضعف في أجهزة الأمن، والنتيجة كانت نجاح الانقلاب خلال ٣٦ ساعة، وكان يمكن القضاء عليه خلال هذه الساعات، عن طريق القوة الضاربة للقوات التي كانت متواجدة في دمشق، بل وقد تحرك بعض الضباط بالفعل للتصدي للانقلاب، بالإضافة إلى أن الوحدة الرئيسية في حلب بقيادة «جاسم علوان» أعلنت رفضها للإنقلاب وأعلنت زحفها إلى دمشق.

والمشير «عبد الحكيم عامر» لم يكن له دور في الوحدة أو الانفصال، لأن هناك فارق بين الدور والأسلوب، فأسلوب «عامر» وتصرفاته هى التي دفعت سوريا للانفصال وليس دوره. ولكن «عبد الكريم النحلاوي» مدير مكتب «عبد الحكيم عامر» هو الذي قاد الانقلاب بسبب الإغراءات المالية التي تعرض لها، وهذا مثبت تاريخياً في بعض الوثائق والمذكرات القادة ولا يدعيها «سعيد» من تلقاء نفسي (كما يقول). وحينها قرر «عبدالناصر» إرسال قوات من الصاعقة

والمظلات بالطائرات إلى سوريا، ثم بـدأت القـوات البحريـة في التحـرك محملـة بالجنود، وفي ذات الوقت اعترفت حكومـات الأردن وإيـران وفرمـوزا (تـايوان) حالياً بالانفصال، فطلب الاتحاد السوفياتي من «عبدالناصر» أن يأمر بعودة القوات البحرية، لأنه تلقى إنذاراً من امريكا، بأنه لـو تعمقـت السـفن المصـرية في البحـر ستتم مواجهتها بالإسطول السادس الاميركي، وأصبح «عبدالناصـر» امـام قـراراً مصيرياً، وقد اتخذ قرار عودة القوات وهو في حالـة صـعبة جـداً، لأنـه لم يسـتطيع القتال من أجل الوحدة.

هذه الوحدة التي يقول عنها «صاحب الـذكريات : لقـد وقـف ضـدها ومنـذ بداياتها قوى إقليمية وعالمية، وفضحت محاولة احد الملوك العرب إغـراء رجـل المخابرات «عبدالحميد سراج» مقابل عشرة ملايين دولار، لإغتيال «عبدالناصر» في اليوم التالي للاستفتاء على الوحدة بين سوريا ومصر، وكانت أول زيارة لـ«عبـد الناصر» إلى دمشق، وأيضا تم إنزال قوات أميركية في لبنان، وبريطانية في الأردن مع إعلان الوحدة بين مصر و سوريا، ثم التآمر عـلى هـذه الوحـدة بـين الأردن وبـين إيران والتهديد العسكري الأمريكي بضرب الأسطول المصري المتجهة إلى سوريا لمساعدة «جاسم علوان» و«عبدالحميد السراج» اللذين حاولا التصدي لمـؤامرة الانفصال، كل هـذا أكـد العـداء والتـآمر ضـد الوحـدة، وان الحمـلات العربيـة والأجنبية التي كانت ضد «عبدالناصر» كانت تسبق هزيمة يونيو ١٩٦٧ .



شكري القوتلي

وصف «أحمد سعيد» الزعيم السوري «شكري القوتلي» بأنه من الزعماء الـذين يمكن أن يطلق عليهم لقب الزعيم التقليدي، مـع انـه لم يكـن قاصـداً أن يمـارس السياسية بالأسلوب السلبي الذي ليس به إيجابية عنيفة أو ثورية متوهجة، بل لأنه مارس السياسة بالأسلوب التقليدي الذي يقوم عـلى الأسـلوب السـلمي، وطـرح الآراء والأهداف على الجماهير للحصول على الموافقـات الجماهيريـة، ثـم بعـد ذلك يبدأ بالتنفيذ .. وعندما حاول «سعيد» أن يطبق هذا الوصف عـلى الزعامـات المصرية وجده من أقرب صور الممارسة وطبيعته الشخصية إلى الزعيمين «سـعد زغلول» و«مصطفى النحاس» قادة ثورة ١٩ والفترة الليبرالية قبل ١٩٥٢، حيـث كانت هذه الزعامات السياسية تضـع الجمـاهير في الاعتبـار الأول، بـل في صـف القيادة .

بدايات شكري القوتلي :

قال «سعيد» أن «شكري القوتلي» كـان ينتمـي إلى عائلـة كبيـرة وثريـة، كونـت ثروتها من العمل في إدارة الأراضي الزراعية والتجارة مثل العديـد مـن العـائلات الدمشقية، وكان خريج كلية الحقوق وعمل في مهنة المحامـاة في مرحلـة مبكـرة، وكان أول ظهور بارز له في الحياة السياسية السورية في عام ١٩٢٠ ، عندما فـرض الإنجليز الأمير «فيصل» إبن الشريف «حسين» ملكاً عـلى سـوريا، وقـام بتشـكيل حكومة و«القوتلي» كـان أحـد أعضـائها ، إذن «القـوتلي» كـان لـه دور في النضـال القومي العربي السوري منذ بداية عشرينات القرن الماضي .. ولسابق نضاله هـذا أصبح وجه معروف لدى الجماهير السورية، ولكن لم يسـتمر الملـك «فيصـل» في سوريا، لأن الفرنساويين وهم حلفـاء الإنجليـز في الحـرب العالميـة الأولى كـانوا اتفقوا مع بريطانيا عـلى تقسـيم الشـرق الأوسـط إلى مسـتعمرات تابعـة لبريطانيـا وأخرى تتبع فرنسا ، وكانت سوريا ولبنـان مـن ضـمن الأقـاليم التابعـة لفرنسـا ، وحينها تقدم الجيش الفرنسي من لبنان وزحف نحو سوريا ، والقوميين السوريين

قاوموه ، ولكن «فيصل» كانت تحصنه بريطانيا وتحميه لانه يتبعهم وكان عميلاً من عملائها ، ثم أرسلته إلى العراق وعينته ملكاً هناك تحت إشرافها واحتلالها وسطوتها وبطشها، والوطنيون السوريون قاوموه بقيادة بطلين استشهدا اسمهما «مايسلون» ، و«يوسف العضمة» وكانا قائدا المقاومة السورية ، وبالتالي سقطت الحكومة السورية أمام الاحتلال الفرنسي ..

وشارك «القوتلي» في مؤتمر القدس عام ١٩٣٢، وكان من قادة الإضراب (الستيني) عام ١٩٣٦، ثم شارك في الانتخابات النيابية التي تمت بعد التوصل للإتفاق، وفاز بمعقد عن دمشق، وشغل منصب نائب رئيس المجلس عن تلك الدورة، وانتخب على إثرها «هاشم الأتاسي» رئيسًا للجمهورية، وشكل «جميل مردم» الحكومة التي شغل فيها «القوتلي» منصب وزير الدفاع، وكذلك منصب وزير المالية، وتعتبر هذه الحكومة الأولى لسورية الموحدة .. ثم إعتقل «القوتلي» ضمن المجموعة التي أعتقلت في هذه الفترة ، وبعد مدة اطلقت فرنسا سراحه وذهب إلى باريس ، ثم جاء إلى مصر وعاش في القاهرة فترة طويلة من الزمن .. إذا هذه الشخصية ، هى شخصية مناضل قديم منذ شبابه ولمع في كل مرحلة من المراحل، ولم يتوقف عن العمل السياسي والنضال الوطني، إلى أن عاد إلى سوريا مرة اخرى، حزب «الكتلة الوطنية» .. وبرز مرة أخرى في المشهد السياسي، لدرجة انه اصبح من القادة السوريين الذين يفرضون على الإستعمار الفرنسي الرحيل عن سوريا ، وان تحقق سوريا إستقلالها كاملا في عام ١٩٤٦ .

ويذكر «سعيد» : عندما نودي بسوريا المستقلة، ونظمت الانتخابات النيابية، وفاز بها حزب الكتلة الوطنية فوزًا ساحقًا، واتفق على ترشيح «القوتلي» لمنصب الرئاسة نظرًا لتقدم «الأتاسي» في السن، والظروف السياسية حينها كانت في أشد الاحتياج إلى رجل يستطيع تحمل المسؤوليات الخطيرة خلال مرحلة استلام السلطة من فرنسا.. وافق «الأتاسي» زعيم الكتلة الوطنية على ترشيح «القوتلي» والذي فاز بما يشبه الإجماع بمنصب رئيس الجمهورية، وكانت أول أعمال

الرئيس الجديد أيضًا، إيفاد رئيس الوزراء «سعد الله الجابري»، ووزير الخارجية «جميل مردم» إلى مصر، بناءً على دعوة «النحاس» باشا، لعقد اجتماع عربي مشترك، والذي كان من الخطوات التمهيدية لقيام الجامعة العربية .

رئاسة وانقلاب وإعتقال :

ويتذكر صاحب الذكريات: أول لقاء له مع «القوتلي»، والذي كان في فترة ١٩٤٥ والتي انشأت فيها جامعة الدول العربية في مصر، حيث كان «سعيد» لازال طالبا في كلية الحقوق جامعة «فؤاد الأول»، وكان له مع زملائه انشطة في الجامعة، منها نشاط خاص بجمعية عربية .. وعندما جاء الزعماء العرب إلى القاهرة، لإجراء المباحثات حول إنشاء الجامعة العربية، سعي «سعيد» وزملائه اليهم، حتى يأتون إلى الجمعية العربية ويلقون بعض المحاضرات على اعضائها، وكان «القوتلي» من هؤلاء الزعماء، الذين سعوا إليهم ليحضر إلى الجمعية العربية وبالفعل حضر والقى عدة محاضرات .. وعن الانطباع الأول عنه قال «سعيد» انه رجل تستطيع أن تصفه بالعقلانية أكثر مما تصفه بالثورية، بحكم نضاله الطويل وخبرته وحنكته السياسية، فقد كان يستطيع أن يعرف مكان خطوته القادمة، التي كان سيخطوها بل ويقدر نتائج هذه الخطوة جيدا، ثم يقدم عليها، هذا بخلاف السياسي الثوري، الذي احيانا يندفع وينطلق بثوريته، وأحيانا تكون حساباته حسابات مقاومة بدون نتيجة، لأن الثوري لا تشغله النتيجة، والمهم لديه إثبات روح الصمود والمقاومة .. ولكن «القوتلي» كان سياسيا لديه فن الممكن، وكان اقرب إلى نوعية السياسيين البارعين في ممارسة فن الممكن، ولهذا نجد أن تطور قيادته لسوريا كانت تعبر عن هذا التوجه وتؤكده .

ويذكر «سعيد»: أن ثاني لقاء له مع «القوتلي»، كان بعد إنشاء إذاعة «صوت العرب»، حيث كان «القوتلي» في هذه الفترة، من المغضوب عليهم من الحكم العسكري في سوريا ، ومع انه كان أول رئيس جمهورية لسوريا المستقلة، بعد

الإنسحاب الفرنسي من سوريا، إلى أن جاء «حسني الزعيم»، والـذي كـان يحمـل رتبة عسكرية مثله، وكان برتبة اللواء، وقام بالإنقلاب عليه وإعتقله ، ثم ابعده عـن سوريا، ونصب نفسه رئيسا لسوريا.. حيث تم ذلك فجر أحد الأيام، بعدما قامـت وحدة من الجيش بتطويق القصر الجمهوري، وأعتقلت الرئيس «شكري القوتلي»، وكان حينها مريضاً في المستشفى، يعالج من قرحة في المعـدة ومـرض في القلـب، ونقلته قيادة الانقلاب إلى مستشفى«المزة» العسكري، وأعلنت حالـة الطـوارئ في البلاد، وقامت قيـادة الجـيش بتحمـل مسـؤولية قيـادة الـبلاد، ونشـرت إسـتقالة «القوتلي» والتي كانت موجهة للشعب السوري ..

ثم أطلق سراح «القـوتلي» وصـودرت أملاكـه وأمـلاك ابنـه، ونفـي إلى خـارج البلاد، فإختار مصر مرة أخرى وإتخذ الإسكندرية مقرا له .. ولكن لم يستمر حكم «حسني الزعيم» طويلا، وقام عليه «إنقلاب سامي الحناوي»، الذي حاول أن يبيع حكم سوريا إلى الإنجليـز، وللحكـم الهاشـمي في العـراق ، ولكـن انـتفض عليـه «اديب الشيشكلي» والضباط في الجيش السوري والشعب السـوري واطـاحوا بـه، بل اعدموه ، وجاء « الشيشكلي» رئيسا، ولكنه ظل مستبعداً السياسيين القدامى عن سوريا فترة من الزمن ليست طويلة، ثم تعامل مع السياسـين القـدامى مثـل عائلـة «الاتاسي» ومنها «هاشم الأتاسي» الذي كان رئيس جمهورية سابق، ولم يتعامل مـع «شكري القوتلي» او « حيدر الكزبري» وهو احد قيادات المجموعـة التـي قامـت بالإنفصال عن مصر فيما بعـد .. وبتعاملـه مـع السياسـيين القـدامى لم يسـتطع أن ينجح في أن يقنع «القوتلي» بالتعامل معه، رغـم انـه كـان يحـرص عـلى أن يجمـل صورة الحكم العسكري الـذي كـان يحكـم بـه سـوريا، بالتعامـل مـع الأحـزاب السياسية بما فيها حزب «البعث»، لانه تعامل معه فترة ثم إصطدم معه بعـد ذلـك، واعتقل منهم أعضاء كثيريين، ثم تعامل مع جماعة الإخوان المسـلمين في سـوريا، ثم إنقلب عليهم وإعتقلهم، حيث كان هـذا هـو اسلوبه السياسـي، المهادنـة ثـم الإنقضاض والغدر.

رؤية القوتلي :

ومع بداية إنشاء «صوت العرب» وتأثيرها في الوطن العربي، ثم الصدامات التي وقعت في سوريا نهايات حكم «الشيشكلي»، وما تلاها من عودة الأحزاب السياسية والحكم المدني مرة اخرى، عاد «شكري القوتلي» إلى سوريا ، وحينها سافر «سعيد» إلى سوريا ولبنان لمتابعة الاحداث هناك وتطوراتها، خاصة أن الحكم المدني كان بدأ في سوريا .. وإلتقى «سعيد» بـ«القوتلي» وسجل معه (٣) تسجيلات، ناقش خلالهم قضية تكاد تكون مصرية سورية في ذلك الوقت، وهى قضية حكم العسكر، والحكم الحزبي المدني ، لأن هذه الفترة كما يقول «سعيد»، كانت سوريا متوهجة بإنتفاضتها ضد حكم «الشيشكلي»، وضد الإنقلابات العسكرية ، وتم إعادة البرلمان ورئيس جمهوريتها، وتم تحديد موعد الإنتخابات الجديدة، وتشكيل نظام جديد وتنظيم سياسي جديد ، وبدأت سوريا تنتعش سياسيا، عكس مصر التي مرت بأزمة مارس ١٩٥٤، والتي خرج منها «عبد الناصر» قوياً، واصبح الرجل الأول في الحكم، ثم صار الرجل الأوحد فيما بعد، وفي هذه الفترة وفي ظل هذه السياسات المتناقضة بين سوريا ومصر، شاء قدر «أحمد سعيد» أن يسافر إلى سوريا ويلتقي بـ«شكري القوتلي»، وناقش معه موضوع الحكم أولها : كانت هناك تحفظات سوريه على نظام الحكم العسكري في مصر، رغم أن «القوتلي»، كان يرى أن الثوار في مصر، لهم توجه قومي، بل كان متأكداً من ذلك.. الا انه كان له تحفظات على اسلوب حكمهم، وكانت هذه هى الملاحظة الرئيسية في حواره ..

ثانيا: قيام نظام يوليو بمطاردة السياسيين القدامى، لأنه كان من المدرسة السياسية القديمة، وكان يعترض على مطاردة «النحاس» باشا وحزب الوفد، والأحزاب التقليدية الأخرى، ثم اعترض على حل جماعة الإخوان في مصر، لان الإخوان لهم ثقلهم السياسي في سوريا، وارتباطهم بتنظيم الإخوان في مصر، يؤثر

على المشهد السياسي في سوريا .. كل هذه السياسات القت بظلالها على رؤية «القوتلي» على الثورة المصرية، ولهذا تحدث في هذه المواضيع، ومع انه لم يتحدث بإسلوب مباشر، لأنه بالطبع كان يعرف أن هذه الحوارات سوف تذاع في إذاعة «صوت العرب» التابعة لنظام الثورة في مصر، إلا أن إعجابه الشديد بسياسة حكومة ثورة يوليو، جعلته محرج من أن يهاجم النظام ككل، فإنتقده أكثر مما هاجمه.

ويتذكر «أحمد سعيد» الحديث الثاني الذي تناول فيه «القوتلي» تاريخه مع سوريا، وكان «فاضل الجمال» وزير خارجية العراق حينها، بدأ في طرح اتحاد سوريا والعراق والتحالف مع الغرب، ولم يكن حينها ظهر حلف بغداد بحوالي عام، لانه طرح في اوائل ١٩٥٤، وهذه كانت اول مرة يتواجد فيها «سعيد» في سوريا ..

ويقول «سعيد» أن الحديث أعطاه إنطباع أن هذا الرجل رغم انه زعيم سياسي تقليدي، ورغم انه كان وزير في حكومة الملك «فيصل» عندما كان ملك على سوريا، قبل ما الإنجليز يقوموا بحركة تنقلات ملكية، ويعينوه ملك على العراق، إلا أن الرجل كان حريص كل الحرص على سوريا الجمهورية المستقلة، لإنها حصلت على إستقلالها عام ١٩٤٦، وقال عبارة غامضة ولكنها كانت مفهومة، عندما قال: سوريا دولة كاملة الاستقلال وليس على ارضها جندي أمريكي واحد ، فكيف تتحد مع دولة بها قاعدة حربية اجنبية، وسياستها تخضع إلى نفوذ اجنبي؟؟ (وبالطبع كان يقصد دولة العراق) ...

ويراها «سعيد» انها عبارة مهذبة رقيقة لانه لم يتعرض إلى سيرة العراق وتوجهه السياسي ، لانه يقول سوريا واستخدم تعبير امريكي، لان في تاريخ امريكا كان يوجد رجل اسمه «توماس جيفرسون» وهو أحد واضعي دستور امريكا، وهذا الرجل عندما ارادوا وضع الدستور الامريكي ونظامها في الحكم، صاغ لكل ولاية قوانينها ومجلسها النيابي وقراراتها وتصرفاتها المالية بميزانيتها وانشطتها وقدرتها على إتخاذ القرارات، ومع كل هذا لم يكن يسمح للولاية أن تتجاوز، لانه في نفس

الوقت هناك حكومة اتحادية، تؤكد أن جميع الولايات تتبعها وتخضع لها، وهذه الحكومة لها أيضا ميزانياتها وقراراتها وسياستها، بشرط أن لا تتعارض القرارات المركزية مع القرارات الإقليمية، ولا ترقى القرارات الإقليمية إلى مستوى الموضوعات التي تتخذ على مستوى الحكومة المركزية، والعكس صحيح لا تتخذ الحكومة المركزية القرارات التي على مستوى الولايات، الا التي تكون متصلة بأشياء محددة في الدستور، و«شكري القوتلي» كان رجل قانون ..

وقد نبه «أحمد سعيد» إلى ذلك، بما جعله يحضر الدستور الأمريكي ويقرأه ليستوعبه، ولان مصر كانت مقبلة سياسيا على ماسمى في تلك الفترة بالخصوصية السورية في الدوائر الإعلامية والسياسية في مصر .. وعليه تحدث «القوتلي» عن الفكر القومي، وكيف يمكن أن تنضم الدول العربية إلى بعض، ولهذا اصبح «سعيد» معجب بـ«القوتلي» جدا عكس «الشيشكلي» الذي لم يعجب به، وكان سجل معه ايضا عندما جاء إلى مصر عام ١٩٥٢، حيث كان «القوتلي» هو اول رئيس عربي يزور مصر في سبتمبر ١٩٥٢ اي بعد ثورة ٢٣ يوليو ..

وأعجب «شكري القوتلي» حينها بـ«عبد الناصر»، وعندما عاد إلى سوريا كان يتحدث عنه بإعجاب شديد، رغم أن «عبد الناصر» كان حينها في الصف الثالث برتوكوليا وفي الخلف، حيث كان ياتي اللواء «محمد نجيب» في المقدمة، ثم يليه «سليمان حافظ» ، ثم يليهم «جمال عبد الناصر»، وهذا ثبت أكثر من مرة عندما كانوا يسيرون طابور في أية مراسم إستقبال، حيث كانوا يقفوا بهذا الترتيب ..

عقلانية القوتلي :

وعن الحديث الثالث الذي سجله الإعلامي الأشهر مع «القوتلي»، والذي قدم فيه رؤيته حول جهاز مثل «صوت العرب»، وكيف يمكن له أن يرتبط بالجماهير العربية، وخاصة الشعب السوري؟.. وسأله «سعيد» بماذا ينصحهم في هذا الأمر؟، وحينها أفاض برؤيته حول هذا الشأن، ولكنهم لم يذيعوا هذا الحديث لأنه كان يمس الحرفية

التي كانوا سيقومون بها، وهل هى حرفية إعلامية أم رؤية مخابراتية ؟، وقد أعطى «القوتلي» أوصاف وأسرار تتعلق بطبيعة الشعب السوري، وكيفية التعامل مع الجماهير، وكانت رؤية ثاقبة أفادتهم في أشياء كثيرة .. ولهذا إكتفت «صوت العرب» بإذاعة الحوايين الأوليين مع «شكري القوتلي»، لأنه لا يكفي أي جهاز إعلامي، سواء جريدة أو تليفزيون، أن يخاطب الشعوب فقط، بل عليه أن يعرف من سيخاطب، وما هى طبيعة ظروفهم الإجتماعية والثقافية والنفسية ؟، لأن الجماهير تختلف عن بعضها، وكل دولة ولها خصوصيتها المتفردة ..

ويضرب لنا صوت عبد الناصر: مثلاً في هذه الخصوصية والتفرد، والتي كانت للشعب «العماني» الشقيق، والتي تمثلت في مخاطبته، والذي كان يختلف عن جميع الشعوب العربية في تلك الفترة، وسبب الإختلاف أن الحاكم «سعيد بن تيمور» ومعه الإنجليز، الذين كانوا مانعين وجود جهاز الراديو في «عمان»، والراديو كان يحتاج إلى بطاريات كبيرة مثل بطاريات السيارات في ذلك الزمان، وكان يسمح للأغنياء فقط بإقتناء جهاز الراديو ..

وبالطبع كان كثير من الأغنياء يؤيدون الإنجليز وسياساتهم، ومع السلطان الحاكم، أو لديهم شباب متحرر بعض الشيئ، وكان الشباب هو الوحيد في العائلات الذي يستمع إلى الإذاعة، وهنا ستكون المخاطبة الإعلامية للأحاد وليس للجماعات ..

ويؤكد «سعيد» أنهم كانوا يحصلون على تقارير مخابراتية من الضابط «علي خشبة»، الذي أصبح سفيرا لمصر بالجزائر فيما بعد، ثم وكيل وزارة الإعلام في مرحلة من المراحل، حيث انه سافر إلى «سوريا» كرجل مخابرات سري، في ظل ظروف أسوأ ما يمكن أن توصف، ومع هذا استطاع أن يقدم تقرير من أروع وأبدع التقارير عن حالة الاستماع هناك، وتضمن النقاط التي بحثها ..

ويؤكد «سعيد» على إتمام اللقاء مع «القوتلي»، في ظل ظروف متناقضة بين مصر

وسوريا، حيث كانت مصر في حال وسوريا في حال أخر، والاثنان يختلفان لدرجة أن «شكري القوتلي»، حرص على أن يسأل مع انه تحدث بأسلوب يسمح للحديث أن يذاع في القاهرة،

وقال: هل من الممكن أن يذاع هذا الحوار؟ ..

فقال له «سعيد» نعم ..

فقال له «القوتلي» :على العموم أعطيك الحق في أن تذيع أو لا تذيع (!!) أو تحذف أو لا تحذف، لأني كرجل مسئول أعرف حدود مسئوليتك ..

ويكرر سعيد قائلاً: انه كان رجل عقلاني وسياسي محترم أشبه بـ«النحاس»باشا، ولا يملك الإنسان إلا أن يعجب به مهما كان رأيه ضده، لأن من يقترب منه يتأكد انه شخصية ملتزمة محترمة، تجعل الأنسان يشعر بالأبوة تجاهه، ولكن الشيئ الذي قد تتخذه عليه، انه كان عقلاني بل شديد العقلانية، في فترة كانت طبيعتها كلها ثورية، نعم تحتاج إلى جزء من العقلانية، ولكنها لا تحتاج إلى كل العقلانية، لان أول مبدأ بها كان المقاومة، والوطن العربي كله كان يقاوم الإنجليز والفرنساويين والسوفيت والأمريكان، ولم يكن لهذه الشعوب أن تخرجهم من أوطانهم بعد ما إقتسمت فرنسا وانجلترا العالم العربي وإفريقيا، والعرب كانوا أعجز من أن ينتصروا عليهم، ولم يكن لنا إلا أن نقاوم ونستمر في المقاومة، حتى يجهد ويتعب هذا المحتل، كما حدث في ثورة الشعب الجزائري، التي لو تم حساباتها وفق الحسابات العسكرية السائدة، لكانت محكومة بالهزيمة والفشل، فالعقلانية أحيانا تكون مطلوبة والثورية دائما ما تكون مطلوبة، ولكن تحتاج أحيانا إلى أن نعقلها لتكون ثورية عاقلة وليست ثورية لمقاومة مستمرة .

تحالفات القوتلي :

ويذكر الزعيم القومي: مقابلته لـ«شكري القوتلي» بعد (٩) اشهر، بعد ما إتخذت

مصر قرارها بمواجهة حلف بغداد في الفترة ينـاير وفبرايـر ١٩٥٥، حيـث كانـت مصـر تبحث عن أي دعم عربـي أو أسـيوي أو إفريقـي، حيـث لم تكـن تمـت وقـائع مـؤتمر «باندونج»، لأنـه كـان في إبريـل ١٩٥٥، وسـافر «سـعيد» إلى سـوريا ولبنـان، ولم يكـن «القوتلي» رئيس الجمهورية حيث كان الرئيس هو «هاشم الأتاسـي»، الـذي كـان يكـاد يكون من البقية الباقية من المناضلين القدامى، الذين عملوا على إقامة دولة سـوريا ضـد رغبة الأتراك القدامى، ثم ضد رغبة الفرنساويين .. وفي هذه الفترة أجريـت الإنتخابـات الرئاسية في سوريا، وفاز بها «شكري القـوتلي»، وقـام «سـعيد» بمقابلتـه وتهنئتـه بـالفوز الرئاسي، وحينها أبدى «القوتلي» تقديره الكامل لـ«عبـد الناصـر» في موقفـه مـن حلـف «بغداد»، ورغم انه نبـه إلى موقـف أخـر وهـو أن «ناصـر» حينهـا يوقـع إتفاقيـة الجـلاء الإنجليزي عن مصر، وهـذا يغضـب الإنجليـز فلـيس مـن المـانع أن يهـادن «ناصـر» الإنجليز في هذه الفترة، ويترك العراق يؤسس حلفه بدلا مـن أن يشـعل المنطقـة، وهـذا كان رأي «القوتلي»، وبعد أن ترك «سعيد» مكتب «القوتلي»، تقابل مع «محمـود ريـاض» السفير المصري في سوريا حينها، وأخبره بما قاله «القوتلي» وانه سوف يرسل مـا قالـه في تقرير إلى القاهرة، ومع هذا وقف «القوتلي» ضد حلف بغداد والتحالف التركي العراقـي، ولكنه كان يريد إتفاقًا شبيهًا بحلف بغداد يعقد بين مصر والسعودية وسوريا؛ وقـد نجـح «القوتلي» فيما بعد من تحييد الأردن عن حلف بغداد، وتوقيع إتفاق للتعـاون العسـكري بين البلدين، في حال العدوان الإسرائيلي على أحدهما، لأن «القـوتلي» بسياسـاته العروبيـة كان داعمًا للقومية العربية وللنموذج الناصري، وهذا جعلـه متحالفًـا مـع أحـزاب مثـل الحزب التعاوني الاشتراكي، وحزب البعث العربي الاشتراكي، بما ساعده عـلى كسـب وتأييد القوى القومية العربية..

ولكن في ذات الوقت كانت القاهرة تلعب بورقة ضغط في المنطقة العربية كلها، لأنها لو كانت القاهرة تركت العراق يكمل حلفه، لكـان إنتشـر الحلـف في الأردن ولبنان وسوريا كلها، علما بان لبنان كانت أبدت إستعدادتها مع السعودية للدخول في حلف بغداد، ولكنهما لم يعلنا عنه وحينها سـتكون مصـر بمفردهـا، والإنجليـز

يمكن أن لا ينفذوا وعودهم بالإنسحاب ولا يتم توقيع أي إتفاقية معهم، لان مصر ستكون دولة وحيدة ضد حلف بغداد ..

ويؤكد صاحب الذكريات: حينها انه لم يكن يعلم تفاصيل الإتفاقية، لانها لم تكن نشرت ولم توقع لا بحروف أولى ولا نهائية ولكن يشاء القدر أن يتقابل مرة أخرى مع «القوتلي» ويثير الموضوع، حيث كان يسجل تعليقات ضد حلف بغدلد على الهواء مباشرة، وسأله «القوتلي» الم تسافر يا «أحمد»؟، وأجابه «سعيد» بانه لم يسافر لأنه يسجل اراء وتعليقات ضد حلف بغداد، فقال «القوتلي» إذن أنتم مصممون على الهجوم على الحلف، ويشير «سعيد» هنا إلى عقلانية الرجل لأنه أبدى مخاوفه من أن تقطع بريطانيا مفاوضاتها مع مصر ..

فقال «سعيد» أن السياسة المصرية كانت ترى ضرورة الهجوم، وهى ترى وتعرف مصالحها جيدا، ولكنه كان يخشى من قطع المفاوضات، خاصة أن بريطانيا قطعتها أكثر من مرة قبل ذلك، وتتشدد فيها بل حتى لو وقعت يمكن أن لا تنفذ .. فهو كان رجل شديد العقلانية.

صفقة الأسلحة التشيكية :

ويكمل «أحمد سعيد» بعد عودته إلى القاهرة، حدث إنفجار رهيب في مصر، وهو إعلان «ناصر» عن حقيقة صفقة الاسلحة التشيكية في سبتمبر ١٩٥٥، وكان أعظم رد فعل عربي جاء من سوريا، لدرجة انه سافر مرة اخرى خصيصا لكي يسجل رد الفعل السوري، وأبرز ما قاله «القوتلي»، لقد ظهر الحق والان الإبتعاد عن مصر اصبح خطيئة في حق سوريا والعرب، وقبل ذلك كان تحدث عن حرية القرار المصري، وانه حق لمصر أن تنوع مصادر سلاحها، وهذا كان له تاثير كبير جدا لدى «عبد الناصر»، لانه صدر من زعيم بحجم ووزن «القوتلي»، ولان مصر كانت في هذه الفترة متهمة بأن ثورتها تتبع الأمريكان، وان أمريكا بتضغط على بريطانيا كي لا تهاجم «عبد الناصر» ومن أجل الجلاء، فجاءت صفقة الأسلحة التشيكية تكذب هذه الاقوال، وبدأ الصدام بين

«عبد الناصر» وبين أمريكا، لأنها كانت تعتقد انه بيضغط كي يكسب شعبية، وكانت توافق على هذا وتعتبره ديكتاتور مثل ديكتاتوريات امريكا اللاتينية، ولم يكن لديها مانع من هذا، ولكن بهذا القرار إنتهى كل هذا الشك حول «عبد الناصر» وثورته، ولكن حلف بغداد أثر بالطبع، لكن مقاومة مصر على الحلف كانت مستمرة.. إلا انها إعتبرتها قضية مصرية إنجليزية أو مصرية هاشمية .. حتى عندما إنضمت السعودية إلى مصر ضد حلف بغداد، بعد أن كانت موافقة عليه، إعتبرتها لعبة امريكية او انها حركة للإطاحة برموز الإنجليز في المنطقة، لتحل أمريكا بدلاً من الإنجليز في المنطقة العربية.. ولكن ما حدث أن جملة «القوتلي» كانت بالنسبة إلى القاهرة جملة غريبة، لكن تفسيرها يؤكد أن هذا الرجل كان زعيم حر ويتخذ قراره بنفسه، وحينها الأمريكان هاجوا والدنيا إنقلبت على «عبد الناصر»، وبعدها عقد إجتماع مجلس الوزراء في سوريا، وإتخذوا قرار بعمل صفقة أسلحة سوفيتية مثل صفقة مصر، وهنا حسب كلام «سعيد» يمكن القول أن «القوتلي» أعجب بـ«عبد الناصر» وبالثورة في هذه المرحلة، ووصل إلى إحدى النقاط الفاصلة، بدلالة توالت إجتماعتهما مع بعضهما (ناصر، القوتلي)، خاصة عندما بدأ «ناصر» في معظم خطبه أن يتحدث عن سوريا، وفي إحدى الخطب سنة ١٩٥٦، تحدث «ناصر» عن سوريا بأنها مثل مصر، بل يكادوا أن يكونا متشابهين، وان الشعب السوري يطالب بالوحدة، ثم في خطاب ثان قابل «عبد الناصر» وفد سوري كان بالقاهرة، وأخبرهم أن اي مشكلة خاصة بمصر يشعر بها الشعب السوري، واي مشكلة خاصة بسوريا يشعر بها الشعب المصري .. ثم أعطي تعليمات مباشرة للأهتمام باخبار سوريا، وكان من الطبيعي أن هذا المردود بدأ يتبلور في الأخر إلى نوع من أنواع التشابه السياسي، وهذا أصبح يعود بالكل إلى نقطة هامة جدا في حياة «القوتلي».

تاميم قناة السويس

ويقول «أحمد سعيد»:عندما قام «ناصر» في تاميم قناة السويس .. أصدر «شكري القوتلي» تصريح يؤيد ويبارك التأميم، وأعلن انه قرار تاريخي لا يخص مصر بمفردها،

بل يخص الأمة العربية كلها، وعندما بدا العدوان الثلاثي على مصر، إتصل «القوتلي» بـ«عبد الناصر» وسأله هل تعلن سوريا الحرب على إسرائيل؟

عبد الناصر: لا بل لديك موعداً في روسيا لإتمام صفقة الأسلحة، سافر ونحن كفيلون بهذا الموضوع، وضع كل الثقل السوري أمام السوفيت ..

وبالفعل سافر «القوتلي» إلى روسيا، وخاض معركة قوية مع «نيكيتا خرتشوف»، والوثائق الروسية نشرت وأكدت هذه المعركة، إلى الدرجة التي تشاجر فيها «القوتلي» معه ليتخذ إجراء حاسم ضد دول العدوان الثلاثي إنجلترا وفرنسا وإسرائيل، وأنهى زيارته وأراد أن يغادر، والروس عملوا عملية الصواريخ الموجهة إلى باريس ولندن وتل ابيب، وأعطاهم إنذار في الغرب بضرورة توقف العدوان على مصر، وهنا تدخلت امريكا مع السوفيت وانهوا العدوان الثلاثي على مصر .

مشروع إيزنهاور

ويذكر الزعيم الإعلامي: انه في عام ١٩٥٧ ، تم لقائين مع «شكري القوتلي» بعد أن أطلق الرئيس الأمريكي «إيزنهاور» مشروعه للشرق الأوسط، ومصر كانت تعاني من غيوم العدوان الثلاثي، وقررت أن لا تعير أي إهتمام لمشروع «إيزنهاور» سواء بالرفض أو القبول. ولكن سوريا سارعت بإتخاذ قرارها خلال إسبوع من إعلان مشروع «إيزنهاور»، حيث أعلنت رفضها له وأعتبرته نوع من أنواع التدخل والاحتلال بأسلوب المعونات، حيث رفضت سوريا عرضًا أمريكيًا بتقديم ٤٠٠ مليون دولار، أي أربع أضعاف حجم موازنة الدولة السورية، مقابل السلام مع إسرائيل وكسر الحلف مع «ناصر»، كما أعلنت إذاعة دمشق في الوقت ذاته إحباط مؤامرة إمريكية للانقلاب على حكم «القوتلي» ..

والعمل السياسي كان له موقف جيد لأنه رأى ضرورة إستشارة مصر قبل اتخاذ هذا القرار، وتم الاتصال بمصر والتشاور حول هذا الموضوع، ولكن مصر علقت

رأيها لأن ظروف العدوان لم تكن تسمح بـإعلان رأي مصـر، و«شـكري القـوتلي» أعتبـر أن الضـغط على الولايـات المتحـدة، يكـون عـن طريـق رفـض مشـروع «إيزنهاور» ،وتدارسوا هذا المشروع وانقسم مجلس الوزراء إلى قسمين بين مؤيـد ومعارض للمشروع الأمريكي، وتبقى وجهة نظـر رئـيس الجمهوريـة «القـوتلي»، وليس رئيس مجلس الوزراء، فرجح «القوتلي» قرار الرفض، وكان منطقه في هـذا، انه بدلا من أن ترفضه مصر فنحن بديلا عن مصر، وهذا يؤكد كيف بـدأ يتجـاوب مع الفكر الثوري بعقلانية، وهذا اتضـح في قراراتـه .. وتـم الضـغط عـلى سـوريا وبمنتهى الشدة، خاصـة أن مصـر أعلنـت رفضـها بعـد رفـض سـوريا لمشـروع «إيزنهاور»، وتم عمل أكثر من مؤامرة غربية ضد سوريا، وإنتفض «القوتلي» وقال: لقد فشلوا في إخضاع مصر، والآن يريدون إخضاع سوريا ..

وتحركت تركيا بعد هذا الخطاب ضد سوريا، متهمـة نظـام «القـوتلي» بتهديـد الأمن القومي التركي من خلال تحالفه مع الاتحاد السوفيتي. واستنجدت سوريا بمصر التي قامت بإرسال كتيبتين عسكريتين إلى سوريا في ٤ أكتوبر ١٩٥٧، فأعلن «القوتلي» أن وصول القوات المصرية إلى سـوريا هـو تأكيـداً عـلى وحـدة الكفـاح العربي وتضامن الشعبين ..

ومع التداعيات المتسارعة في ١ نوفمبر ١٩٥٧ كان «أحمد سعيد» في بيروت، وطلبت منه القيـادة في مصـر التوجـه إلى سـوريا بعـد وصـول الكتيبتـين العسـكريتين، وإلتقـى بـ«القوتلي» الذي كان بدأ مناقشات التجمعات والنخب في سوريا، والتي بدأت تتجـه إلى أن تطالب بالوحدة مع مصر عن طريق حزب «البعث»، الذي كان يقود هذا التكتـل مـع الحزب الوطني، ولكن حزب «الشعب» كان متردداً في أمر الوحدة، وأيضاً الشـيوعيون كانوا مترددون، وكذلك جماعة الإخوان في سوريا كانت مترددة، إلى درجـة أن «القـوتلي» عمل مشروع يكاد يكون صـورة مماثلـة لمـا فعلـه «جيفرسـون» في دسـتور الولايـات المتحدة عند إنشاءها، وتقدم به إلى مجلس الوزراء كرئيس دولـة، واجتمـع مـع رؤسـاء الأحزاب، وقد حضر «سعيد» هذا اللقاء، وسجل معه حوار حول مشـروعه الـذي كـان

مفاجئة للرأي العام بالفعل، لأنهم كانوا يرون أن رئيس الجمهورية السورية يصفي الدولة السورية، وحينها قال «القوتلي» عبارة أخذت عليه فيما بعد عند الدخول في تفاصيل الوحدة، عندما سألته بعض العناصر المترددة من الوحدة وقالوا له هذا تعجل؟

فقال: أريد أن أختم حياتي بأن أرفع علم الوحدة العربية فوق العلم السوري. وسأله «سعيد» خلال الحوار، بأنه أسر له أشياء كثيرة جدا ومنها ما يعتبر من الأسرار..

فقال «القوتلي»: هذا السر ينبغي أن يخرج للشعب العربي، وهو كيف يتعلمون أن يتحدوا مع بعضهم.

ويتمنى «سعيد» قائلاً: بأننا يا ليتنا سمعنا كلامه لأن هذا بالفعل كان سيجنب مصر مسئولية إدارة شئون سوريا، وكانت ستكون وحدة سياسية او حربية بميزانية مشتركة واتحادية فقط، وهذا كان سيجنبنا ما يقال عن حكم الوحدة، وزعمهم انه أدى إلى الانفصال.

وتطورت الوحدة تطور سريع، وقابل «سعيد» الرئيس «القوتلي» في سراي القبة عندما جاء إلى القاهرة لإعلان الوحدة، وسجل معه حوارا لإذاعة صوت العرب، ولكن صدرت التعليمات بعدم إذاعة التسجيل إلا بعد يومين، لأن الغد كان الإعلان عن الوحدة ثم الفرحة ثم إذاعة الحوار الذي وصفه «سعيد» بالثري في النصائح للتعامل مع الوحدة كمواطنين ونخب، وهذا كان يمثل ثورية ممزوجة بالعقلانية لأن الوحدة بمفردها ثورية، ولكن كيف نعقلها ونوجهها وننميها كأفراد ونخب؟، لأن المزيج العقلاني لدي «القوتلي» مع الثورية الموجودة لديه أيام شبابه، والتي اكتسبها خلال مقاومته للاستعمار الفرنسي، ثم الثورية التي واكبت ثورة مصر و«عبد الناصر» وظهور التوجه القومي في هذه المرحلة، فهذا المزيج كله مثل أكبر صدمة لـ«أحمد سعيد» عندما بارك «شكري القوتلي» الانفصال فيما بعد وأصدر بيان بذلك..

ومع أنه لم يبارك الانفصال في صياغته بذات الطريقة التي أعلنتها الخصوم

ولكن كان بالطريقة العقلانية أيضاً، لأنه قال لابد أن تعود الأمور إلى ما كانت عليه مرة أخرى لنحاول صناعة وحدة تبقى.

ويقول صوت عبد الناصر: انه قد حاول الإلتقاء به أكثر من مرة ولكن هذا لم يحدث . وتساءل كيف يفسر وجود «القوتلي» في سويسرا ؟.. مع أن «عبد الناصر» أرسل «جادو عز الدين» أحد قيادات ضباط الجيش السوري للقائه هناك ولكنه عاد وقال لم يجده !! ، هذا بدون تفسير! وحزب البعث وقع على الإنفصال و«ميشيل عفلق» رفض التوقيع ، و«صلاح البيطار» بكى وندم وأصدر بيان بأنه ندم عندما وقع على الإنفصال وأخطأ في حق الوحدة .. وكان من الأفضل أن نقول حدث إنقلاب عسكري أكبر من إمكانياتنا ولا ننفصل .

ويؤكد «سعيد» وهنا كان لابد وأن يدخل عنصر العقلانية بعض الشيء، لأنه عندما تم الإنفصال تحرك الأسطول السادس الأمريكي نحو البحر المتوسط، والسوفيت نفض يده من الأمر كله .. فكيف كانت ستقاوم مصر ؟؟ ثم أن رئيس قبرص إتصل بـ«عبد الناصر» وأخبره بهذا التحرك، مع انهم أعلنوا عن هذا التحرك ولم يخفوه .. ثم من الذي اعترف بالانفصال؟ الملك «حسين» ملك الأردن والشاه إيران، وحكومة «فرموزا»، ثم جاءت اعترافات أمريكا وإنجلترا ..

و«أحمد سيكتوري» رفض الاعتراف بالانفصال، و«عبد الناصر» قال: ستظل إعلام الجمهورية العربية مرتفعة .. وذهب رئيس وزراء الانفصال ووزير خارجية الانفصال إلى إفريقيا، حتى تعترف الدول الإفريقية بالانفصال في سوريا، ورفض «سيكتوري» أن يقابلهما، وقال انه لا يعرف وزير خارجية سوريا ولكنه يعرف وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة، وكان هذا هو المناخ الوطني التحرري السائد في تلك المرحلة التاريخية .



أحمد بن بيلا..

الزعيم العربي الكبير

والأب الروحي للشعب الجزائري.

يتذكر «أحمد سعيد» صاحب الذكريات: أول لقاء له مع الزعيم الجزائري «أحمد بن بيلا» قائلاً:هذا اللقاء كان في سبتمبر ١٩٥٣ وأثناء وجوده في مكتب الإذاعة، جاء إليه أحد أفراد الحراسة وأخبره أن شخصاً جزائرياً يريد مقابلته، فسمح له بالدخول، ودخل عليه هذا الجزائري فوجده شاب طويل صاحب بنية قوية، يرتدي ملابس عادية، وتظهر عليه آثار السفر من المشقة والتعب، وقدم نفسه على أنه جزائري فقط ولم يفصح عن أسمه وقال أنه يريد أن يتحدث مع المسؤول عن «صوت العرب».

فقال«سعيد» : أنه المسؤول عن صوت العرب، ولكنه مشغول حالياً في إعداد البرنامج الذي سيذاع في المساء، وطلب منه العودة إليه مرة اخرى في السابعة. وبالفعل حضر «بن بيلا» في الموعد المحدد وقال: إنه قادم من الإسكندرية بعد ما هرب من الجزائر عبر مارسيليا إلى مصر، ولا يعرف أحداً في القاهرة، ويريد الإستقرار فيها.

فأخبره «أحمد سعيد» بالتوجه إلى مكتب المغرب العربي، الذي كان يضم «علال الفاسي» الزعيم المغربي و«محمد خيضر» عضو مجلس قيادة الثورة الجزائرية فيما بعد، و«صالح بن يوسف» نائب «الحبيب بورقيبه» التونسي، لكن «بن بيلا» رفض هذا العرض، ولكن كانت التعليمات أن أي تعامل مع القادمين من دول شمال أفريقيا، لا بد أن يتم من خلال هذا المكتب.

فقال له سعيد : إنه لا يستطيع إلا أن يرشده إلى مكتب المغرب العربي.

فطلب بن بيلا من «أحمد سعيد» أن يصف له رواق المغاربة بالأزهر، حيث كان معه أسماء لبعض المغاربة يريد زيارتهم.

فطلب منه «سعيد» الانتظار حتى ينتهي من عمله ثم يصطحبه إلى الأزهر.

ويقول «سعيد» ولكنه بعد يومين عاد «بن بيلا» مرة أخرى اليه، ولم يكن قد

عرف اسمه، وقال: انـه لا يريـد أن يثقـل عـلى زملائـه في رواق المغاربـة، ولهـذا تركهم، فعرض عليه «سعيد» الذهاب إلى مكتـب تحريـر المغـرب العربـي للمـرة الثانية، ولكنه رفض مرة أخرى متعللا بأنه هارب ولا يريد أن يتعـرف عليـه أحـد، ويخشى أن يكون مكتب تحرير المغرب مراقباً.

فسأله «أحمد سعيد» : هل معه أموال تكفيه للمعيشة بمفرده؟.

فأجاب «بن بيلا » بان معه حوالي ١٠٠٠ فرنك.

فاصطحبه «أحمد سعيد» معه إلى كازينو بجوار كـوبري عبـاس وتنـاولا العشـاء ثـم اصطحبه إلى منزله وقضيا الليلة معا، فأسر «بـن بـيلا» إلى «سـعيد» وللمـرة الأولى بـأن اسمه «مزياني مسعود»، ثم إصطحبه لشراء بعض الملابس، وذهب بـه إلى بانسـيون في شارع عبدالخالق ثروت للإقامة به مقابل ٣٥ قرشا في اليـوم، وحـرص «سـعيد» عـلى اختيار هذا البانسيون لأنه مجاور للإذاعـة في الشـريفين، وقبـل إنصـرافه، طلـب مـن «بيلا» أن يداوم على الاتصال به، لأنه شعر أن وراء هذا الرجل سراً ولا بد من معرفته.

وبعد أن تركه «أحمد سعيد» فى البانسيون، قام بكتابـة تقريـره الـذي أوصـله إلى «فتحي الديب» مدير الشؤون العربية، وذكر فيه ما تم مع «أحمد بـن بـيلا» وسـجل فيه: أن هذا الجزائري «مزيانى مسعود» ليس مجرد لاجئاً عادياً هـرب إلى القـاهرة من ملاحقة بوليسية استعمارية، لإن لديه تحفظ يقـظ، وعنـداً شـديداً يمنعـه مـن الاتصال المباشر بغير الجزائريين أو المغاربة أو التوانسه، وإنه شديد الإنضباط فى تحركاته ويتحكم في انفعالاته، ولكن بعـض ألفاظـه العفويـة بالفرنسـية والعربيـة تعكس بساطة شخصية، وان نظرته إلى الزعامات السياسية والتنظيمـات الحزبيـة، أو الجمعيات الدينية وعلى رأسها جمعيـة العلمـاء المسـلمين في الجزائـر، تتجـاوز بكثير تمسك هذه الزعامات على حصر كفاحها على النشاط السياسـى فقـط، رغـم تأكيده على احترامه لبعض هذه الزعامات وأغلبها من جماعة العلماء، وان كثير مـن شباب الأحزاب يئسوا من إمكانية تحقيق مكاسب وطنية بالعمل السياسى..

وإن اندلاع الثورة أوشك أن يشمل كل بلاد المغرب وأصبح يوجد تفكير فى تطوير المواجهة مع الاستعمار الفرنسي، بعمل غير سياسى يكون أكثر ايجابية، وبالفعل حدث نوعا من التمرد في صفوف الشباب على قيادتهم الحزبية، وذكر بعض من هذه الأسماء وهو يذكر هذه الصراعات داخل التنظيمات السياسية بعضها كان قد سمع به «أحمد سعيد» من «محمد خيضر» مثل «الأمين دباغين» و«فرحات عباس»، وبعضها لم يسمع عنها أحد بالقاهرة من قبل مثل «عبدالحميد مهرى» و«محمد بوضياف».

ويؤكد «سعيد»: على أن هذا التقرير كان هو الخطوة الأولى فى توطيد العلاقات بين مصر بقيادة «عبدالناصر» وبين الثورة الجزائرية، حيث كانت صوت العرب هى العامل الرئيسي الذى بدأ من خلاله تواصل ثوار الجزائر بثوار مصر، وذلك فى سياق مهمتها التى شيدت من أجلها عام ١٩٥٣، لتحرير الوطن العربي.

ويكتشف الزعيم العروبي: انه كلما كان يلتقي مع «بن بيلا»، في كل مرة يشعر بأنه يعطيه معلومات، إلى أن أخطأ «أحمد بن بلا» في إحدى اللقاءات، وذكر له معلومات عن حادثة «وهران».

وحينها قال له «سعيد»: اذاً أنت أحد الهاربين من السجن هناك؟!

فارتبك «بن بيلا»، وأكمل حواره عن حادثة «وهران» التي إشتهرت في تاريخ الاستعمار الفرنسي بأسم عملية مكتب البريد وكانت تمت بواسطة مجموعة فدائية تضم «بن بيلا» وبعض زملائه، ثم اعترف لـ«أحمد سعيد» بأن اسمه الحقيقي «أحمد بن بيلا» وانه نجح في الهروب من السجن، مع زميله « محساس»، والذي أصبح بعد ذلك وزيرا في حكومة «أحمد بن بلا».

ويشير الزعيم الإعلامي:

إلى انه بعد وصول التقرير الخاص بـ«بن بيلا» عن إقامته وتحركاته ولقاءاته،

ومدى إمكانية تفجير الثورة الجزائرية إلى «عبد الناصر» عن طريق «فتحي الديب» رئيس الشؤون العربية بالمخابرات العامة، سأله «عبد الناصر» إلى أى مدى يمكن لك أن تثق فى هذا الشاب؟

الديب : أثق فيه إلى أقصى درجة، لأنه من نوعية فريدة فى عالمنا العربى ولم أتقابل مع مثله من قبل، لأنه صادق ولديه إيمان وإخلاص بقضيته وعزم لا يلين ويتمتع بصلابة الرجال، وله مهمة كبرى وفائدة عظيمة لفتح جبهة لمصر فى قلب الشمال الأفريقى عن طريق الجزائر، وذلك سيكون ضربة قوية للاستعمار الفرنسى.

عبدالناصر: سأوافق على مبدأ دعم حركة النضال المسلح بالجزائر ولكن لابد وأن تتابع الترتيبات والتحضيرات بنفسك وبمنتهى الدقة وتخبرني بها أولا بأول قبل أن أقابل «بن بيلا».

ويقول سعيد: عن لقاء «بن بيلا» مع «عبدالناصر» انهم اضطروا لإحضار مترجم لهما، لأن «بن بيلا» لم يكن يتحدث العربية، ورغم ذلك اقتربا من بعضهما، وتقابلت الأفكار والآراء، وشعرت القلوب بالدفء والصدق والإخلاص.

ويقول الزعيم القومي بنبرة لا تخلو من الفخر والإعتزاز:انه حضر اللحظات الأولى لإرهاصات الثورة الجزائرية، لأنه عندما تم تحديد أول نوفمبر ١٩٥٤ موعداً لثورة الجزائر، كان تم الاتفاق على أنها ستشتعل في ١٦ مكاناً مؤثراً، وكانت التعليمات لو استطاع الثوار تفجير الثورة في اكثر من ٩ أماكن، فسوف تذيع صوت العرب بيان الثورة، أما إذا انفجرت في أقل من هذا فلن يذاع البيان، ولهذا كان لا بد من كتابة البيان، وعليه اجتمع في مكتب «أحمد سعيد» بالإذاعة المصرية «أحمد بن بيلا» و«محمد خيضر» و«أحمد توفيق المدني» ومعهم «فتحي الديب» وحرص الجميع على كتابة البيان بخط اليد، وكانت هذه العملية في منتهى الصعوبة، لأنهم كانوا يريدون تنفيذ هذا في المخابرات، لكن جاءت التعليمات بعدم الذهاب إلى

المخابرات، حتى لا يعرف موعد الثورة لأنه لم تكن كل المخابرات تعرف هذا الموضوع، وبالتالي لم يكن يعرف بالموعد الا «فتحي الديب» مدير الشؤون العربية فقط ومساعداه.

ويؤكد «سعيد» قائلاً: بالفعل تم كتابة بيان الثورة الجزائرية، وتم عمل ٨ نسخ منه حسب عدد الجهات التي سيوزع عليها، بما فيها قسم الوثائق في المخابرات و«صوت العرب»، وحصل «أحمد سعيد» على نسخة «صوت العرب» إلى أن وصلت المعلومات عن الأماكن التي إندلعت فيها الثورة وقد تجاوزت ٩ مواقع، وبناء عليه أعلن «أحمد سعيد» بيان الثورة في نشرة العاشرة والنصف مساء أول نوفمبر ١٩٥٤. وبدأت المساعدات والإمدادات المصرية تتدفق على الثورة الجزائرية ما بين السلاح والمال، وحتى الرجال، وقامت المخابرات المصرية بكافة الأدوار المعنوية والمادية والخبرات لتهيئة كل السبل لانطلاق وإنجاح الثورة..

ويذكر صوت عبد الناصر:

أن «بن بيلا» كان عاد إلى القاهرة في ٩ أكتوبر ١٩٥٤ بعد اجتماع فى العاصمة السويسرية «برن» مع كل من «مصطفى بن بوالعبد» و«ديدوش مراد» و«كريم بلقاس» و«بن مهيدى العربى»، و«محمد بوضياف»، و«بيطاط محمد»، وأبلغهم «بن بيلا» أن «عبدالناصر» وافق على دعم كفاحهم ماديا ومعنويا، وبالتالي وافق الجميع على خطة بدء الكفاح المسلح التى تمت مناقشتها فى القاهرة، وتحدد التحرك لها ساعة الصفر ٣٠ أكتوبر، وغادر «بن بيلا» القاهرة إلى ليبيا يوم ٢٢ أكتوبر ليتابع عملية التنفيذ من ليبيا، وحينها أعطاه «فتحي الديب» ٥ آلاف جنيه لشراء كميات من الأسلحة والذخيرة المتوفرة من السوق السوداء الليبية لمباشرة عملية المقاومة فوراً، لحين تزويدهم بالكميات اللازمة من مخازن الجيش المصرى، وتدفقت المساعدات بعد ذلك وشملت شحنات من البنادق

والرشاشات وذخائر وأسلحة أخرى أدخلتها المخابرات المصرية إلى الجزائر عن طريق الحدود مع المغرب وليبيا، وكانت مصر قدمت هذه الأسلحة بالكامل إلى جيش التحرير الجزائرى دون مقابل، بل حتى السلاح النوعى الذى احتاج إليه ثوار الجزائر، بجانب السلاح المصرى، حصلوا علية من الهند، وكان بتدخل من «عبد الناصر» شخصياً لدى «نهرو» الذي وافق على إمداد ثوار الجزائر بالسلاح، وهذا اكد على أن مصر بثقلها الكبير ساعدت وتبنت الثورة الجزائرية، وهو ما ساعد الثوار في عرض قضيتهم فى المحافل الدولية، وأيضاً الملك «سعود» تبرع بمبلغ ١٠٠ ألف جنيه لمصر وبجهود «عبد الناصر» على أن تقوم مصر بإنفاقه على الكفاح الجزائري المسلح.

وبدأت شرارة المد الثورى الجزائرى في١ نوفمبر ١٩٥٤، واستمر الكفاح سنوات، وكانت المخططات الثورية تتم فى مصر بهدف أن تحرير واستقلال أى بلد عربى هو تأكيد لاستقلال مصر، وتلك الرؤية التى غيرت مجرى الوطن العربى ورفعت إعلامه خفاقة فى الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى..

ويتذكر الإعلامي الأشهر:

حادث القبض على «بن بيلا» حيث كان مع زملائه «محمد بوضياف» و«محمد خضير» و«مصطفى الأشرف» و« آيت أحمد حسين» في «الرباط» عاصمة المغرب، بدعوة من الملك «محمد الخامس» والذي كان أصدر أوامره بان تكون طائرته تحت تصرفهم للعودة على متنها، وفي يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٥٦، إستقلوا طائرة تابعة لشركة الطيران المغربية، وكانوا سيحضورون مؤتمر عن القضية الجزائرية سيعقد في اليوم التالي في تونس، وهبطت الطائرة في جزيرة «ماريوكا» الأسبانية للتزود بالوقود، وحينها تلقى قائد الطائرة أمراً من السلطات الفرنسية، بأن يتوجه إلى مطار الجزائر، ولكن الطيار رفض، فأرسلت عدداً من الطائرات الحربية الفرنسية، وحاصرت الطائرة وتم إجبار قائدها على التوجه إلى الجزائر بدلاً من

تونس، وما كادت ابوابها تفتح حتى فوجيء زعماء وقادة الثورة بقوات الإحتلال الفرنسي تلقي القبض عليهم، وتضع القيود في معاصمهم وتنقلهم إلى أحد السجون الفرنسية، وهذا الأمر أشعل الثورة في العالم العربي ضد فرنسا، خاصة أن الحادث تم قبل إسبوع واحد من العدوان الثلاثي على مصر، وضرب محطات الإرسال المصرية في ابو زعبل، وانقطع إرسال «صوت العرب» والبرنامج العام مطلع نوفمبر ١٩٥٦، إضافة إلى إضراب اتحاد العمال العرب.

ويقول «سعيد» بالطبع، أن الحظ خدمهم إعلاميا من خلال هذه الأحداث الكبرى، مما زاد من اشتعال الوطن العربي غضباً، وتم تأجيج مشاعر الغضب ضد الإحتلال الفرنسي.

ويستشهد «صاحب الذكريات:بجزء كبير من حوار «أحمد بن بيلا» مع كاتب هذه الذكريات قائلاً: «ممدوح» تذكر الحوار الذي رتبته لك مع «بن بيلا» عندما جاء إلى القاهرة، وتحدث معك عن إنشائه مفهوم العولمة الإنسانية الأخلاقية ضد العولمة الإستبدادية الغربية، حيث قال لك : أن النخب عليها مهام كثيرة لا يجب أن تتخلي عنها لتبصير الجماهير العربية وزيادة وعيها بما يحاط بها من مخاطر.. وإنه بصدد إنشاء جمعيات للعولمة الإنسانية، للقيام بدورها في مواجهة ما يهدد غالبية البشر من اخطار العولمة المعاصرة بتطبيقها ذات الأهداف الاستعمارية، وان هذه الجمعيات سوف تكون اقليمية وعالمية، وتدعو بمختلف اللغات إلي تبصير الشعوب كافة وتضامنها معاً لدرأ كل ما تتعرض له من خطط عولمة اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية تهدد حقوق البشر علي اختلاف شعوبهم وتحول دون تطلعاتهم المشروعة إلي حريات كاملة وتمتعهم بثروات أوطانهم، وعناصر الحياة الكريمة.. ودور المثقف العربي الواعي أن يساعد هذه الجمعيات علي تفعيل دورها وتنشيطها..

وأكد لك إننا كعرب بحاجة إلي العولمة الأخلاقية الإنسانية وكل هذا في حاجة

إلي تكتل نوع جديد في العلاقات العربية، لأن ما كان يستاء منه عندما تقوم الشركات المستغلة والعابرة للقارات، بالدعوة إلي مؤتمراتها، فلا تجد عربيا واحدا سوي فرد أو اثنين وهذا خطأ، لأننا لو حضرنا واستطعنا أن نناقش أو نضغط بفكرنا وآرائنا لأن هؤلاء بيدهم صناعة الدواء والغذاء، بل أكثر من ٩٠٪ من الملكية الفكرية لصناعة الأدوية بيد هذه الشركات، والتواجد بينهم والتظاهر ضدهم هو الوسيلة الوحيدة لنا.. خاصة بعد قيام مظاهرة مليونية ضد العولمة، وفي لندن وأوروبا قامت مظاهرات كثيرة مناهضة للعولمة بالرغم من أن أوروبا هى التي ابتكرت العولمة، ووصف لك أن الموقف صعب علي العرب جدا حيث توجد الثروات في بلادهم ولكن حكامهم أصبحوا يحكمون بالوكالة للقطب الأوحد الأمريكي، الذي أصبح الوكيل الذي يحارب عن إسرائيل بالوكالة.

وانهم يدعون إلي الفرقة بين الصف العربي الراهن والوضع الإسلامي.. فبعد اغتصاب العراق واحتلاله يهددون ٥ دول العراق وليبيا وسوريا والسودان وايران، لأنه كان يرى ما يحدث هى حرب صليبية أخري غير معلنة وتهديد للعروبة والإسلام.. وهذا ما تم بالفعل حسب وجهة نظره، لأن الغرب يريد أن يتحكم في اقتصادياتنا، وإلا فكيف يشترون سلعاً وهم يتحكمون في أسعارها؟.. وإذا باعوا لنا سلعاً يتحكمون أيضا في الأسعار، ويضعون مصطلحات رنانة تحت الضغط العالمي والأمم المتحدة.. فالقطب الأوحد لا يهمه إلا مصالحه ويريد أن يتحكم في اقتصاديات العالم، وكان يرى أن النظام العالمي كله تراكمات خطيرة جدا يجب أن نعيها جيداً.

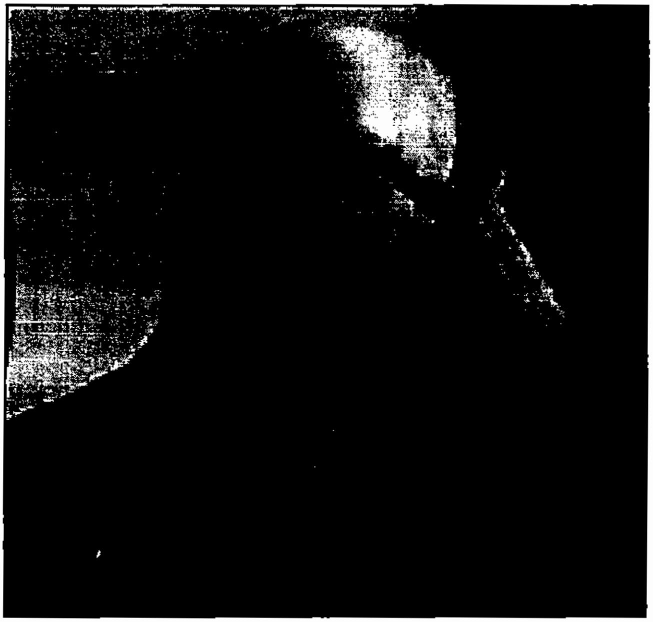
وكان يطالب بالإستفادة مما نطلق عليه بالوعي الإنساني أو وعياً عالمياً إنسانياً، لدى الإنسان في الغرب الأوربي، فالكل يري الصورة جيدًا وهذه العولمة الإنسانية، وهذه الشعوب لديها مكارم الأخلاق، لأنه تعامل مع الشباب الأوروبي واحترم عقله لأنه يؤمن بالحق العربي، وكثير منهم مناهض للعولمة الاستعمارية الاستعلائية، ولهذا علينا أن نقيم من أجل العولمة الأخلاقية ندوات ومؤتمرات

لتظهر فيها قضيتنا.

وكان يحث العالم العربي على النهوض وطالب الشعوب العربية أن تنهض وعليها أن تعمل علي ذلك بالتضامن في الأزمات، وتبادل المعلومات، ولا ينتظروا أن يأخذ الله عدوهم من حيث لا يحتسبون، وكان يرى إمكانية البداية أن تكون من مصر بتاريخها ووعيها الحضاري وثقلها في المنطقة، وبزيادة الوعي للشعوب العربية، وذلك بعمل برنامج كبير يشارك فيه الكل لندافع عن حقوقنا، ويعرف الجميع أن إسرائيل هي العدو الحقيقي للعرب.

ولكنه كان حزيناً لأن الدور العربي به قصور شديد في مواجهة مخاطر العولمة مقارنة بتوجهات الجماهير في الغرب حيث رفض هذه العولمة في تزايد مستمر

وفكرة طرحه مشروع التسيير الذاتي هو أحد المشروعات التي تعتمد علي أن يتم تعبئة القوي الشعبية في الريف لإنتاج المحاصيل التي تعتمد عليها البلاد، ويكون هذا تعبويا بمعني اننا نعبئ كل قوانا في هذا الاتجاه، وقد تأكد أن العولمة بحاجة إلي مواجهة فعلية وليس بالكلام والشعارات لاننا يجب أن نحتاط من كل اتجاه ونكون مستعدين لأن نغير الاتجاه في أي لحظة وهذا المشروع أحد فنون تغيير الاتجاه، فلو تم ما نصبو إليه من هذا المشروع فسوف يصبح الاكتفاء الذاتي من بعض السلع الحيوية أمراً مؤكداً بتغليب ثقافة المصنع (الإنتاج) علي أي ثقافة أخري لإن تهيئة أجواء المشروع حتي يكون في يوم البدء في يوم انطلاقة هو أهم من أن تقبل مشروعاً بلا دراسة فيكون بلا جدوي، ونستمر في ثقافة الاستهلاك ونبتعد عن ثقافة الإنتاج.



سي الحبيب بورقيبة

يتذكر «أحمد سعيد» صاحب الذكريات: أول مرة شاهد فيها الزعيم التونسي الكبير «الحبيب بورقيبة»، وكانت في عام ١٩٥٠، عندما كان «أحمد سعيد» لازال طالباً في السنة الثالثة كلية الحقوق جامعة «فؤاد الأول» القاهرة حاليا، حيث إشترك في مظاهرة ضد النظام القائم حينها، بسبب فشل محاولات الحكومة المصرية في المفاوضات مع الإنجليز للجلاء عن مصر، ويقول «سعيد» خرجت مظاهرات الطلبة من جامعة فؤاد الأول، وإلتقوا بطلبة طب القصر العيني في شارع القصر العيني، وقرروا أن يذهبوا إلى دار الحكمة بجاردن سيتي، وبدأ الزحف الطلابي من كل الجوانب، وإشتدت مقاومة رجال البوليس لمنع التظاهرات، والطلبة قاومتهم بالرشق بالحجارة، ولكن تمت محاصرة المتظاهرين، حتى وصلوا إلى مكان جامعة الدول العربية الحالي، وبدأوا يتجهوا نحو قصر «الدوبارة» ولكنهم فوجئوا بان الشرطة بدأت تطلق عليهم قنابل الغاز لتفريقهم، وجنود الإنجليز كانوا يطلقون عليهم الرصاص من المعسكرات حتى لا يقتحموا قصر «الدوبارة» ..

ويؤكد «سعيد» انه تم إحتجازهم ومحاصراتهم في هذا المكان، من الساعة الواحدة والنصف ظهرا حتى آذان المغرب، وظلوا يحمسون أنفسهم بأن يخرج كل واحد لديه القدرة على إشعال الحماس في المتظاهرين، ليخطب فيهم خطبة حماسية تلهب مشاعرهم وتؤجج ثورتهم، وكل خطيب حسب توجهاتة السياسية، فقد كان منهم يساريون ووفديون ومن مصر الفتاة، ومن جماعة الإخوان، ويقول «سعيد» لكن فجأة ظهر شاب قصير القامة، ورأيناه يصعد على سيارة وبدأ يخطب في المتظاهرين بلغة عربية فصحى، ولكن يظهر فيها إختلاف اللهجة عن اللغة العربية العادية .. وبدأ يحمس المتظاهرين ويلومهم في ذات الوقت، ويتهمهم بأنهم قاصرين التظاهر والغضب على الإحتلال الإنجليزي في مصر فقط، لأنهم لا يهاجمون الإحتلال في المغرب أو الجزائر أو تونس في مظاهراتهم ..

تحريك الجماهير

وتذكر «أحمد سعيد» صورة هذا الشاب لأنها كانت تمر عليه كثيرا في الصحف، حيث كان «سعيد» بدأ العمل في الصحافة منذ عام ١٩٤٥ وهو طالب، ونشرت له موضوعات صحفية صغيرة في مجلتي «اخر ساعة» و«دار الهلال»، وكان قد شاهد صورة لهذا الخطيب القصير في حوار له في جريدة «الأخبار» .. ويقول «سعيد» انه أعجب به كثيرا لانه كان خطيب جيد جدا، إستطاع أن يلهب الحماس ويؤجج النفوس، ولكن لاحظ «سعيد» عليه قيامه ببعض الحركات التمثيلية خلال خطبته الحماسية، وقد تأكد «سعيد» من هذا عندما قابل «بورقيبة» بعد ذلك ..

ويقول «سعيد» في هذه الفترة تحديدا، كان يوجد زعيمين سياسيين قامت حولهما ضجة سياسية وإعلامية كبيرة جدا، وهما الأمير «عبد الكريم الخطابي»، بطل حرب التحرير ضد الإستعمار الأسباني، وقائد المقاومة الريفية في المغرب، والزعيم المغربي «علال الفاسي»، السياسي والأديب ومؤسس حزب الإستقلال، وزعيم الحركة الوطنية في المغرب، بعد أن جاءا إلى مصر، بخلاف مجيئ «الحبيب بورقيبة» الذي لم يثار حول مجيئة ضجة إعلامية ..

ويعلل «سعيد» سبب الضجة التي كانت حول «عبد الكريم الخطابي» بسبب ظروفة الصحية، أو كانت للضغوط التي تمت على فرنسا، حيث كان منفيا في إحدى الجزر الفرنسية في المحيط الهندي، وتقرر نقله إلى فرنسا للإسترخاء الصحي، ولكن المسئولين المصريين في هذه الفترة قاموا بإتصالات معينة مع الأمير «عبد الكريم الخطابي»، والزعيم «علال الفاسي»، الذي كان قد تم قبوله كلاجئ سياسي في مصر، قبل إسبوع واحد من مجيئ الأمير «الخطابي»، كان قد تم ضغوط شديدة ومجهودات جبارة من «عبد الرحمن عزام» باشا أول أمين عام لجامعة الدول العربية، وعليه تمت عملية تهريب «الخطابي» من المركب، وهى

تعبر به قناة السويس، وكلف بذلك ضابط مصري كان موجود في منطقة القناة، ويدعى «صلاح الدسوقي»، الذي أصبح فيما بعد أركان حرب في وزارة الداخلية ثم محافظ القاهرة، وبالفعل نجح «الدسوقي» مع بعض زملائه في تهريب الأمير «الخطابي»، مما كان له دوي كبير جدا في مصر، وظهر هو والزعيم «علال الفاسي» في هذه الفترة ظهورا ساطعا، سياسيا وإعلاميا ..

وفي هذه الفترة كان «أحمد سعيد» يحاول أن يدخل دهاليز السياسة من خلال الصحافة، وكان نشر له أحد الأعمال الصحفية في مجلة «اخر ساعة»، حول جامعة الدول العربية عندما أنشأت في ١٩٤٥ بطريقة خاطئة، لإنها أعتبرت أن العالم العربي هو فقط المشرق العربي، فذهب ليقابل «علال الفاسي» لانه هو الذي كان أثار هذا الموضوع، وكان لـ«سعيد» السبق في النشر حينها في جريدة «الأهرام»، ومنذ هذا التاريخ أصبح يوجد علاقة بين «سعيد» وبين الزعيم «علال الفاسي» .. ومن هنا تقابل صحفيا مع الأمير «عبد الكريم الخطابي»، وأثناء اللقاء جاء «الحبيب بورقيبة» لمقابلة الأمير«الخطابي.. ».

ويقول «سعيد» شعرت أن «الأمير عبد الكريم الخطابي» أب، وان «علال الفاسي» زعيم بمعنى الكلمة .. ويكمل أن افضل تعبير يقال على «بورقيبة» ويعترف قائلا: ومع أن هذا سيغضب ناس كثيرين جدا من محبيه إلا انه كان ممثل كبير(!!).. ويؤكد أن «الحبيب بورقيبة» إعترف له بعد ذلك، أن «يوسف وهبي» هو من علمه الأداء التمثيلي في الخطابة، حيث كان معه يوميا في المسرح لانه كان معجب به جدا ..

ويؤكد الزعيم القومي:

أن «الحبيب بورقيبة» جاء إلى مصر عام ١٩٤٣، حيث كانت القاهرة هي المنفى الإختياري له، ثم عاد إلى تونس في عام ١٩٤٨، ثم سافر من جديد إلى فرنسا سنة ١٩٥٠، ليقدم مشروع إصلاحي للحكومة الفرنسية، قبل أن يرجع إلى

تونس مرة أخرى في ١٩٥٢، معلنا انعدام ثقة التونسيين بالفرنسيين وعندما اندلعت الثورة المسلحة التونسية في ١٨ يونية ١٩٥٢، اعتقل الزعيم «الحبيب بورقيبة» وزملاؤه في الحزب، وتنقل بين السجون في تونس وفرنسا، ثم بدأت فرنسا في التفاوض معه، فعاد إلى تونس في عام ١٩٥٥ ليستقبله الشعب إستقبال الفاتحين، وتمكن من تحريك الجماهير، لتوقع فرنسا المعاهدة عام ١٩٥٥، والتي منحت تونس استقلالها الداخلي.. ويقول «سعيد» أن هذه الاتفاقية عارضها الزعيم «صالح بن يوسف»، ووصفها أنها خطوة إلى الوراء، مما أدى إلى وجود صراع بين «بورقيبة وبن يوسف»، واتهام خصومه السياسيون له بالتهاون والتخاذل والتفريط ..

قوة شخصيته

ويسترجع صوت عبد الناصر: ذاكرته في الربط بين أداء «الحبيب بورقيبة» التمثيلي في الخطابة، إلى إعجابه بـ«يوسف وهبي»، وان هذا فسر له بعض الحركات التي كان يقوم بها «بورقيبة» في مؤتمر «صفاقس» عام ١٩٥٦، في خطابه امام الجماهير، وما قام به من حركات تمثيلية ..

ويصف «سعيد» الزعيم «بورقيبة» بأنه كانت له ملكات الممثل الجيد الصادق صاحب الرؤية، وأيضاً يصفه بالخطيب الجيد، والمتحدث اللبق المتمكن من أدواته، والذي تحب أن تجلس معه وتسهر معه دون ملل أو ضجر، ولو كان لدى «سعيد» فرصة للاختيار بين أكثر من سهرة سياسية، مع الأمير «الخطابي» او الزعيم «الفاسي» أو مع «بورقيبة»، فهو كصحفي أو سياسي في إحتياج إلى معلومات، ولهذا كان سيختار «بورقيبة»، حتى لو كانت معلومات الثلاثة متساوية حينها سيفضل «بورقيبة»، لأن سهرته ستكون مفيدة، بما لديه من معلومات جيدة في السياسة أو المكياج، أو الفن أو الأدب أو عن تونس الشقيقة، لأنه كان رجل بانوراما متكامل، وقد يفاجئ جالسيه وهو يقول النكت اللاذعة، ويكتشفون انه

رجل ظريف حتى وإن إختلفتوا معه، لكـن لا يستطيعوا إلا أن يحبونـه وينبهـروا بقوة شخصيته وثقافته وذكائه وطموحه..

وعن مؤتمر «صفاقس» الذي أشار إليه، يقول «سعيد» كانت مصر أرسلت وفد رسمي إلى تونس، وكان مكون من الشيخ «أحمد حسن الباقوري» وزيـر الأوقـاف، رئيسًا للوفد، والدكتور «إبراهيم سلامة» أستاذ الأدب لشـمال إفريقيـا والأنـدلس بجامعة القاهرة، وكان معهـم «أحمـد سـعيد» صـاحب الـذكريات لتهنئـة الشـعب التونسي بالإستقلال في مارس ١٩٥٦، ولم يكن قـد تـم التوقيـع عـلى الإسـتقلال، ولكن فرنسا وافقت عليه من حيث المبدأ تحت ضغوط الثورة التونسية المسـلحة ضد الإحتلال ..

ويذكر «سعيد» أن الوفد المصري كان سيذهب أيضاً إلى المغرب لتهنأة الملك «محمد محمد الخامس» بعـد عودتـه مـن المنفـى وإعـلان إسـتقلال المغـرب، وإنسحاب القوات الفرنسية، وهذه كانت مهمة الوفد المصري الرسمية..وبالفعل سافر الوفد المصري إلى تونس أولا، وكـان التنـافس شـديد جـدا بـين «الحبيـب بورقيبة» وبين «صالح بن يوسـف جنيـدي»، الرجـل القـوي ذو الإتجـاه القـومي العربي، والذي كان منافساً لـ«الحبيب بورقيبة»، الذي كـان يـرى انـه لا يجـب أن يورط بلاده في مشاكله مع العرب، لان دولته صـغيرة وإمكانياتهـا ضـعيفة وشـعبه قليل العدد ..

وعندما وصل الوفد المصري إلى تونس وجد الصـراع بينهمـا عـلى أشـده بـين رئيس حزب الدستور الجديد وبين نائبه لدرجة أنهم انفصلوا عن بعضـهما، وهـذا إنضم له جزء من الشعب والأخر انضم إليـه جـزء آخـر، حتـى الحكومـة نفسـها انقسمت أيضا فيمـا بينهـا، وأصـبح الاثنـان لايحكمـان، ولكـن بعـد الاسـتقلال سيحكمان ..

وقد أقام «بورقيبة» مؤتمره في مدينـة «صـفاقس» في الجنـوب وحضـره الوفـد

المصري وجلس في الصف الأول لأنهم كانوا ممثلين لـ«جمال عبد الناصر» ..

وحضر «بورقيبة» المؤتمر ليقف على المنصة، ليلقى خطبته وسط الجماهير المؤيدة له، وكان قصير القامة فوضعوا له شيئ عاليا ليقف فوقه .. وكان «بورقيبة» يعرف انه في مأزق شديد لان «صالح بن يوسف جنيدي» رجل قوي ويقود الشارع والتنظيمات السياسية، وله مناصرين حيث كان متواجد بينهم، لكن «بورقيبة» كان في المنفى وبعيداً عن الشارع التونسي، وعندما عاد ذهب إلى السجن، و«صالح بن يوسف» كان قد دعا إلى مؤتمر أخر في ملعب الكرة، الذي يسع لـ(٦٠) الف فرد، غير المتواجدين في الملعب بالعاصمة تونس، والكل يعلم مدى قوة «صالح بن يوسف»، وكان الوفد المصري سيحضر مؤتمره في اليوم الثاني لمؤتمر «بورقيبة» الذي كان يحاول أن يستميل قيادات الحزب ويحاول أن يستقطبها حتى لا تذهب إلى مؤتمر الغد الذي سيعقده «صالح بن يوسف» .. ولهذا استخدم «بورقيبة» كل قدراته التمثيلية خلال خطبته السياسية في هذا اليوم، وقد لفت النظر انه كان يقول عبارة واحدة اكثر من مرة مع تكراره لحركة واحدة أيضاً اكثر من مرة ..

حيث كان يقول «انا بكم إيه؟.. ومن غيركم إيه؟ .. ويكمل قائلا: انا من غيركم فأر صغير، ويختفي من المنصة تحت المنبر الذي يخطب فوقه .. وفجأة يقفز إلى أعلى بمنتهى القوة قائلا: انا بكم جبل كبير وأسد هصور..

ويقول «سعيد» بالطبع فيه جماهير تأثرت وقيادات إندهشت وانتهى حفل «بورقيبة» ..ثم ذهب الوفد المصري إلى الغذاء، وقدم اليهم الشاي في قاعة بها (٢٠) من رجال «بورقيبة»، الذي سأل الوفد المصري قائلاً : رايحين بكره فين ؟

فأجابوا بأنهم سيذهبون إلى مؤتمر الغد في ملعب الكرة ..

فسألهم عن رأيهم في خطابه الذي ألقاه في المؤتمر؟

وأجاب الوفد بكلام مهذب ..

وعندما سأل «أحمد سعيد» عن رأيه ؟

فقال: سي «الحبيب» أن أروع ماقيل في خطاب المؤتمر، حكاية الفأر والأسد الهصور !!

فقال «بورقيبة» أنت فاهمني طبعا؟

فقال «سعيد» هذه قمة الأداء، والعالم كله كان مبهور، وانت عبرت أدق تعبير . فسأله انت غدا رايح إلى مؤتمر «صالح» ؟

فأجاب بنعم ..

فقال: ولماذا رفضت أن تقول كلمة في المؤتمر ؟

فقال : هم طلبوا كلمة من الشيخ «الباقوري»، وقد قالها وعندما طلبوني قلت: رئيس الوفد قال كلمتنا (حيث كان أحمد سعيد لا يريد أن يتورط في شيئ)

ولكن «الحبيب» قال : لابد وان تقول شيئ في الجلسة المسائية ؟

فقال «سعيد» نحن سنسافر الآن ..

فقال «بورقيبة» سأجعلهم يوقفوك، أو يعتقلوك !!

فضحك «سعيد» وقال: سيعتقلونني الأن قبل أن تتولى المسئولية والحكم؟

ويقول سعيد«حينها تدخل الشيخ «الباقوري»، ولم الموضوع حين قام واقفا، وسلم على الجميع حتى يغادر الوفد إلى مؤتمر «صالح بن يوسف».

ويقول الإعلامي الأشهر :

ان الوفد المصري ذهب إلى العاصمة التونسية، وحضر مؤتمر «بن يوسف» وخطب «سعيد» في كلمته عن القومية العربية، وبعد يومين من المؤتمر وقبل سفر الوفد المصري إلى المغرب، جاء «الحبيب بورقيبة» يسلم على الوفد المصري،

وأراد أن يدق إسفين بينهم حيث كان إستمع إلى كلمة الشيخ «الباقوري» التي قالها في مؤتمر «صالح بن يوسف جنيدي»، وكانت هى ذات الكلمة التي قالها في مؤتمر «بورقيبة»، ولكن «بورقيبة» بمكر وخبث ودهاء شكر الشيخ «الباقوري» على خطبته..وقال انه سيتحدث عن القومية العربية ..

فقال له «أحمد سعيد» مالك ومالنا (وكان يريد أن يستثيره) لأن «الباقوري» قال أن «أحمد سعيد» بعد مهرجان «بن يوسف» زودها شويتين، وكان المفترض أن نسأل القاهرة في كلمته .. وإستطرد قائلا : أن «أحمد سعيد» لا يمثل الرئيس «جمال عبد الناصر» ولكنه مثل وجهة نظره ولهذا لا داعي أن تلوموه لإنه تكلم عن القومية العربية ..

ويتذكر «أحمد سعيد» أن «بورقيبة» فجأة راح طايح في القومية العربية وهاجمها.. وقال : لديكم مشاكل والعراق فيها قوميات من الأكراد والمذاهب الدينية ، والشيخ «الباقوري» لا يريد أن تحدث أزمة ويرد عليه، ولكنه إستمر في كلامه بطريقته التمثيلية، وراح يتمشى ويشير بيديه، ويحاول أن يؤثر على الوفد المصري بكل محاولات التمثيل، وأراد «أحمد سعيد» أن يناقشه في كلامه امام «الباقوري»، حتى ينقل كلمته إلى الرئيس «عبد الناصر».

فقال : سي «الحبيب» أرى أن نقلب الجلسة وسيادتك إذا لم تتولى الحكومة تنشيئ فرقة تمثيل جيدة وتنافس بها «يوسف وهبي» ..

ولم يدعه الشيخ «الباقوري» أن يكمل كلامه لإنه انفعل على «أحمد سعيد» ، لانه كان مذهولا.. لأن «سعيد» فاجأه بهذا الشكل و«بورقيبة» كان سيكون رئيس الوزراء القادم في تونس .. وسلم «الحبيب» عليهم بحدة وانصرف .

وعندما راجع «الباقوري» رئيس الوفد المصري «سعيد» في ما قاله حكى له الوضع تماما واخبره أن «بورقيبة» كان يريد أن يعمل فتنة ملعونة للوفد المصري وان تقاريره بواسطة المخابرات سيئة جدا بسبب علاقاته النسائية وانحرافاته

وشخصيته الغريبة .

أول رئيس تونسي

ويقول الزعيم الإعلامي: وفي ٢٠ مارس ١٩٥٦، تم توقيع وثيقة الإستقلال التام وشكل «بورقيبة» أول حكومة بعد الاستقلال، ثم في ٢٥ يوليو ١٩٥٧ قام بإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية بخلع الملك «محمد الأمين باي» وتم اختيار «الحبيب بورقيبة» أول رئيس للجمهورية التونسية، وفي ١٥ أكتوبر ١٩٦٣ تم جلاء آخر جندي فرنسي عن التراب التونسي وتم جلاء المستعمرين عن الأراضي الزراعية، كما تم إقرار العديد من الإجراءات لتحديث البلاد، بفرض مجانية التعليم وإجباريته وتوحيد القضاء، وبعد تمكين «بورقيبة» من السلطة بحوالي (٧) أشهر، أصدر العديد من التشريعات منها، إصدار قانون يمنع تعدُّد الزوجات، ورفع سن زواج الذكور إلى عشرين سنة، والإناث إلى ١٧ سنة، وأيضا منع الحجاب..

وفي عهده تم إعدام العديد من معارضيه، حيث أظهر شراسة شديدة في مواجهة خصومة السياسيين، حتى لو كانوا رفاقه في الكفاح، وقام بالقضاء على المؤسسة الزيتونية الإسلامية، التي كانت سندا لخصمه اللدود «صالح بن يوسف»، المدعوم من القوى القومية خاصة «عبد الناصر»، فطارد وقتل واعتقل العديد من انصار «صالح»، ولم يُغْلِق هذا الملف إلا بعد اغتيال زعيمهم والذي كان لاجئاً في ألمانيا..

ويشير «سعيد» :

الى الأول من يونيو ١٩٥٩ تم وُضِعَ دستورٌ جديد في تونس، كرّس بشكل مطلق النظام الرئاسي، وحاز «الحبيب بورقيبة» على صلاحيات واسعة جعلته الحاكم المطلق بلا منازع، وأصبحت له كل الصلاحيّات في رسم سياسة الدولة الخارجية

والداخليّة، و اختيار أعضاء الحكومة، وتوّلي القيادة العليا للجيش، والقيام بجميع التعيينات لجميع المراكز المدنية والعسكرية.. ومع هذا إستغل «بورقيبة» محاولة الانقلاب عليه عام ١٩٦٢ وقام بتجميد الحزب الشيوعي، وعطل كل الصحف المعارضة والمستقلة، وألغي الحريات الأساسية، وأقام نظام الحزب الواحد، مثل تجربة الإتحاد الإشتراكي في مصر ..

وكان من أوائل السياسيين العرب الذين تحالفوا مع الغرب، ورحبوا بالسياسة الأمريكية في المنطقة، وقال عام ١٩٦٨ « أن النفوذ الأمريكي يشكل عنصر استقرار، ويحمي العالم من الأنظمة الإستبدادية، ولم يصطدم بالاتحاد السوفيتي، ورفض رفضا قاطعا إقامة علاقات اقتصادية وعسكرية معه، بل أنه صرح أكثر من مرة في خطبه الرسمية بأن «المعسكر الاشتراكي لن يستمر طويلا في الحياة كأسلوب حكم، وأن سقوطه أمر محتوم، وبنى علاقات جيدة مع الأنظمة الملكية والخليجية.. وكانت علاقاته مع «عبدالناصر» في توتر مستمر، وقد اختلف معه في الخطاب والأيديولوجيا والمواقف تجاه قضايا جوهرية، مثل: الوحدة والقومية العربية وفلسطين، وذات مرة قال «لو انه خير بين الجامعة العربية وبين الحلف الأطلسي لإختار الحلف الأطلسي» . . .

ويضيف «سعيد» في سبتمبر من عام ١٩٦٨ رفضت الجامعة العربية الاستماع لوجهة نظر «بورقيبة»، التي تضمنت انتقاداً للمواقف العربية والمصرية الخاصة تجاه فلسطين، وردّت تونس بإعلان مقاطعتها لإجتماعات الجامعة العربية..

ويقول صاحب الذكريات: مرت السنوات، وحدثت خلافات كبيرة بين القاهرة وبين «الحبيب بورقيبة»، وصل فيها الأمر إلى أن تمت حملة إعلامية شرسة ضد «بورقيبة»، من خلال إذاعة صوت العرب، إلى الدرجة التي كان «بورقيبة» يتصيد الثوار الجزائريين، وايضا قوافل السلاح والثوار والمعونات، التي كانت تدخل الأراضي الجزائرية عبر الأراضي التونسية، من الغابات والمناطق

الصحراوية، حتى يمنع وصولها إلى الثوار في الجزائر عنداً في «عبد الناصر» !!.. حيث كان «الحبيب بورقيبة» يميل إلى العلمانية الغربية، فيما كان الرئيس الجزائري «أحمد بن بلا» يميل إلى الخط الناصري واليساري، وتفاجئ مصر بطلب من القيادة الجزائرية، تطلب من القاهرة أن تخفف الهجوم الإعلامي على «الحبيب بورقيبة»، حتى يسمح لقوافل السلاح أن تمر إلى الثوار في الجزائر .. وبالفعل صدرت الأوامر من الرئيس «عبد الناصر»، إلى صوت العرب بأن يخففوا الهجوم على «بورقيبة»، حتى يخفف ضغطه على قوافل السلاح التي تذهب إلى ثوار الجزائر، بل وصل الأمر إلى منع الإستماع إلى إذاعة صوت العرب في تونس، إلى درجة أن المقهى التي كانت تستمع إلى إذاعة صوت العرب كان يتم تحطيمها بالكامل بواسطة رجال «الحبيب بورقيبة»..

الإحترامات الواجبة

ويستطرد «سعيد» :

انه مع مرور السنوات، تم التصالح بعض الشيئ بين «عبد الناصر» وبين «بورقيبة»، في عام ١٩٦٤ حيث كان يوجد قمة عربية دعا اليها الرئيس «عبد الناصر»، وطلب أن توقف الحملة الإعلامية من صوت العرب ضد «بورقيبة»، حتى يلموا الشمل العربي، وبالفعل طلب «بورقيبة» عمل إتفاقية إعلامية وثقافية بين القاهرة وتونس ..

ويفاجأ «أحمد سعيد» بترشيح «عبد الناصر» له رئيسا لهذه البعثة، لإتمام هذه المهمة، وبالفعل ذهبت البعثة إلى تونس، وتم إستضافتها في منطقة «سيدي بوسعيد»، وكانت تضم افراد من الهيئة العامة للإستعلامات، ومن المجلس الأعلى للثقافة، ومن اتحاد الإذاعة والتليفزيون، وإستمرت البعثة في هذا المنتجع على بعد عدة كيلوا مترات جانب «قرطاج»، لمدة إسبوع بلا عمل، وكان عين لها مرافق تونسي يدعى «ابراهيم العروسي»، وكان يجلس معهم من بداية الصباح وحتى المساء، ليوفر لهم الطعام والشراب، ووسائل النوم فقط لاغير دون عمل .. وتذمر «أحمد سعيد» من هذا الوضع،

لان المفترض أن هذه البعثة لها عمل وجاءت لتنجزه، وحينها أبلغ «سعيد» مرافق البعثة «العروسي» أن أمامهم يومين فقط، وإذا لم يجتمعوا مع لجنة مقابلة لهم سيضطروا إلى العودة إلى القاهرة.. وأتصل «سعيد» بالسفير المصري وأبلغه هذا الكلام .. فطلب السفير منهم الإنتظار والصبر ..

فقال سعيد: لو عاوزين يتمموا الإتفاقية فأهلا وسهلا، وإذا كانوا يرفضونها لا يهمنا، سنتركهم وشأنهم، وكان هذا الكلام في التليفون، لعلهم يكونوا بيسجلوا المكالمة حتى يسمعوا الكلام .. ولكن فوجيئ «أحمد سعيد» في المساء بمرافق البعثة «إبراهيم العروسي»، يقول له غدا الساعة الـ١١ صباحا يوجد إجتماع لكم .. ولكن يؤكد «أحمد سعيد» على أن في تونس كان يوجد شيئ عجيب في هذه الفترة، بأن الوزراء كانوا مجرد سكرتارية، مع أن لهم صلاحيات ويستطيعوا أن يصدروا تعليمات ويتخذوا قرارات، لكن لا يستطيع الوزير أن ينفذ اي شيئ إلا إذا كان الشخص المقابل له في الحزب، أعطاه التعليمات لأن الحزب كان أهم وأقوى من الوزارة، ولهذا فوجئت البعثة انهم ارسلوهم إلى مقر الحزب وليس مقر الوزارة، وجلس أفراد البعثة الإعلامية مع (٣) قيادات من الحزب، وشرحوا لهم الموضوع كاملا، وأعطوهم نسخة من المشروع المصري القادمون من أجله..

والجانب التونسي قال سندرسه وطلبوا إعطائهم مهلة . والبعثة المصرية سألتهم هل يوجد لديهم مشروع مقابل ؟

فقالوا : لا ..

فقال «أحمد سعيد» إذن هذا المشروع هو الأساسي، وطلب منهم أن يعدلوا فيه كما يشاءون. فطلبوا فرصة لمناقشته .

الجانب المصري : فلنبدأ في قراءته الآن في وجود الطرفين ..

الجانب التونسي : أن لديهم إرتباطات مسبقة .

فإعتذر الجانب المصري بأنهم متعجلون ..

فقام أحد التوانسه وإستأذن .. فتأكد لـ«سعيد» انه سيسأل الرئيس«بورقيبة» ..

ثم جاء وقال: سنجلس لنتناقش، ثم وضعوا في أول بند عراقيل رغم تفاهته، وعلى مدار (١٠) ايام لم يتم الإنتهاء من الإتفاقية، رغم أن الجانب المصري كان يضغط للإنتهاء منها ..فقالوا : سنعرضها على سي «الحبيب» .. ووافقت البعثة المصرية على ذلك.. ولكن مرت (٣) أيام، ولا زالت البعثة المصرية في المنتجع، لا تفعل شيئ وقيل لهم انتم في ضيافة سي «الحبيب» ..

وشعر «أحمد سعيد» أن الوقت سيطول بهم فإعترض على التأخير!!

فقالوا له : سي «الحبيب» هو الذي سيقرر، هل المسئولين سيوقعوها أم لا؟ ..

فقال «سعيد» إذن نعود إلى القاهرة، ثم يوقعوها وقت ما يشاءوا .

فقيل له : سي «الحبيب» يريد أن يراك..

ويقول «أحمد سعيد» انه انتظر (٤) ايام، وكل يوم يسأل «العروسي» فين سي «الحبيب» ؟.. هل حدد الميعاد أم لا؟ ..

إلى أن جاء له «فتحي رضوان» السفير المصري في تونس .. وقال له : «أحمد»، أنا أخبرت القاهرة بكل شيئ، وجاءت تعليمات الرئاسة، انك تنتظر إلى أن يبت في موضوع الإتفاقية..

ويقول «سعيد» : انه انتظر «سعيد» حسب أوامر الرئاسة المصرية، وذات يوم في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، فوجئ بخبطات على باب غرفته ..

وعندما فتح الباب ، وجد «العروسي» يقول له : فخامة الرئيس الجليل (كما كنا نطلق على النحاس باشا) يريد أن يقابلك الآن ..

فقال «سعيد» كيف ؟ والساعة الواحدة بعد منتصف الليل !!، وقال «أحمد

سعيد» في نفسه انه يعرف أن «بورقيبة» يسهر ويفرفش ويحب الفن ةالفرفشة.. ويؤكد أن المرأة التونسية هى التي كانت تدافع وبعنف عن «بورقيبة» عندما كانت تأتي سيرته بالسلب، والرجل التونسي كان لا يرد ولا يدافع عنه ..

وكان تصور «أحمد سعيد» انه سيذهب إلى القصر الرئاسي الذي كان جانبهم .. ولهذا فقال لـ «العروسي» سأحلق ذقني.

فقال له مش مهم !! .

فقال له «سعيد» هل أذهب أقابل رئيس الدولة هكذا؟ .

فقال العروسي .. أه ..

فسأله «سعيد» السفير المصري كان من المفترض أن يحضر معه اللقاء .

فقال له «العروسي» لا سي «الحبيب» يريد أن يقابلك انت ..

وخشى «أحمد سعيد» التأخير حتى لا تحدث أزمة بدون لازمة، خاصة أن جاءته تعليمات رئاسية بأن يهاود في هذه الرحلة .

وبالفعل ركبا «العروسي وسعيد» السيارة، التي أنطلقت بهما قرب القصر الرئاسي، ولكن مرت السيارة دون الدخول في القصر..

فسأل «سعيد» بدوره فخامة الرئيس فين؟ ..

فقيل له بعد تونس العاصمة، ولكنهم دخلوا العاصمة وخرجوا، منها ثم دخلوا في منطقة جبلية وعرة، والطريق كان يحيط به الظلام الدامس، وأستمرت السيارة في طريق الجبال حوالي (١٠) كم، إلى أن وصلوا مدينة «بنزرت»، وكان السير في الجبل بشع وخطر ومخيف في الليل، وعرف «سعيد» انهم سيصلون في الصباح ..

وأخذ يفكر خلال فترات السكون ماذا سيحدث لو لم يتحكم في إنفعالاته ؟.. أو ماذا سيفعل حتى تخلصه القاهرة لو تم إعتقاله؟.. حينها سيحدث إنعكاسات

على العلاقات المصرية التونسية، وفي النهاية سلم أمره إلى الله ..

قائلا: فليفعل الله مايريد..

وبالفعل وصلت السيارة في الصباح إلى المكان المحدد، وصعدوا إلى فيلا وليست قصر رئاسي، حيث كان يقف على بابها فرد أمن وحيد، ويتذكر لحظة الدخول انه لم يعد يرى شيئ، وكأن بصره ضاع منه، حيث فقد القدرة على الرؤية، فأغمض عينيه وأنتظر بعض الشيئ حتى يسترد قدرته على الإبصار، ثم فتح عينيه شيئا شيئا وإكتشف أن الشمس تضرب في عينيه رغم انها خلفه، فنظر ليتأكد ما الذي يحدث له، فوجد جميع الحوائط والسقف ملزوق بمرايات مثل الموزايك، فتحسس إلى اين يضع خطوات أقدامه، فوجد سي «الحبيب بورقيبة» يجلس في أخر القاعة وسط حوالي (١٢) بنت في منتهى الجمال سهران معهم والموسيقى تعزف..

وبدأ «سعيد» يتقدم بخطواته نحوه، ووجده يضحك ويقول له : أنا جئت بك عفشان وما نمت طول الليل حتى أضحك عليك، وأقول لك نكت وأشتم فيك انت و«عبد الناصر» وما تقدر ترد عليّ ..

وكان «سعيد» قد إقترب منه ورد عليه: ممكن تشتم في وفي «عبد الناصر» كما تريد ولن أرد عليك ولا أقدر أن أرد عليك لإنك مثل أخي الكبير أو مثل والدي (وكان من مواليد ١٩٠٠) وانا لدى تعليمات أن أعطيك كل الإحترامات الواجبة .فضحك «الحبيب» وقال: إيه أخر نكتة عندك على «عبد الناصر»؟

فقال «سعيد»: اخر نكتة عند سيادتك .

ضحك «الحبيب» وأمر بإحضار الإفطار، ولا زاللت الموسيقى تعزف والبنات لازالت متواجدة، والكل أخر راحة ورحرحة ..

وقال «الحبيب» نكتة على «عبد الناصر» كانت مشهورة ثم قال : سأقول لك

أخر نكتة أخرى على «عبد الناصر» .. في يوم من الأيام كان «ناصر» في مجلس قيادة الثورة، وضاع منه القلم وبحثوا عنه ولم يجدوه، وعندما ذهب إلى منزله وجد القلم في أحد الدوسيهات، فأتصل على الفور بـ «زكريا حمي الدين» وقال : خلاص انا وجدت القلم في البيت..ورد عليه «زكريا» إزاي يا رايس ده إحنا قبضنا على (١٠٠٠) واحد وكل واحد إعترف أن معاه قلم «عبد الناصر»، وظل يضحك عاليا ويقهقه .«أحمد سعيد»: بايخة وقديمة وقيلت مليون مرة ..

وتذكر «سعيد» نكتة قديمة قيلت على معظم الحكام في العالم. وقال : سي «الحبيب» تعرف أخر نكتة الشعب بيقولها عليك؟..

«بورقيبة» هل الشعب بيقول عليَ نكت ؟

«سعيد» طبعا .. ناس بتقول أن فيه سفينه رست في مصر، وكانت جاية من تونس ورايحة إلى فرنسا، وبتفتيشها وجدوا جرو صغير جربان هربان، فقالوا له أنت رايح فين؟ .. فقال رايح فرنسا..

فقالوا له انت مالكشي إلا ترجع مكانك، مالك انت ومال فرنسا ..

فقال له «الحبيب»: يا ملعون وسب «سعيد» بعد سماعه للنكتة..

زعيماً داهية

ويقول الخبير الإعلامي: بصرف النظر عن أن سياسات هذا الرجل ربما تختلف معها، لكن الكل كان يحب أن يجلس معه، لانه يسامر ويتباسط حتى وهو رئيس جمهورية مع الأخر، حتى لو كان مندوب دولة أو سفير دولة، مع هذا يعتبره الأخر صديق له ويقضي معه وقت ظريف، حتى وهو يتحدث عن أرائه السياسية المختلفة، لكن يشعر الطرف الأخر وكأنه يؤدي دوراً على المسرح، ولهذا كانت علاقة «بورقيبة» بالجماهير متينة وقوية جداً، بل في منتهى القوة..ويتذكر «أحمد سعيد» يوم ذهابه لحضور حفل تخريج دفعة جديدة من الجامعة التونسية، وكان

«الحبيب بورقيبة» هو الذي يوزع الجوائز على الطلبة المتفوقين، وكانت الضيوف تجلس في الصفوف الأولى وتشاهد الحفل .. حيث كان يصعد الطالب او الطالبة من المتفوقين، ويسلم عليهم ويحتضنهم ويقبلهم ويسلمهم الجائزة، وعندما ينزل الطالب أو الطالبة ويعطيه ظهرة أو ظهرها فيطبطب «بورقيبة» على (هنش) الطالب أو الطالبة تماما مثلما يفعل لاعبوا الكرة في الملاعب أثناء تبديلهم في الملعب ..

ولكن الكل لاحظ وجود إحدى الطالبات الدميمات في الصف ولكنها كانت من المتفوقات، والكل ترقب ماذا سيفعل «بورقيبة» مع هذه الفتاه، ونظر «سعيد» هو والسفير المصري إلى بعضهما، وكأنها حانت لحظة المحنة لـ «بورقيبة»، وجاء الدور على صعود هذه الطالبة لتتسلم جائزتها، وبالفعل صعدت وسلم عليها وأعطاها الجائزة، ثم تراجع إلى كرسيه، والبنت بدأت تنسحب إلى مكانها ولكن هاصت الطلبة بصفارات وضوضاء شديدة جدا، فنادى عليها «بورقيبة» وقام بتقبيلها وإحتضانها وإنسحب مكانه، وتراجعت الطالبة فهيص الطلبة مرة أخرى، فنادى عليها مرة أخرى وقام بالطبطبة على «الهانش» مرات عديدة والكل ضج بالتصفيق والضحك والتصفير.

واقعة أخرى يرويها «أحمد سعيد» عن الزعيم «الحبيب بورقيبة»، تكشف عن شخصيته الواضحة، حيث يقول ذات يوم قام الرئيس «بورقيبة» من النوم الساعة (١٢) ظهرا، وكان في أول يوم من أيام شهر رمضان الكريم، ونزل إلى حديقة القصر الرئاسي، لانه كان يحب الورد والهواء الطبيعي، ورأى شيئ في الحديقة ولم يعجبه .. وطلب المسئول عن الحديقة، وكان أسمه «صالح» ولكن الرئيس فوجيئ بشخص أخر أسمه «محمد» ..فقال له انت مين ؟ .

فقال :انا «محمد..

فسأله الرئيس من عينك؟ .

فأخطأ «محمد» وقال الريس «صالح» هو من عينني ..

وحينها ثار وهاج «بورقيبة»، وقذف رئيس الوزراء بالمحبرة ، ويبـدوا انـه كـان ينوي أن يضربه بالقلم ولكن عندما إقترب منه قال له وكمـان مـش حـالق ذقنـك، وقذفه بالمحبرة.. وصعد على القصر مرة أخرى وطلب سكرتيره الخاص..

وسأله متى سيبدأ التليفزيون برامجه؟ ..

فقال له بعد الفطار ..

وسأله عن الإذاعة؟ ..

فقال له الإذاعة تعمل الآن .

فطلب منه أن يعلنوا في الإذاعة، عن خطبة للرئيس في التليفزيون خلال ساعة من الآن. وبالطبع الناس قلقت لإن الرئيس سيخطب في التليفزيـون .. وبالفعـل ذهب الرئيس إلى مبنى التليفزيون، وفتحت عليه الكاميرات على الهواء، وظهر على الشاشة وهو يجلس امام الناس وأمامه دورق عصـير وكـوب، والتليفزيـون يقـدم خطاب للرئيس الجليل «الحبيب بورقيبة» ..

ويبدأ يقول خطبته للجماهير التي تنتظره ..

وقال انا اليوم صحوت في الصباح، ونزلت حديقة القصر ووجـدت الحديقـة متسخة، وبعض الأشجار غير منسـقة، فناديـت عـلى المسـئول فجـاء لي واحـد .. فسألته من انت ؟

فقال لي انا «محمد» وقد عينني الريس «صالح» ..ولهذا أقول لكـم في تـونس لا يوجد غير رئيس واحد اسمه «الحبيب بورقيبة»، وكلمة ريس الـلي بيقولوهـا في مصر على اي واحد، لا أحب أن تقال هنا أو أسمعها في تونس، وبعدين هذا العامل قابلني وذقنه لم تكن محلوقة، والمفترض أن يحلقها كل يوم، وأنا ذنبي إيه انه يـاتي يقابلني وهو مش حالق ..إذا كان سهران علشان السحور في شهر رمضـان وانتظـر علشان يصلي الفجر، أقول لـه ده عملـك مـع ربنـا مـش معايـا أنـا .. قـادر تعمـل

وتصوم، صوم.. ولو مش قادر تصوم ما تصومشي، وأنا بعمل كده أهوه لأني مش بقدر أصوم، ويقول سعيد: « قام بورقيبة» بصب العصير من الدروق في الكوب، وشرب على الهواء أمام الجماهير التي تراه ..

ثم قال: وهل تظل الحديقة متسخة علشان شهر رمضان؟ إشربوا ولا تصوموا، وألقى علي الجماهير خطبة رهيبة عن النظافة والحلاقة والإفطار في شهر رمضان !!.

ويؤكد «أحمد سعيد» :

على أن العلاقات المصرية التونسية حينها، كانت في أسوأ حالاتها وبالطبع مصر لم تفوت الفرصة، وقد إستغلت صوت العرب هذه الخطبة أبشع إستغلال بالطبع ، ولكن هذا يعطينا لمحة عن حقيقة الرجل ولا نستطيع أن نقول انه كان زعيماً داهية في السياسة فقط بل كان رجل واضح وصريح في ما يقوله أو يفعله .. وقد قال «بورقيبة» ذات مرة يصف ظروفه، بانه رجل القاهرة بعيدة عنه وليست قريبة منه، ودولته دولة صغيرة، ولا بد أن يبحث عن أحد كبير يمسك بيده، ويقول «سعيد» انه كان واضحاً وصريحاً مع نفسه أولاً ، ولهذا كان قادرا على التأثير في الجماهير التي كانت تعشقه جدا، وفي أخر ايامه يأسف «أحمد سعيد» عليه حيث قال: كانت حالته سيئة جدا وتحكم فيه بعض من أهله وأفسدوه جدا إلى أن قام «علي زين العابدين» بالإنقلاب عليه ..

ويؤكد أن «الحبيب بورقيبة» كان من الشخصيات البارزة، التي تؤثر في كل من يتعامل معها، حتى لو كان يختلف معها سياسيا وإجتماعيا، وقد جاء «بورقيبة» إلى القاهرة بعدما أصبح رئيسا لتونس في عامي ٦٤و١٩٦٥، وقد أعجب به «أحمد سعيد» جدًا كزعيم جماهيري من النوع الجيد، وكان من الزعماء الذين يلتحمون بالجماهير دون حراسة بمعنى الحرس، لانه كان رجل شعبيا، ممكن أن يضرب رئيس وزرائه، أو يقتل «صالح بن يوسف» فقد كان دمويا لا يهمه شيئ، ويقال انه كان من ضمن الزعماء الذي لم يثبت عليه انه قتل «فرحات حسان» الذي كان من

قادة العمال وكان مؤهلا أن يتولى السلطة في تونس قبل الإستقلال..

ويقال أيضا أن «بورقيبة» كان لديه حـزب واحـد مثـل الإتحـاد الإشـتراكي في مصر، وكان يهوى الطرب وعاشق لـ«أم كلثوم» و«شـهرزاد» و«هـدى سـلطان» ، وكان لا يحب «عبد الوهاب» إلا في الكلاسيكيات، وطلب منا في القاهرة أن نختار له حفلات أم كلثوم التي كانت تغني فيها (٣) أغنيات، وبالفعل حضر الحفلة التي غنت بها أغنيات «اروح لمين» ورق الحبيب« وأراك عصى الدمع» .



الشيخ عبد الله السالم الصباح

مؤسس دولة الكويت الحديثة

يقول صاحب الذكريات :

أن الشيخ «عبد الله السالم الصباح» هو منشئ دولة الكويت الحديثة، وان الشعب الكويتي يعتبره الأب الروحي لهم، وجميع النخب والمثقفين والباحثين والشباب الذين درسوا تاريخ الكويت، يعترفون انه هو صاحب الفضل الرئيسي في بناء الكويت الحديثة ، ولهذا كان له الكثير من الألقاب التي يطلقها عليه الشعب الكويتي منها أبو الاستقلال، أبو النهضة الحديثة، أبو الدستور، أبو الخير، أبو الأيتام، وأبو الكويت.. وكان (رحمه الله) شخص طيب جدا وأب حقيقي للشعب الكويتي، إلى الدرجة التي جعلت الكوايتة يصفونه بأبو الكويت، وصانع الكويت الحديثة ..

تولى الحكم في ٢٥ فبراير ١٩٥٠ فتنازل عن كل ما يملك إلى مالية الدولة لخدمة الشعب الكويتي، وقام ببناء العديد من المدارس في عهده، وعمل على تزويد جميع مناطق الكويت بالمرافق والخدمات، كتوفير العلاج المجاني للمواطنين الكويتيين وللمقيمين في الكويت ايضاً، وأنشأ مستشفى «الصباح»، كما تم إنشاء أكبر محطة لتقطير مياه البحر في العالم في ذلك الوقت، وفي مايو ١٩٥١ تم إنشاء إذاعة الكويت، وبعد ذلك بحوالي عشر سنوات تم إفتتاح تليفزيون الكويت، ووضع أول نظام للجمارك في تاريخ الكويت في مايو ١٩٥١ ، و قام بالعديد من الإجراءات التي من شأنها إعطاء الاستقلال للكويت، حيث تسلمت الكويت مسؤولية الخدمات البريدية في داخل وخارج البلاد، وقام بوضع قانون للجنسية ، وقام بإجراء دراسات عاجلة لإصدار عملة وطنية للكويت، وهو الذي وضع قانون النقد الكويتي، الذي قرر بأن يكون الدينار الكويتي هو وحدة النقد الكويتي، وشهدت الكويت في عهده عصراً ثقافياً تعليمياً مجيداً حيث صدرت العديد من المجلات والدوريات الثقافية مثل : مجلة الرائد، ومجلة الايمان، ومجلة الارشاد التي كانت تهتم بالمواضيع الاسلامية، ومجلة كويت اليوم،

ومجلة العربي والتي كان رئيس تحريرها أحمد بهاء الدين وهي اشهر مجلة شهرية صدرت في الكويت، ومجلة حماة الوطن، هذا بخلاف مجلة طبيب المجتمع، وأيضاً مجلة الرأي العام الكويتية وهي جريدة سياسية يومية..

وكان الشيخ «عبد الله» داعماً للقضايا العربية حيث أصدر في ٢٦ مايو ١٩٥٧ مرسوماً أميرياً بمقاطعة جميع البضائع الإسرائيلية، وعمل على وضع أسس سياسات الكويت لتقوية أواصر الصداقة والأخوة مع شقيقاتها الدول العربية للعمل بتكاتف وتآزر على ما فيه خير العرب وتحقيق أماني الأمة العربية .

الطيبة والإبوة

ويقول «أحمد سعيد» أن الشيخ «عبد الله السالم» كان يحض على العلم والأدب والتاريخ، وقد اشتهر بولعه بالشعر فكان حافظاً لكثير من الشعر العربي، خصوصاً شعر «المتنبي» لما فيه من الحماسة والحكمة، وكثيراً ما كان يستشهد بشعره في العديد من المواقف والمناسبات، ولهذا كان يهوى محبي الشعر، وكان يسعد عندما يكون ضيفه خاصة إذا كان عربي على إستعداد بأن يطارحه الشعر سواء أبيات قديمة أو حديثة ، والإبوة والطيبة التي كان يتمتع بها هى التي أنقذت هذه الأسرة الكويتية الكبرى من عواصف ضخمة جداً عن طريق القوى العظمى خلال فترات حكمه، أي عندما كان شيخا او بعد ما أصبح اميراً للدولة بعد الإستقلال ..

ويذكر «أحمد سعيد» أول لقاء له مع سمو الأمير «عبد الله السالم الصباح» والذي كان في عام ١٩٥٤ ، وأكد «سعيد» بالطبع قبل أن يذهب إليه، جلس مع بعض من رجال المخابرات وأطلعوا «أحمد سعيد» على بعض من صفات شخصيته بما فيها هواياته لحب الشعر .. ويذكر أن من ضمن التقارير التي قرأها «سعيد» ولم ينساها، هى ما كتبه رئيس البعثة التعليمية في الكويت حينها، وكان أسمه الأستاذ «عبد المجيد مصطفى» (على ما يتذكر) وكان شخصية جيدة جدا، وكان مثل السفير الأن، بل أفضل من السفير الذي يكون مقيداً بعمله كدبلوماسي،

وبالبرتوكولات الدبلوماسية، ولكن «عبد المجيد» كان منتشر في الكويت، وكان صديق لكثير من العائلات في الكويت، حيث كان المدرسون المصريون يعلمون أشقائهم الكوايتة، من خلال البعثة المصرية، التي كانت تسافر بمدرسيها وكتبها وكراريسها وأساتيكاتها وبراجلها ومساطرها وأقلامها وبكل الأدوات التعليمية، التي كان مكتوب عليها «حكومة مصر»، وكانت مشيخة الكويت تقدم المدارس والتلاميذ .. ولو البعثة المصرية كانت عجزت، عن توفير مدرس أو مدرسين أو حتى ثلاثة مدرسين، كانت تتعاقد على نفقتها معهم من البحرين، لإنها كانت سابقة على الكويت في التعليم، و«عبد المجيد» كان أرسل تقرير إلى الحكومة المصرية بعد الثورة وبعد إنشاء إذاعة صوت العرب، عن مشيخة الكويت وعلى رأسها بالطبع الشيخ «عبد الله السالم الصباح»، ذكر فيه أن الشيخ يهوى الشعر، ويفضل «المتنبي» عن غيره من الشعراء، بل يراه الأجدر أن يكون أمير الشعراء الفعلي ويستحق ذلك لأنه أفحلهم في تاريخ الشعر العربي، وان «أحمد شوقي» لا يستحق لقب أمير الشعراء لأنه ركب على أكتاف «المتنبي»، والشيخ «عبد الله السالم» يعتبر «المتنبي» استاذ لـ«أحمد شوقي» لأنه أفضل منه شعريا ، وكان يحلو له أن يعمل مقابلات بين ضيوفه، ويفتح مناقشات حول هذا الأمر ويقيم المقارنات بين «شوقي» و«المتنبي» ..

ويشير الزعيم الإعلامي: إلى أنه بعد ما قرأ هذا التقرير قبل سفره إلى الكويت، حيث كان سيكمل رحلته إلى «عمان»، حيث كانت مهمته إستطلاعية لهذه المنطقة، ولعمل دراسات عنها من خلال الكفاءات الإعلامية، بهدف بناء علاقات قوية معهم .. فلجأ «سعيد» إلى بعض الدراسات، حول «أحمد شوقي» و«المتنبي» والمقارنة بينهم .. وهذا جعله يسافر إلى الكويت بذخيرة شعرية جيدة، وكان من ضمن اللقاءات التي سيجريها مقابلة مع الشيخ «عبد الله المبارك» نائب الحاكم الشيخ «عبد الله السالم الصباح»، وسيكون معه في اللقاءين الأستاذ «عبد المجيد»

رئيس البعثة التعليمية، فإستفسر «سعيد» من «عبد المجيد» عن بعض النقاط في تقريره .. وبدوره سأله «عبد المجيد» ماذا أعددت ؟

فأخبره «سعيد» بما أعده وجهزه من شعر..

فقال له «عبد المجيد» على خيرة الله، وأوصاه عندما يدخلا ويقابلاه، إذا فتح الشيخ «عبد الله» حواراً عن الشعر يدخل «سعيد» في الحوار ويستثمره، وإذا لم يفتح حوار حول الشعر سيفتتحه «عبد المجيد» متعمداً، وحينها سيستمتع الأمير في الجلسة، لأنه إعتاد أن يقابل المتعلمين والمثقفين الذين تعلموا وتثقفوا في العراق وبيروت ومصر، ويتجالس معهم ويناقشهم في أمور شتى لخير البلاد والشعب الكويتي..

المهم تم اللقاء، ويتذكر «سعيد» انه حدث أمر لفت نظره خلال اللقاء والذي كان محدد له (١٥) دقيقة فقط،، خلال كلمات الترحيب والمجاملات ثم تطرق الحديث إلى الوضع العربي، فقال «سعيد» بيت من الشعر لـ«أحمد شوقي» وما نيل المطالب بالتمني، ولكن تؤخذ الدنيا غلابا ، فإستمع اليه الأمير «عبد الله» وفكر وسأله : هل أنت محب للشعر؟

سعيد: نعم ومحب لـ«شوقي» و«المتنبي» و«أبو العلاء المعري» .وتجدد الحديث مرة أخرى .. ويكمل «سعيد» بأن شخص دخل نحو الأمير وهمس في أذنه ببعض الكلمات يستأذنه في شئ ..

فقال الأمير ليدخل، ودخل شخص ليس عربياً، وتدل هيئته على أن جنسيته إنجليزياً، وإنحنى أمام الأمير وسلم عليه بأدب شديد جداً ، والأمير وافق على التحية ورد التحية بهز رأسه.

فقال «عبد المجيد» ننسحب سمو الأمير؟

الأمير : لا.. إنتظروا، دا جاي يقول كلمتين وسوف يغادر... وبالفعل قال

الإنجليزي كلمتين ورجع بظهره وإنسحب إلى الخارج، وهذا الرجل كان المندوب البريطاني الذي يحكم الخليج حينها، وبعد أن خرج قال الشيخ : جاي ومعتقد انه يستطيع أن يأمرني، لأن فيه وحدة قادمة على مركب بريطانية حربية سترسوا مساء اليوم ، والرجل يريد أن يأمرني بضرورة وجود تسهيلات وهدايا ، وهذا ما جعله يرجع إلى الخارج بقفاه وضحك الشيخ ..

وقال «سعيد» أثبت الشيخ «عبد الله» انه كان لديه من الفراسة، ما كشف به إرادة الرجل وماذا يريد ؟ ..

وقال الشيخ «عبد الله» أنا لا يخشاهم ولا يهابهم (لم تكن الكويت قد حصلت على إستقلالها بعد) حيث كانت لازالت مشيخة ، ولكني اخاف على البلد .

ثم سأل الشيخ «سعيد» هل لديك فكرة كيف عالج «أحمد شوقي» الموت في أشعاره؟، واستمر الحوار حول «شوقي» وكيف انه إعتمد على «المتنبي»، وعلى شعراء كثيرون سبقوه، وضرب مثلاً لم ينساه «أحمد سعيد» وقال : عندما فتح الله على «صلاح الدين الأيوبي» بفتح «القدس»، تبارت الشعراء في تمجيد هذا الفتح .. وقال بيت من الشعر لـ«المتنبي» يقول: ولو أن هذا الفتح في عصر النبي لأنزلت فيه أيات من القرأن .. وقال بيت أخر من الشعر لـ«شوقي» في ذكرى وفاة الزعيم «مصطفى كامل» ، لو كان بالذكر الحكيم بقية لم تأت بعد رثيت في القرأن ..

وقال «سعيد» أن الحوار دار حول مين أفضل من الشعراء «شوقي» أم «المتنبي؟ .. ويذكر سعيد» أن الحوار استمر نصف ساعة تقريبا، في طرح الأبيات الشعرية لـ«شوقي» و«المتنبي»

ويؤكد سعيد أن الشيخ «عبد الله السالم الصباح»، كان يستطيع أن يؤلف كتابا عن كيف أبدع أحمد شوقي، وهو راكب على أكتاف شعراء كثيرون سبقوه، وعلى رأسهم «المتنبي» حيث كان له منطق قوي في هذا الأمر، وكان من السهل أن يقنع

به الكثيرون .

حكمة وبعد نظر

ويقول صوت عبد الناصر: أن الشيخ «عبد الله» أصبح هو الرئيس الأب لدولة الكويت، لما كان يتمتع به من إبوة حقيقية للكوايتة، وما كان يمتلكه من حكمة وبعد نظر .. والشباب الذي تعلم وجد نظام الحكم قبلي، فتم مشاركة الشعب مع آل الصباح خاصة بعد إرتفاع أسعار البترول، بعد تأميم قناة السويس، وأصبح يوجد رخاء وثراء في الدولة الكويتية ، وهذه العملية أخذت شد وجذب بين المحافظين وبين المجددين، ووصل الأمر إلى صراع بين شيخ الكويت «عبد الله السالم» وبين نائب الحاكم الشيخ «عبد الله المبارك»، الذي كان صارما بعض الشيئ ويده ثقيلة بعض الشيئ، وحرص على الإنفراد بالحكم ، وكان الرجل الأول في الكويت، ووصل الأمر في هذه الفترة وبحضور «أحمد سعيد» شخصيا، أحد إحتفالات الشباب الكويتي من المجددين، الذين إحتفلوا بمرور سنة على حرب السويس، وتم دعوة «سعيد» وكان الإحتفال في ملعب الكرة للمدرسة الثانوية الوحيدة في الكويت حينها، ولم يكن هناك جامعة بعد، وحضر أحد شيوخ الأسرة الحاكمة الشيخ «عبد الله الجابر الصباح» وكان حينها وزير شئون التعليم، ووزير الشئون الإجتماعية في الكويت .. ووقف بعض الخطباء وكان بينهم «جاسم القتامي» قائد فرقة الكويت السابق في حرب ١٩٥٦ ، وكان خرج إلى المعاش وهو مدير شرطة الكويت ، وحينها خرج بمظاهرة أنابيب البترول حتى لا يتم ضخه إلى أوربا ، وخوفا على الكويت إستقال بعد إنتهاء الحرب لإنه تحول إلى زعيم سياسي، ومعه بعض أعضاء من حزب البعث والقوميين العرب من الكويتيين، وهؤلاء وقفوا في المؤتمر وقالوا كلام أعتبر أنه هجوم على عائلة «الصباح»، وفي ذات اليوم إعتقل « عبد الله المبارك» جزء منهم، خاصة من الذين ليس لهم ظهر او سند عائلي أو مسنود من اي جهة ، وأرسل لـ«سعيد» بما انه كان مدير الإذاعة

رجل أمن أسمه «عبد العزيز جعفر» وكان صديق له، بتذكرة عودة إلى القاهرة على أساس انه جاء على شركة مصر للطيران، وهم سعداء بشركة طيران الكويت الجديدة ، وأخبروه انه يسعدهم أن يعود على الطائرة باكر.

ويقول سعيد« إنه رفض مغادرة الكويت قبل خروج هؤلاء الشباب الذين إعتقلوا بسبب حضورهم إلى حفلة، وكان حاضرها للإحتفال بمصر وأخبر «عبد العزيز جعفر» إذا كان «المبارك» يستطيع أن يفعل شيئ ويمنعني فليفعل لأني خارج الأن لأقابل الشيخ «عبد الله السالم الصباح» لأخبره بما حدث ..

وبالفعل يؤكد الإعلامي الأشهر: على انه طلب لقاء الشيخ «عبد الله السالم»، وتمت الموافقة على اللقاء، ودخل عليه ووجد أن جزء من الكلام كان وصله بالفعل ، لكن جزء أخر حجب عنه، ولم يخبروه به لأنهم ارادوا أن يوصلوا له الجزء الخاص بالهجوم على عائلة «الصباح» فقط ، ولكن الشيخ «عبد الله» إستمع بصدر رحب لكل ما قاله «أحمد سعيد»، الذي نقل له كل مادار في المؤتمر الاحتفالي بمصر، إلى أن انتهى الكلام بموضوع التذكرة التي جاءت إليه للمغادرة، فقال له الشيخ «عبد الله» أطمئنك أن الأولاد سيخرجوا اليوم، وبالفعل قد خرجوا وإطمئن «سعيد» عليهم .. وموضوع التذكرة فهذه إجراءات خاصة بـ« عبد الله المبارك»، ولكنني أؤكد لك إننا نؤسس لإقامة نظام حكم ديمقراطي في الكويت، ليتمتع المواطن الكويتي بكامل حرياته ، وبالفعل تم تأسيس هذا النظام الذي عاشت في ظله الكويت حتى الأن .ويؤكد الزعيم القومي:

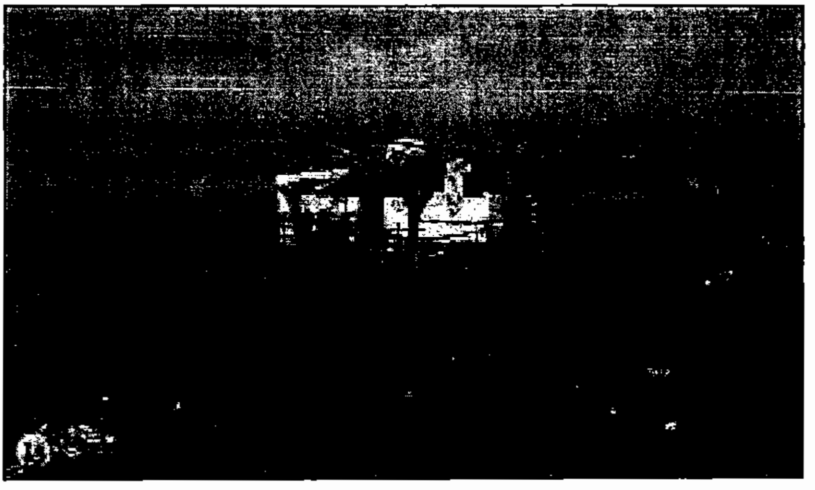
على أن شخصية رجل مثل الشيخ «عبد الله السالم الصباح» كانت تؤمن إيمانا راسخا أن دولة الكويت ملك للكوايتة، ولكل من يعيش على أرض الكويت، وكل من يتنسب إلى قبيلة ال «سالم» والقبائل الأخرى، بل ولكل من عاش في الكويت سنوات عديدة وكان قادما من السعودية أو الكويت أو قطر، وهذا كان مبدأ لديه ولم يحيد عنه أبداً .. وهذا ما صنع شعب الكويت المعاصر ودولة الكويت

المعاصرة بأمان وجد وصبر ..

ويتذكر «أحمد سعيد» أن في مرحلة من المراحل، أرادت إنجلترا أن تهزه على كل ما فعله، برده على المندوب البريطاني الذي جاء يهدده، فرد عليه ببيتين من الشعر كان قالهم لـ«سعيد» في لقاء الشعر الخاص بتعريف الموت .. وبالفعل يقول «سعيد أنهما بيتين شعر جيدين جداً لدرجة أن «أحمد سعيد» كان يتمثل بهما دائما في المناسبات المعينة .. حيث قال له الشيخ «عبد الله» أعزيمتك الشهاب أم النهار.. وراحتك السحاب أم البحار .. خلقت منية ومنى فأضحيت تمور بك البسيطة أو تمار .. تحلي الدين أو تحمى حماه .. فأنت عليه سور أو سوار..

ويشير «أحمد سعيد» إلى أن المندوب السامي الإنجليزي بالطبع لم يكن لديه فكرة عن الشعر، وعندما خرج وقابل المستشار الخاص به الذي كان يعرف الملفات وسأله : ماذا يقصد الشيخ «عبد الله» بما قاله ؟

فقال له يقصد إنك مغرور وأنك سوف تموت والكل سوف يموت ، فكتب المندوب البريطاني هذا الكلام في تقريره إلى بلاده ، وكانت النتيجة أن الحكومة الإنجليزية ردت على المندوب التابع لها في الكويت ، أن يتوقف وحذرته من إفتعال الأزمات مع شيخ الكوايته الشيخ «عبد الله السالم الصباح» لأنهم يعتبرونه اب لهم ، وهو بالفعل كان أب حنونا بمعنى الكلمة للشعب الكويتي.



حرب اليمن ... ودوافعها

يبدأ «أحمد سعيد» صاحب الذكريات ذكرياته عن اليمن بقوله:

كان اليمن الشقيق في جنوب الجزيرة قبل الحرب اليمنية مقسوماً قسمين منذ أربعينات القرن العشرين، جنوب وشمال وكان جنوب اليمن يشمل «عدن» و«لحد» و«حضرموت» إلى أخر هذه المشيخات اليمنية، وكان يحكمه الإستعمار البريطاني، حيث كان متمركزاً في «عدن» .. وكان شمال اليمن أو ما كان يطلق عليه باليمن الإمامي، أي الذي كان يحكمه الأئمة، كان معرض دائماً للإنقلابات، وإذا نجحت الإنقلابات يتم أحياناً قتل الإمام.

وكان طبيعة شكل حكم الأئمة في ذلك الوقت، انه كان حكماً إنعزالياً عن العالم الخارجي وعن الحضارة والتقدم، لدرجة أن من كان يشاهد اليمن أو قصر الإمام ذاته في تلك الفترة، لوجده أنه أحقر من أي بيت عمدة متوسط الحال في مصر ، وبالتالي كنا نستطيع أن نقول أن اليمن يعيش في القرن العشرين كذباً، لأن اليمنيين حقيقة أو كفعل أو حضارة كانوا يعيشون في القرن الثاني عشر، وتقديرنا انه كان بين اليمن وبين الحضارة ثمانية قرون.. وضرب «سعيد» مثلاً بالكهرباء، التي كانت مقطوعة دائماً وتعمل في ساعات محددة، وفي أحياء معينة والمفترض أن الكهرباء أحد عناصر وعلامات الحضارة، ولم يكن يوجد مياه نظيفة، أو صرف صحي، أو مدارس أو معاهد أو جامعات، فقد كان الحكم في اليمن متخلف مائة في المائة، ولكن اليمن الجنوبي الذي كان يقع تحت سيطرة الإستعمار، كان متحضراً أكثر من اليمن الشمالي المستقل عن الإستعمار.

ولهذا يطالب «أحمد سعيد»: كل من يتحدث عن حرب اليمن، أن يضع في الإعتبار أن يتحدث عن اليمن ذاتها، وعن الظروف التي كانت محيطة بالتوجه السياسي في اليمن حينها، والتي أفرخت في النهاية حرب اليمن، لأن هذه الظروف هى التي كانت تتحكم في أي توجه لأي حاكم سياسي في المنطقة، لأن اليمن جزء من الوطن العربي، إذن فبالتالي ومن منطلق سياسة «عبد الناصر» وأهداف ثورة ٢٣ يوليو، فقد كان ينطبق على

اليمن ما ينطبق على أي جزء اخر في الوطن العربي، وهو أن الأمن المصري القومي يبدأ وينتهي من حدود الوطن العربي على إتساعه من المحيط إلى الخليج، ومن شمال سوريا إلى جنوب السودان، وبالتالي فأي حدث يقع من الأحداث في أي بلد عربي يؤثر بالتبعية على سياسات مصر وعلى مواقفها.

ولهذا الرئيس عبدالناصر قال أن حرب اليمن كانت من اجل الحرية، والحرية انواع.. توجد حرية وطن، وحرية مواطن، حرية سياسية وحرية اقتصادية، وحرية اجتماعية..

ولكن «عبد الناصر» كان له وجهة نظر في التطبيق الفعلي لهذه الحريات، وهي أن الحرية الاجتماعية تسبق الحرية السياسية..

وان حرية الأوطان تسبق حرية المواطن، وهذه نظرية في السياسة!! .. ويستشهد «سعيد» بما تم على ذات الخط السياسي، عندما وجدنا الرئيس الأمريكي «بوش» بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠١١ ، إستصدر من الكونجرس الأمريكي عدة قوانين على رأسها قانون التجسس على المواطن الأمريكي، وقانون إعتقال للمواطن الأمريكي دون قضية، ونفس الشيئ فعله «عبد الناصر» فعندما يتعرض الوطن لخطر يتم تحجيم حرية المواطن، وقد يكون هذا خطأ من «عبد الناصر» فهذه وجهات نظر، والتاريخ سوف يحكم فيها وعليها، لأنه في فترات الحروب، فالدولة تحد من حريات المواطن، بل تفعل أكثر من ذلك فإنها قد تمتلك ما يمتلكه إذا إحتاجت اليه للمنفعة العامة، والأخطار كانت تحيط بمصر وقد يكون هذا خطأ من «عبد الناصر».. وأن الشعب المصري كان مؤهلاً لأن يكون لديه حرية وطن وحرية مواطن، فهذه وجهات نظر.

ويشير صوت عبد الناصر: إلى تدخل ظروف أخرى عجلت بهذه الحرب، مثل وجود الإستعمار البريطاني في اليمن الجنوبي، فشاءت الأقدار أن هذا الإستعمار يواجه ثورة مسلحة في الجنوب، ثورة بمعنى ثورة، نتج عنها في نهاية الأمر وجود جيش ثوري

تحرري قوي في الجنوب، ووضع مستقر وبدأ الجيش الثوري يحقق تقدم ظاهر وملموس بتوجيه ضربات موجعة إلى الإنجليز، مما شجع الشماليين أن يقوموا بثورة، وبما أن ثورة يوليو ١٩٥٢ كانت تدعوا إلى تحرر الوطن العربي، ليس من الإستعمار فقط، بل تحريره أيضاً من الحكومات المتخلفة الرجعية، فكانت النتيجة أن تم الإتصال بين شباب اليمن الذين نظموا الثورة، وبين حكومة مصر، وقامت ثورة اليمن في أواخر سبتمبر ١٩٦٢، وأصبحت حكومة مصر أمام خيارين، إما أن تكتفي بتأييد ثورة اليمن، أو أن تبدأ في تدعيم الثورة اليمنية بما كانت تحتاج اليه، سواء كان تاميناً أمنياً أو عسكرياً أو مساعدتها لدخول القرن العشرين، خاصة أن حكومة الثورة في مصر كانت تعاني من محنة، وهى محنة الإنفصال عن سوريا، حيث كان قد مر عام على الانفصال السوري في ذلك الوقت.

وحقيقة الأمر أن الانفصال كان بالنسبة لمصر ولـ«عبد الناصر» هو تحطيم للحلم القومي، وعودة مصر إلى الانعزال داخل حدودها، وهذا كان من أهداف الإستعمار، فـ«عبد الناصر» وجد أن من مصلحته، ومن خلال تخطيطه وسياساته، وتوجهاته القومية أن يكون له وجود في اليمن، خاصة أن اليمن هى التي دعته لمساعدتها عسكرياً وحضارياً..

ومع هذا دارت مناقشات في تلك الفترة حول شكل المساعدة التي سوف تقدمها مصر إلى اليمن، فهل يكتفي «عبد الناصر» بإرسال بعثة عسكرية؟ أم يكتفي بإرسال بعض وحدات من سلاح الطيران؟

وإنتهى الرأي على أن يبدأ التدخل المصري في اليمن ببضعة جنود وضباط وبعض الطائرات، إلى أن تسارعت الأحداث وأصبح هناك جزء كبير من الجيش المصري بمعداته وأسلحته وذخائرة وسيارته ومهماته وتعيناته، وكل ما يحتاجه الجيش في إدارة العمليات العسكرية.

ذلك بعد أن هال الإستعمار البريطاني وحكومة المملكة العربية السعودية الوجود

المصري في اليمن، لأن هذا معناه، أن مصر صارت من الدول الكبرى التي في إستطاعتها نقل جزء من جيشها خارج أراضيها، وبذلك أصبحت قادرة على إغلاق البحر الأحمر والتحكم فيه كاملاً، ولكن الخوف الأكبر من ذلك التحرك المصري، هو إقتراب مصر من منابع البترول، بعد ما أصبحت بجيشها على الحدود السعودية مباشرة، وبالتالي حدث تحالف سعودي بريطاني أمريكي لمواجهة الوجود المصري الثوري في اليمن، وبالتالي بدأوا في دعم المعارضين للثورة اليمنية بعدة بعثات عسكرية، بما فيها جنود مرتزقة من جنوب إفريقيا وفرنسا، وبدأوا في تنفيذ عمليات إنتقامية على الحدود اليمنية السعودية ضد الجنود المصريين، فكان لابد من زيادة الكثافة العسكرية المصرية في اليمن، بل أكثر من هذا بدأ دفع الذهب المصري إلى القبائل لشراء ولائهم، وكانت النتيجة أن اصبحت مصر مضطرة للتواجد العسكري بكثافة إلى أن وصلت البعثة المصرية المسلحة إلى ٧٠ ألف ضابط وعسكري.

ويؤكد صاحب الذكريات على انه: عندما نجحت ثورة اليمن إزداد الخلاف حولها بين مصر والسعودية، وفي البداية بدأت بحرب إعلامية قامت حينها السعودية بإنشاء إذاعة سرية لتأييد الحكم الإمامى فى اليمن داخل أحد كهوف جيزان، وبعد ٧ أشهر من تشغيلها اتهمت مصر بالشيوعية والإلحاد، و«عبدالناصر» بالعمالة للسوفيت، بعدها قرر «عبدالناصر» إنشاء إذاعة سرية تخاطب شعب المملكة، ويتولى أمرها المناضل السعودى «ناصر السعيد» وفي أكتوبر ١٩٦٣ وقف «ناصر» وسط جنود من الجيش المصرى عائدون من اليمن، بعد أن قاموا بحماية الثورة اليمنية من البريطانيين فى الجنوب والإماميين والسعوديين فى الشمال، وذكر لهم الإذاعات السرية ضد سياسات مصر التحررية القومية قائلاً: بريطانيا كان لها محطات سرية وفرنسا، وكان فيه محطات سرية بتذيع من تركيا ومن العراق، ولم يكن لهم أى تأثير.. لأن الشعب يعرف أهداف الاستعمار وأعوانه، وهؤلاء باعوا شرفهم، وباعوا عروبتهم وباعوا وطنهم.. وتآمروا مع الاستعمار حتى يتصدوا للمبادئ التى حاربنا وناضلنا من أجلها.. وهذه المبادئ آمنتم بها، ولهذا كل الهجوم على الجمهورية العربية المتحدة وعلى شعبها، على جيشها.

وجميع محاولات الهدم مركزة ضد مصر.. لإننا ساعدنا الشعب اليمني، ولكننا سنسير فى طريقنا، وستتحمل مسئوليتنا كاملة لأن الثورة العربية لا تتجزأ، وأن ضرب أى ثورة عربية متحررة تضرب باقى الثورات العربية الأخرى..

وينفي الخبير الإعلامي نفياً قاطعاً:

بأن حرب اليمن كانت لمعاقبة الملوك العرب بحجة أن الرئيس «عبد الناصر» كان ضد الملكية ويقول:

أولا.. حملة إعلامية شرسة قامت بها إذاعة «صوت العرب» بعد ظهورها بشهر ونصف وكانت لصالح السلطان «محمد الخامس» ملك المغرب، وهو ملك لأنه رفض أن يخضع للإستعمار، ووافق أن ينفى ولا يوقع مراسيم الذل والمهانة، فإذاً «عبد الناصر» ليس ضد نظام الملكية، ولكنه كان ضد نظام الإستعمار.

ثانياً: أن العلاقات بين الثورة المصرية وبين المملكة العربية السعودية كانت في منتهى القوة والمتانة، حتى عام ١٩٥٨، لدرجة أن الملك «سعود» أرسل ولي عهده الأمير «فيصل» إلى مصر ليوقع إتفاقية عسكرية مع مصر ليستعين من مصر قوة عسكرية تتكون من ضباط وجنود مصريين للدفاع عن السعودية ضد بريطانيا في منطقة «البوريمي» الإمارات حالياً ومصر لبت النداء، وبالفعل تواجد جنود مصريين على أرض المملكة السعودية، وأيضاً كانت هناك بعثة عسكرية للتدريب والمساهمة في الدفاع عن المملكة السعودية ضد عدوان بريطاني وقع على واحة «البوريمي»، وهذا يدل على أن «عبد الناصر» أو مصر لم يكن ضد السعودية وهى مملكة بل كان بينهما علاقات جيدة.

ولكن الولايات المتحدة الأمريكية هى التي أفسدت العلاقة بين مصر وبين المملكة العربية السعودية، فقد هالها هذا التقارب المصري السعودي لأنه ضعف حلف بغداد ضد الأسرة الهاشمية في العراق والأردن وأرعبها أن «عبد الناصر» أصبح له جنود في المملكة السعودية فأوعزت إلى الملك «سعود» أن هؤلاء الجنود يمكن لهم

أن يحرضوا ضباط سعوديين لعمل إنقلاب عسكري في السعودية كما حدث ضد الملك «فاروق» في مصر، وبالتالي يضيع البترول ليس على السعودية، ولكن في حقيقة الأمر سيضيع على الأمريكان!!، وبالتالي زرعوا بذور الفتنة بين مصر والسعودية، إلى أن قامت الوحدة بين مصر وسوريا وهى دولة عربية ذات ثقل إقليمي، ومعنى أن «عبد الناصر» يصبح رئيساً لمصر وسوريا فقوته سوف تتمدد وتقوى في المنطقة العربية، وبالفعل أصبح لشعوب المنطقة العربية هوى كبير إسمه «عبد الناصر» فكان لابد من أن أمريكا وبريطانيا يستشروا العداء السعودي ضد «عبد الناصر» لدرجة انهم حاولوا أن يرشوا «عبد الحميد السراج» حتى ينسف طائرة «عبد الناصر» وهو مسافر إلى سوريا عام ١٩٥٨، بعد ما تم الإستفتاء الشعبي على الوحدة بين مصر وسوريا.

إذن فقد كان الكل يحارب مصر وإلا فما معنى أن السعودية تدفع ١٠ مليون دولار لـ«السراج» لقتل «عبد الناصر» في الطائرة؟!

وما معنى أن الملك «حسين» ملك الأردن يأوي الذين قاموا بالإنفصال في سوريا بعد ذلك؟!، وما معنى أن حكومات فرموزا (تايوان) وشاه إيران والأردن يعترفوا بالإنفصال بعد ساعة واحدة من حدوثه؟!! ولهذا كان لزاماً على ثورة يوليو أن تهاجمهم.

فأي تضامن عربي بين أناس إنفصاليين وأناس وحداويين؟!!.. فمثلاً أمريكا في عهد «إبراهام لنكولن» حدثت أزمة إقتصادية حادة جداً فأمر بتحرير العبيد، فثارت بعض الولايات وأعلنت الإنفصال، فماذا فعل؟ ..

هل قال تضامن وإخوة أم حارب؟

بل حارب وقامت حرب أهلية في أمريكا وفرض «لنكولن» رأيه بقوة السلاح، فلماذا توافق أمريكا على هذا ولا توافق لـ«عبد الناصر» العربي عندما يقوم به؟ .. ثم لماذا يكون تفكيرنا نحن العرب إنهزامياً بهذا الشكل؟

فعند وجود المبدأ أو العقيدة ووجود السياسة الواضحة والمحددة لابد أن يظهر خلاف، وقد نستطيع التفاهم والتقارب وإنهاء هذا الخلاف، وإذا لم نستطيع

فليس هناك غير القتال!!!

ويستهجن الإعلامي الأشهر في الوطن العربي قائلاً: رغم أن البعض قال أن «عبدالناصر» كان يحلم بامبراطورية عربية، فبحث عنها في اليمن.

إلا أنه يرد على هذه المقولة: ليس في اليمن لأن اليمن طوال عمرها وهي (مغرم) وليست (مغنم) فهي بلد فقير والتواجد فيه معناه الإنفاق عليه والدفاع عنه.. ولكن وجود جيش مصري في اليمن عجل بإستقلال جنوب الجزيرة لأن اليمن اصبح قاعدة للمناضلين في جنوب الجزيرة، ثم أين هو هذا المجد الذي يمكن أن يضاف إلى «عبد الناصر» في حرب اليمن؟ هل لأنه كان يساعد على تحرير دولة عربية شقيقة؟ فليكن.. فقد ساعد الجزائر والمغرب وتونس، وساعد في تصفية حلف بغداد، فإذا كان هذا مجد له فماذا يمنعه؟..

فالإمبراطورية البريطانية صنعها «نيلسون» و «كوك» فلماذا يكون لدينا شعور بالنقص ونقول «عبد الناصر» يريد إقامة إمبراطورية؟!!.. مع انه لم يبحث عن امبراطورية عربية فقد ارسل جيوشاً للكونغو، ومن الممكن أن نجد من يقول ومالنا نحن بأفريقيا؟

فنقول أمننا يبدأ من خارج حدودنا والعالم لا يحكمه اخلاقيات ولا مثاليات بل يحكمه مصالح فقط وأي تصور غير ذلك يعتبر بلاهة.

فهل نعلم أن بريطانيا هى التي سلمت الحكم في عدن للثوار اليمنيين، وقد كان فيهم ناصريين وفريق تابع لليمن الشمالي للقائد «عبد الله السلال» وفريق شيوعي أيضاً واختار الإنجليز الشيوعيين لتسليمهم السلطة، وهذا كان قرار خاطيء لأن الشيوعيين كانوا أضعف فصيل سياسي هناك، ولكنهم إختاروهم ليضايقوا «عبد الناصر» وحتى لا يتحدوا مع اليمن الشمالي الذي أصبح فيه «عبد الناصر» لذلك عندما أزيل حكمهم بالإنقلاب إتحدوا وقاموا بإنقلاب على الرئيس السابق «علي عبد الله صالح» الذي كان ضابطاً صغيرا عندما قامت ثورة اليمن بقيادة «السلال» وحينها أرسل له «سعيد» رسالة

هنأه وحياة فيها لأنه حاربهم وإنتصر وإحتل جنوب اليمن وفرض الوحدة بالقوة، ولهذا كان ينتقد «عبد الناصر» انه لم يقاتل من أجل الوحدة حتى لو كان إنهزم.

ويضيف الزعيم العروبي: أن حرب اليمن لم تكن عملية عنترية، أو بحث عن زعامة ولكنها عملية مصلحة، بل مصلحة معيشة، والدلالة على ذلك ما عانته الأمة العربية من إحتلال امريكا للعراق، حيث كان مؤثراً على بلدان الدول العربية بالسلب، وأيضاً عدوان «صدام حسين» على الكويت في ١٩٩٠ أثر أيضاً على باقي الوطن العربي سلباً.. إذن جميع الأحداث التي تقع في الوطن العربي، تؤثر على باقي البلدان العربية بالسلب أو بالإيجاب، ومن هنا يمكن القول بأن حرب اليمن خضعت لهذه الظروف القائمة في تلك المرحلة.

ومع هذا فقد أفادت حرب اليمن المملكة العربية السعودية في شيئ مهم جداً، لأنها أممت شركة البترول الأمريكية وأصبحت شركة وطنية سعودية فإرتفع عائد البترول إلى ١٤٠ ضعف بضربة واحدة، وتم تقليص نفوذ الشركة الأمريكية وأصبح الثراء للشركات الوطنية السعودية، ثم قام الملك «فيصل» للعمل بسياسة معاصرة وتم عمل ميزانية عام ١٩٦٦ وكانت أول ميزاتية للملكة العربية السعودية، ثم أنتبهوا للتعليم وبناء المستشفيات وتمهيد الطرق..،.. الخ.

إذن وجود الجيش المصري في اليمن أفاد المملكة العربية السعودية ذاتها، وقد اعترف السعوديون أنفسهم بذلك، لأن شركة البترول «أرامكو» الأمريكية كانت هى المستفيدة من إستخراج البترول السعودي وكانت تدفع مبالغ ضعيفة للملكة نظير إستخراج التبرول.

وينفي صاحب الذكريات ضياع الإحتياطي الذهبي المصري بالكامل في حرب اليمن قائلاً: لا .. الإحتياطي الذهبي لمصر لم يضيع في حرب اليمن ولكنه أنفق في القاعدة الصناعية التي قامت في خلال الخطة الخمسية التي بدأت عام ١٩٦٢، قبل حرب اليمن وكانت قاعدة للمصانع الكبرى .



زلزال النكسة .. وتوابعها..

يصف «أحمد سعيد» صاحب الذكريات: الوضع العربي قبل يونية ١٩٦٧ قائلاً: كانت الأنظمة العربية في السعودية، والعراق، وفي سوريا، والملك «حسين» في الأردن، الذي كانت إذاعاته تسب مصر وتهاجم «عبد الناصر»، كل هذه الأنظمة كانت تعادي مصر وسياسة «عبد الناصر»، الذي كان يخشى أن الملك «حسين» كان يريد إدخال الأردن في معركة قد تتيح لإسرائيل اجتياح القدس الشرقية والضفة الغربية، ورغم هذا جاء الملك «حسين» إلى مصر قبل الحرب بعدة أيام، ولهذا طلب «عبد الناصر»منه، عدم تدخل الأردن إذا نشبت حرب مع إسرائيل، لأن قواته العسكرية حينها كانت تكفيها فرقة من القوات الإسرائيلية، بالإضافة إلى أن تحت سلطاته جزء من الأرض الفلسطينية، و«عبد الناصر» كان يخشى من أن يتعرض للإحتلال خاصة أن لديه القدس، الا أن وصول الملك «حسين» الي القاهرة فجأة وإنضمامه الي مصر نتج عنها تشكيل القيادة العسكرية المشتركة بقيادة الشهيد «عبد المنعم رياض».

ثم أعلنت إسرائيل التعبئة الجزئية وتلتها بالتعبئة العامة، وبالطبع مصر كانت تعلم عدم مقدرة إسرائيل بأن تستمر في تعبئتها أكثر من أسبوع، إلا إذا كانت ستحارب، لأن معظم جيشها من المدنيين، ومعني هذا أن منظومة العمل ستتوقف تماما في إسرائيل، وعليه تأكدت مصر بوجود احتمالات لقيام الحرب خلال أسبوع، بناء على حسابات اسرائيل السياسية والاقتصادية والمدنية، وعليه أبلغ «عبدالناصر» «صوت العرب» اخبار هذه العملية، بل وعمل اجتماعاً في قيادة الجيش، واكد على ضرورة المواجهة.. وكان يوجد شواهد تبعث علي الجدية ووجود الحرب، وأخذت هذه الأمور مأخذ الجد، خاصة عندما رأى الشعب الإستعراضات العسكرية في شوارع القاهرة بالدبابات والمدفعية في مظاهرة عسكرية.

وفي ٢٥ مايو يوم اتصل «محمد فايق» وزير الإعلام به وقال له: «أحمد» أفتح

علي الآخر، العملية انقلبت سياسية، ويوجد مبعوث أمريكي قادم الي مصر، ووفد مصري برئاسة «زكريا محيي الدين» سيذهب الي أمريكا لتهدئة الموقف، وبحث اغلاق خليج العقبة..

وسأله «سعيد» : ماهى نوع الحملة الإعلامية التي يريدها؟!

فايق: افتح «بلف» يعني التمويه، وهي في الإعلام التجريبي تفيد تضخيم المواقف، وهذا سلاح إعلامي خطير، لأنه سلاح ذو حدين وقد ينقلب علي صاحبه كوارث.

ويقول الزعيم الإعلامي:

ويحسب الوثائق الرسمية أن الرئيس الأمريكي «جونسون» اتصل بـ«كوسيجين» في الاتحاد السوفيتي وأبلغه: لو حدث هجوم مصري على إسرائيل، سوف تتدخل أمريكا بقواتها المسلحة ، وأنه اعطى أوامره إلى الأسطول الأمريكي في المحيط الأطلنطي، أن يتجه مع حاملات الطائرات، بالاضافة إلى حاملة الطائرات الموجودة في شرق البحر المتوسط،، ليكونوا على أهبة الإستعداد للتدخل إذا حدث هجوم.. واضاف: إنهم ليس لديهم مانع إذا إستجاب المصريين للتهدئة، بإن يتم عقد مؤتمر يناقش فيه مع الأطراف المعنية، عملية الملاحة في مضيق العقبة وفي المضايق بشكل عام.

في حين رد عليه الرئيس السوفيتي: بأنه لا داعي للحرب، وأنه سيبلغ القاهرة بهذا الأمر على الفور، واتصل السفير الروسي في القاهرة بمنزل «عبد الناصر» فجراً، وأبلغه أنه حضر لإبلاغه رسالة عاجله، و ناقش «عبدالناصر» في اجتماع عاجل هذا الأمر مع قادة القوات المسلحة، وقال الضربة الأولي هيكون معناها الدمار، طالما أمريكا قالت مثل هذا الكلام.

ويقول «سعيد» والمفترض إننا نصدقهم، لأنه سبق لهم دعم موقفنا، خلال

العدوان في ١٩٥٦ وكان لابد أن نأخذ بنصيحتهم حتى النهاية..

ويؤكد «سعيد» بعد اجهاض فكرة الضربة المصرية، حدث نوع من الإسترخاء الكامل للقوات المسلحة، وساد شعور أن هناك احتمالات للتفاوض والتقاط الأنفاس، أما من الجانب الإعلامي، فالجماهير كانت تستعد لإحتمالات الحرب، ومعني هذا كان على الإعلام، أن يجهز الجماهير لتضحيات الحرب وسقوط الشهداء، أوتدمير البنية الأساسية للدولة بالكامل، وكان على الإعلام أن يحافظ علي هذه الحالة لدى الجماهير، ورغبتها المستمرة في تقديم التضحيات..

وفي يوم السبت ٣ يونيو عقد «عبد الناصر» اجتماعا مع القاة العسكريين، بناء علي المعلومات التي توافرت له، من مصادر أكدت أن إسرائيل ستقوم بالهجوم، وهذا كان يعني ضرورة وجود خطة مضادة لصد الهجوم.

ولكن عندما بدأ الهجوم بالطائرات الإسرائيلية، كان المشير «عامر» يصطحب وفداً عسكريا عراقيا، في طائرة فوق أجواء سيناء، وتم العدوان الجوي والمشير في الجو، ووصل الحال الي أنهم وجدوا صعوبة في هبوط الطائرة في أي من المطارات، لأن غالبيتها كان تم تدميره.

ويقول الخبير الإعلامي:

جاء يوم الاثنين ٥ يونيو، وكان لدى صوت العرب ما يشبه خطة العمل وجهزوا محطات بديلة ، وأطقم مجهزة هندسيا وبرنامجيا، وبحراسة من القوات المسلحة تحت أشراف «عباس رضوان» أحد الضباط الأحرار، بعد ما تعلموا الدرس من ٥٦ وتدمير محطة الإرسال في أبوزعبل.

وأبلغ «أحمد سعيد» في البيت الساعة ٨.١٥ بالهجوم العدواني، وذهب إلي مبني الإذاعة على الفور، وصدر قرار بالتعبئة في المبني، وبإلغاء جميع القنوات وتجميعها في قناة واحدة، إذاعيا وتليفزيونيا لدقة المتابعة والتوجيه وعدم الوقوع في التناقض،

لأن الخطاب الإعلامي كان موجهاً للمدنيين والعسكريين في أن واحد، ثم اتصل بـ«محمد فايق» وزير الإعلام ولكنه لم يكن قد وصل، فإتصل بـ«سامي شرف» ثم وصل الوزير، وتفاهموا، و«سامي شرف» أبلغه بحالة الحرب، وأن الرئيس ذهب إلى القيادة، معني ذلك أن «صوت العرب» أصبح لها قناتان للتعليمات والأوامر لا ثالث لهما، من القيادة العسكرية ورئاسة الجمهورية، لأن الإعلام لا يستطيع أن يعلن بياناً إلا اذا كان مرسلاً من القيادة العسكرية، والبلد كلها أصبحت في خدمة الحرب، وتم أبلاغ إدارة الأخبار في الإذاعة بتجميع كل البلاغات والبيانات، ثم جاء أول بيان بهجوم الطائرات علي المطارات.

أما عن الإعلام فيقول صوت عبد الناصر :

إنهم كانوا مستمرون في حملتهم الإعلامية التي بدأت في ٢٧ مايو، أي قبل العدوان وتم تصاعدها، علي أساس أن سيوجد حلا سلميا علي طريقة عدوان ١٩٥٦، وكان الهدف منها نقل الجماهير إلى حالة القتال، وفي الوقت نفسه كانت القوات المسلحة في حالة الإسترخاء، ويقول لأن شلة المشير في دفاعها عن نفسها بعد الحرب قالت: أن القوات المصرية كانت في مواقع هجومية استعداد للهجوم، ولكن «عبد الناصر» هو الذي منعهم من الهجوم، وان الفترة من ٢٧ مايو إلى ٥ يونية لم تكن كافية حتى يتحولوا من الهجوم الي الدفاع، ويقول هذا الإدعاء يرد عليه العسكريون.. أما هو كانت مشكلته كإعلامي، تتمثل في إنه بدأ الحملة الإعلامية الـ(بلف) لتحقيق حل سلمي، يحمل بشائر نصر سياسي ، لكنه فوجيء بالقيادة العسكرية تتصل علي الخط المفتوح، وتعطيه بيان رقم واحد بأن قوات العدو قامت بالهجوم، وقواتنا رددت وأسقطت عدداً من الطائرات، وبيان ثان يقول أن ٣٠ طائرة إسرائيلية تم إسقاطها، وبلاغ ثالث يقول: أسقطنا ٤٠ طائرة وبلاغ رابع وخامس على نفس المنوال وتوالت البلاغات.

ولكنه فوجيء ظهر يوم ٥ يونيو، بأحد المراقبين في قسم الإستماع السياسي،

في حالة انفعال وبكاء يكاد يصل إلى الجنون ويقول: إيه اللي انتوا بتذيعوه؟ جميع وكالات الأنباء العالمية تعلن: أن الجيش الإسرائيلي ضربنا وبدأ يخترق سيناء، ويذيعون معلومات مخالفة تماماً لكل بياناتنا الحربية، وأعطى لـ«سعيد» ورقة من الاستماع، وجد فيها موقفا متناقضا جدا، وعليه كلم القيادة العسكرية، في مكتب المشير بأن الوكالات تقول كذا.. كذا.

ورد عليه الضابط «طنطاوي» قائلاً: متصدقش.

فقال سعيد: لكن فيه تناقض، قل لي الحقيقة، أنا أمامي خطة منظمة وهذه بيانات غرفة العمليات ولا يستطيع أن يغير فيها حرفا، والوضع في منتهى الخطورة.

قال طنطاوي: أنه لا يفهم في الإعلام ولكنه يفهم ما يصل اليه، وأنه أبلغ الصحف بذلك وان صحيفة «الأخبار» أصدرت ملاحق وكان مانشيتها الرئيسي إسقاط ٧٦ طائرة إسرائيلية. وأمام هذا التضارب وعدم وضوح الحقائق منع «سعيد» إذاعة أية بيانات جديدة.. لأنه كان يريده أن يعرف الحقيقة، لأنه يخاطب جنودا وشعبا وملايين من الأمة العربية ولابد أن يكون لديه علم بماذا يقول، وماذا يتلقى الشعب من المحطات الأجنبية حتي يستطيع أن يخاطبه.

ويقول الإذاعي الكبير:

علي الرغم من أن هذه الخطوة كانت مخالفة للقوانين اثناء الحرب، إلا أن المفاجأة كانت في أنه لم يكلمه أحدا ليسأله لماذا لم يذيع البيان رقم (٤) وأمام هذا الموقف العجيب.. إتصل بالوزير «محمد فايق» ليسأله ماذا يفعل؟

فايق: ليس لديه أية تعليمات، وأنه محتار مثله.

ويقول «سعيد» كانت البلد كلها مرتبكة.. والخلافات في القيادة.. والرئيس في أسوأ حالاته، ولم يكن أحد ممن حوله يستطيع تقدير الموقف تقديراً سليماً، لأن

الجميع كان مضطرباً. وإستطاع «سعيد» أن يتصل بـ«سامي شرف» بعد منتصف الليل، وأخبره بما مر به من متناقضات طوال اليوم، وما وصله من بيانات مختلفة عما تذيعه وكالات الأنباء..

فقال سامي: القيادة العسكرية هي التي تتولي الموقف الآن..وأمام هذا الارتباك وجد «سعيد» نفسه يحمل مسئوليته الإعلامية للحفاظ علي الجماهير، وحدد لنفسه أهدافاً أهمها: محاولاته للحفاظ علي الروح القتالية للجنود، والحفاظ علي روح الصمود للشعب، حتى لا يحدث تمزق أو ضياع، إلى أن تظهر الحقيقة، أو كما يقال حتى يظهر لهذه البلد صاحب، خاصة أن الوضع كان كارثياً لأقصى درجة، والجنود كانوا مبعثرون في سيناء، والعدو بدأ يحتل القدس والمسجد الأقصي، وغزة والعريش، وبدأت صورة الهزيمة والانهيار تتجسد، والجميع ينهار.

يقول صاحب الذكريات :

وسط هذا الإنهيار وصله بيان من القيادة العسكرية، يطالبه بتيوجه نداء الي الوحدات التي دخلت سيناء بأن تعود.. وعندما سأل عن هذه القوات؟ علم أن الخطة المصرية كانت جاهزة في حالة الهجوم الإسرائيلي، بأن يتسلل ألفان من جنود الصاعقة المصرية، للقيام بعمليات تخريبية داخل اسرائيل، وتدمير خطوط الإمداد الإسرائيلية بالتعاون مع متطوعين فلسطينيين، لتأمين ذلك الأمر، بالإضافة إلى أن سوريا لم تكن دخلت المعركة، وطلب منه أن يوجه نداءات إلى سوريا شعبا وحكومة وجيشا، لدخول المعركة للتخفيف الهجوم على الجبهة المصرية.. وأصبح جهد «سعيد» موزعاً ما بين عمل إعلامي عسكري وعمل إعلامي جماهيري.

ثم صدرت له تعليمات أخرى من القيادة العسكرية، بأن يشدد من الحملة الإعلامية، لأن قواتنا كانت تتمركز في الخط الدفاعي الثاني عند الممرات، وهذا

يعني أن الأمل مازال موجودا إلا أنه ضاع وإنتهي يوم الخميس، بعد ما ضرب الطيران الإسرائيلي القوات الملتحمة. بعدها صدر قرار وقف إطلاق النار والذي كان مفروضا أن يصدر يوم الثلاثاء، ورفضته مصر وإسرائيل مع أن القوات الإسرائيلية لم تكن وصلت إلي قناة السويس ولا حتي الي الممرات.

ويؤكد الزعيم الإعلامي :

علي اتصال «فوزي عبد الحافظ» سكرتير «السادات» رئيس مجلس الأمة حينها.. وقال له الرئيس «أنور» يطلب منك توجيه دعوة عبر الإذاعة الي مجلس الأمة للانعقاد.

سعيد: أبلغه أنني لا أستطيع أن أوجه تلك الدعوة إلا بعد الرجوع للقيادة العسكرية أو الرئيس «عبد الناصر» أو علي الأقل «محمد فايق» أو «سامي شرف». فكلمه «السادات» مباشرة قائلاً: جري إيه يا أحمد أنا طلبت كذا.. كذا، لماذا لم ينفذ؟

سعيد: يا سيادة الرئيس نحن في حالة حرب، أنا لي قنوات وإستفسر عن سبب الانعقاد؟

السادات: الرئيس سيتخذ قراراً بالتنحي وسيستقيل ولابد من توجيه الدعوة للنواب.. وبعد مكالمة «السادات» بعشر دقائق تكلم معه «سامي شرف» وقال: نفذ التعليمات الموجودة لديك فقط.. أي لا يستجيب لـ«السادات»!! ..

وبعد ربع ساعة اتصل به «محمد فايق» قائلاً: ذيع الدعوة يا «احمد».سعيد: أوجه دعوة للنواب؟

فايق: نعم.. وجه الدعوة ثم ذيع بيان التنحي. وبعد اذاعة البيان يقول «سعيد» إنهار جميع من كان حوله، واصبحت جميع الاحتمالات متوقعة بدءاً من حدوث انقلاب عسكري أو حتي هجوم الجماهير علي الاذاعة والنيل منهم جميعاً، لأن

الهزيمة أعلنت في أسوأ صورها، وهي صورة إنسحاب «عبد الناصر» الرمز والبطل، ولكن أصبحت المشكلة الإعلامية في كيفية إبقاء الشعب متماسك وهم يعلنون له حقيقة الهزيمة.

ويقول الخبير الإعلامي:

انه ركز في الساعة الأولي علي طبيعة الشعب المصري النقية المسالمة خاصة عند الأحزان والكوارث، ثم استدعى زميلته «نادية توفيق» وكانت المتخصصة في التسجيلات الغنائية وطلب منها كشف للأغاني الوطنية ذات الشجن العميق، بعيداً عن الأغاني الحماسية التي تلهب المشاعر، وتؤجج الحماس، وبالفعل اختارت له أغنيات عديدة، يذكر منها أغنية «بلدي» لـ«محمد فوزي» وكانت مليئة بالشجن المثير لعواطف الناس حباً في مصر، فبدأ بإذاعتها، وكان لها مفعول السحر فى من يستمع اليها، ثم بدأ الزملاء في الاذاعة ممن يحفظون القرآن والأحاديث النبوية الشريفة، في إذاعة آيات وأحاديث الصمود لإستغلال العاطفة الدينية في تهدئة أي من حالات الغضب أو الثورة لدي الجماهير في الشوارع.

لأن الموقف كان خطيرا جداً لأنه يوجد رئيس تنحي، والجماهير ترفض التنحي، وأصبح يوجد رئيس جديد (زكريا محيي الدين) وقائد جيش لديه خلافات عميقة مع مؤسسة الرئاسة.

ثم جاء «سمير مصلح» سكرتير «زكريا محيي الدين» إلى الإذاعة ومعه بيان مسجل بصوت «زكريا محي الدين» يطلب اذاعته فوراً.. وأستمع «سعيد» إلى البيان الذي كان ملخصه أن «زكريا محي الدين» يرفض تولي رئاسة الجمهورية، وأيضاً اتصل به الفريق «صدقي محمود» قائد سلاح الطيران وكان من المحسوبين على المشير وقال: يا أحمد خد بلاغ مني (أنه يرفض تنحي الرئيس عبد الناصر) وبعده مباشرة اتصل أيضاً «سليمان عزت» قائد القوات البحرية وقال انه يرفض تنحي الرئيس.

وفكر «سعيد» حينها في لو انه أذاع واحدا من هذه البلاغات، سوف يفسد تحركات «شلة المشير» و«شمس بدران» وزير الحربية، لأن رجال المشير وفق هذه البلاغات يؤيدون بقاء «عبد الناصر»، مما ينقذ البلد من احتمالات صراع عسكري، أو تمزق جماهيري.. خاصة مع اندفاع الجماهير تجاه منزل الرئيس بشكل عفوي ودون تنظيم، وعند الواحدة بعد منتصف الليل بدأت التظاهرات تنتظم، وفوتت الفرصة علي الاستعمار في ضربته الثانية، الي رمز حركتها القومية، لأنها أصرت علي التمسك بـ«عبد الناصر» في عناد وتحدي شعبي ورسمي، إلى أن اتصل به «سامي شرف» وقال: ذيع كل البرقيات التي تصلك، من القوات المسلحة حتى رتبة (لواء) علي أساس منع رجال المشير من التحرك وحصارهم بتظاهرة التأييد من جانب قوات الجيش المصري.

وبالفعل اذاع «سعيد» برقية الفريق «صدقي محمود» وبمجرد اذاعتها إنفجرت هواتف الإذاعة بالبرقيات من وحدات الجيش كلها تؤيد بقاء «عبد الناصر».

ويذكر «سعيد» أن الفريق أول «عبد المحسن مرتجي» قال له: أن «عبد الناصر» ظل يحمل لك جميل السيطرة علي الوضع داخل الإذاعة، بالدرجة التي تمنع إذاعة بيان المشير في حال وصوله الي الإذاعة، لأنه لو كان وصل وأعلن بيانا معاكسا لكانت القوات المسلحة انقسمت وكان من الأهمية منع الكارثة بأي ثمن.

ويقول صاحب الذكريات:

أن المبادئ التي كان يدعو اليها «عبدالناصر» لا يمكن أن يرفضها أي انسان عربي عاقل ويعي ما يحاك له.. لكن ظروف الهزيمة أحدثت فيه جروحا عميقة نازفة، إلا انه لم يكن يغضب من الرأي الآخر حتى وهو مجروح في يونيو ١٩٦٧، وهذه كانت إحدى عناصر التميز لديه، على الأقل مع صاحب الذكريات شخصيا طوال خمسة عشر عاما من الدعوة لتحرير الشعوب أوللوحدة، أوالدعوة لاسترداد

ثروات العرب، وكان دائما واسع الصدر والأفق، ولهذا كان قادرا على رؤية الصالح العام، وفي معظم الأحوال يحميه إصراره على مبادئه التي استلهمها من واقع العرب المؤلم ومن وتطلعات الجماهير.

ويقول «سعيد» بعد النكسة، طلب منه الفريق «مدكور أبو العز» قائد سلاح الطيران، القيام بحملات توعية لإعادة البناء النفسي للطيارين، بعدما اتهموا ظلما من أنهم سبب النكسة، وركز في اساسيات الحوار معهم لإسترداد ثقتهم بأنفسهم، ولإستثارة روح الفداء والإستشهاد فيهم، بالتأكيد لهم بأن مصر لم تعد ملكا لأحد، حتى يحكمها كما شاء أو يفرض الرقابة بما يفقد الناس ايمانهم بذاتهم وبكرامتهم، وكانت المحاضرة، في مبنى القيادة المركزية لسلاح الطيران، والتي كانت ملاصقة تماما لمنزل الرئيس «عبد الناصر» بمنشية البكري، وشجعت هذه الكلمات احد الطيارين، فسأله ثائراً: عما يمكن أن يحدث تجاه أي حاكم عربي (وكان يقصد حينها الملك حسين) والذي تردد عن قبوله لمشروع اسرائيلي، بالإنسحاب من الضفة الغربية مقابل اعلانه الاعتراف بإسرائيل، وكان «تيتو» قد جاء بمشروع تفاهم بين مصر واسرائيل، وكان هذا يعني اعترافنا بدولة اسرائيل، وكان هناك ضغط علي موافقة دمشق وبغداد، ولكن بغداد رفضت المشروع في ذلك اليوم، وجاء رد «سعيد» حاسما داميا، لأنه قال: لعلكم تعرفون من هو «مصطفي عيسوي» المصري الذي اغتال «أحمد ماهر» باشا رئيس وزراء مصر، عندما قرر أن يعلن الحرب علي ألمانيا وايطاليا واليابان مما يضر بمصالح مصر، ونحن في مصر لن نعدم «مصطفي عيسوي» اخر لو حدث ذلك، وفي عصر ذلك اليوم طلبوا من «أحمد سعيد» أخذ اجازة مفتوحة ولكنه كتب استقالته وأرسلها إلى «سامي شرف».

ولكن «سعيد» يرفض أن يكون «عبدالناصر» بكل صلابته وكبريائه ويقينه أن يعتقد لحظة انه كان يقصده.. لأن «أمين هويدي» بعد انتهاء الأزمة الخاصة بـ ١٥ مايو قال له: أن «شعراوي جمعه» وزير الداخلية طلب اعتقاله مرتين احداهما بسبب

هذه المحاضرة، ومرة أخرى بحجة تأليبه للنواب في صيف ١٩٦٧ وحصوله على توقيعات ٦٣ نائبا لعقد جلسة فورية لمجلس الأمة للتحقيق في أسباب النكسة عسكريا وسياسيا.. ولكن «عبدالناصر» قال: لا يتم أي اجراء ضد «أحمد سعيد» دون العرض عليه.

ومع أن «عبد الناصر» قد هُزم عسكريًا فى ١٩٥٦ إلا انه انتصر سياسيًا وشعبيًا وعربياً وعالمياً، وبعد يونية ١٩٦٧ ومع تغطية أخبار خطاب التنحى، كانت وكالات الأنباء العالمية والمجلات الأجنبية تطبع صوره على غلافها مع تعليق يقول «انتصار المهزوم» أو «مازال زعيمًا» لأن تراثه النضالى الضخم دفعه لهذا، مما يعنى أن هذه النكسة لم تكن آخر المطاف خاصة أنه ظل رافعاً لشعار «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة» فهو لم يرضخ ولم يهرول باتجاه «كامب ديفيد»، وهذه هى المفارقة أنه رغم انتصار ١٩٧٣ إلا أن مصر هرولت باتجاه «كامب ديفيد»، وهذا مؤلم لأننا حين انهزمنا لم نعترف بإسرائيل وحين انتصرنا اعترفنا بها.



ثورة ٢٥ يناير
أفشلها الجميع..

يقول «أحمد سعيد» صاحب الذكريات عن ثورة ٢٥ يناير:

أنها ثورة أقرب إلي العفوية أكثر منها إلي الثورة المدبرة، التي لها قيادة وتنظيمات تحكم وتفرض إرادة الثورة وتوجهاتها.. ولهذا وجدنا الشعب يطالب المجلس الأعلى للقوات المسلحة بكل الطلبات، سواء كانت ثورية أو فئوية، بل وحمله كل التبعات، والمجلس كان إما يلبي الطلبات أو يمنعها أو يميعها، لأنه ليس ابن الثورة أو وليدها، أو صناعتها.. وليس من لحمة الثورة، ولكنه انحاز للشعب الذي رفض الفساد والاستبداد والتوريث طالب بالتغيير، بعد أن رفض الشعب الواقع المرير الذي كان يعاني منه، ولكنه كان يخشي السلطة، فازداد الرفض وقوي ووصل إلي التمرد، وأسقط حاجز الخوف فقامت الثورة، ولكنها ظلت محلك سر، لأنها ظلت تطالب بالمحاكمات أكثر من أية مطالب أخرى، وهذه ليست ثورة بل عملية انتقامية، لأن الثورة الحقيقية تبدأ لحظة بناء المجتمع الجديد، ورفض الواقع الذي ثارت عليه وكسرت حاجز الخوف، وقامت بتغييره...

ولكن عانت مصر من حالة السيولة في الأحداث، التي أربكت المشهد المصري بعد الثورة، ومرت مصر بمرحلة حرجة سببها أن آلية تنفيذ مطالب الثوار لم تكن في أيديهم، ولكنها كانت في يد المجلس الأعلى للقوات المسلحة، الذي حكم خلال الفترة الإنتقالية، والمفترض أن كل ثورة لها قيادة وتنظيم صاعد وهابط ومن خلاله تتبلور أهداف الثورة عبر قيادتها.. ولكن في مصر قامت ثورة يناير، ورفض المجلس الأعلى للقوات المسلحة من منطلق وطني، أن يوجه أسلحته الفتاكة إلي الشعب، سواء كان هذا بتوجه ثوري أو للحفاظ علي ملايين البشر، وبالطبع القوات المسلحة تنتمي لهذا الشعب، وبالتالي هم يعملون علي خدمته ضد أي عدو أو ضد العبث أو إختراق الأمن القومي حتى لا تضطرب البلاد، وبالفعل عمل الجيش على تأمين سلامة الوطن..

فأصبح المشهد يتصدره جماهير غاضبة ثائرة بدأت في ٢٥ يناير وانضم الشعب إليها في ٢٨ يناير.. وكلُف المجلس الأعلى للقوات المسلحة بضرب الشعب بعدما فشلت الشرطة والبلطجية والجمال والبغال في ما سمي موقعة الجمل من تفريغ الميدان من الثوار، فامتنعت القوات المسلحة عن ضرب الثوار وتداعت الأحداث وإنسحب «مبارك» وتنحي عن السلطة، وإنسحب الثوار من الميدان.

ويؤكد الإعلامي الكبير:

ولهذا ظهر شد وجذب بين المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وبين شباب الثورة في بعض المواقف، في شكل معاناة منذ قيام ٢٥ يناير بسبب هذه الازدواجية، وقد تعاني مصر سنوات أخري، نتيجة أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة كان مع وضد بعض المطالب، وأيضا الشباب والشعب نجدهم مع وضد بعض القرارات التي كان يصدرها المجلس الأعلى للقوات المسلحة.. وهذه المعاناة سياسية واقتصادية بسبب أسلوب عمل المجلس الأعلى للقوات المسلحة، الذي يلومه لأنه ينقصه الثورية بمعناها الشامل وليس الجزئي.

ولم تستمر الحالة الثورية، وسرقت ثورة يناير لأن الجميع أصبح أمام وضع ثنائي، لدرجة أن الإعلام المصري الرسمي، وأحيانا الشعبي وبعض القنوات الفضائية والجرائد التي لا تملكها الحكومة.. كانت تحاول أن توجه الجماهير نحو التهدئة، وتستصرخ من التدهور الأمني والتدهور الاقتصادي، وتحاول أن تجعل الجماهير كامنة وتفقدها ثوريتها وهذا أيضا كان توجه من المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وهو توجه خاطئ قد يرقي إلي مستوي الخطيئة أو الجريمة لأن إفقاد الثورية المصرية لتوهجها كان جريمة في حق ثورة يناير، والخوف علي التوجه الثوري الذي ضاع، ولولا غباء إدارة «مبارك» للأزمة وغباء إعلامه، ووجود إعلام فضائي ينقل ما حدث فلم يكن سيحدث هذا التوجه الثوري.

***

ويرفض الخبير الإعلامي..

ان يصف هذه السياسات بانها كانت ضبطاً لإيقاع الثورة، حتى لا تتحول إلي الفوضي، لأن المجلس الأعلى للقوات المسلحة، الذي كان يدير ويساير ببطء عن إيقاع الثورة لأسباب لديه هو، وأحيانا كان يتجاوب مع نصف الطلبات، والشعب يحسن الظن بالمجلس الأعلى للقوات المسلحة، ولكنه كان يتساءل هل هناك أجندة فرضتها معلومات لدي هذا المجلس، لضبط معين لإيقاع الحركة الثورية؟ وهل هي أجندة أجنبية؟ لأنه لا يوجد حاكم في العالم يستطيع أن يطيح ويفعل ما يشاء في دولته، لأنه يوجد شرطي أمريكي والتحالف الغربي الذي يضرب في أفغانستان وليبيا ويهدد السودان ثانياً.. كم من مليارات الدولارات تتنفس بها مصر وجزء منها بالطبع يأتي من الدعم الخارجي من أمريكا.

خاصة أن أمريكا حاولت وتحاول فرض أجندتها علي الثورة المصرية، ولها سياستها التي من أهدافها إبقاء الوضع في مصر كما هو عليه والمسيطر عليه منذ عصر «مبارك»، وتظل مصر مشغولة بمشاكلها وتمد يدها للسعودية، وقطر والإمارات والكويت، وعلي رأسهم أمريكا المتحالفة مع إسرائيل، ومصر التي وقعت على إتفاقيات غاز «وكويز»، مع إسرائيل، ولا يوجد مانع أن يصل إليها مياه النيل وهو كان المشروع القادم في عهد المخلوع.. إذن المطلوب تحجيم مصر كما كان في عهد «مبارك» وغير مهم من الذي سيأتي حاكم، المهم ألا تنطلق الثورة ولا تصبح نموذجاً للعالم العربي ثورياً، بل تصبح نموذجاً مطيعاً للغرب وهذا لابد أن يوضع أمام أي احد يقيم الثورة.

ويؤكد صوت عبد الناصر:

أن هذا بالطبع، لم يكن بعيداً عن تفكير المجلس الأعلى للقوات المسلحة، خاصة عندما كان يتأمل أرقام اقتصاد مصر حينها، وحجم الدولارات الموجودة،

ومخزون القمح، وحجم الخسائر الاقتصادية.. فهل أمام هذه الحقائق داخله الحذر؟ وهو كان يتخذ قراراته علي هذا الأساس، وقد يكون له عذره.. أم أنه كان أسير أن «مبارك» قائد عسكري مثله، وأول بيان أصدره كان يرجو أن يظل «مبارك» إلي سبتمبر ٢٠١١ ، لأنه بطل الضربة الجوية في حرب أكتوبر، ولابد أن يخرج بكرامة وتكريم..أم أن هناك أسباباً أخرى؟، وبالتالي المجلس الأعلى للقوات المسلحة، أصبح حريصاً علي قراراته ومحاولاً ضبط إيقاع الثورة، حتى لا تسرع في إيقاعها العنيف، إلى الدرجة التي جعلت اللواء «الفنجري» الذي أعلن بيان المجلس الاعلي، وتحدث عن مطالب الشعب وفي لحظة ما، بدأ يلوح بيده بإشارة الأمر المحذر مع أن هذا التحذير يمكن أن يخاطب به جنوده، ولا يكلم به الشعب هكذا..

ويؤكد «سعيد» لأن الشعب أصبح هو صاحب الرأي والسيادة، ولم يعد يوجد كبير في مصر بعد ٢٥ يناير، ولا يجب أن يوجد كبير، وكفانا ما حدث منذ «عبد الناصر» إلي اليوم، فقد كان في القمة ثم نزل إلي السفح، والذي ينقذ تاريخ «عبد الناصر» حالياً ثوريته مع الكادحين، وبطولاته في المنطقة هما المبقيان عليه، وفيما عدا ذلك لكان مصيره مثل مصير «مبارك».. و«السادات» أيضاً نفس الوضع بعد ما إعتقل صفوة المجتمع في سبتمبر قبل اغتياله والمبقي علي ذكر «السادات» هو نصر أكتوبر.

ويقول صاحب الذكريات:

رغم أن الثوار هتفوا الجيش والشعب إيد واحدة، لكن خلع الكاكي من تحت جلد العسكريين في أي مكان في العالم، يحتاج إلي جهد كبير، وإلي شعب واع ثائر حتى لا يلجئوا إلي المعاملة بالانضباط العسكري الصارم المطلوب في العسكرية، وليس مع الشعب المدني فقليل من العسكريين هم الذين أقاموا ديمقراطية متكاملة، والذي كان يحدث في كل مليونية يقوم المجلس الأعلى

للقوات المسلحة، بإلقاء عظمة «ويأسف للتعبير ولكنه يصر عليه ويطالبني بعدم تغييره»!! مع أن الثورة كانت تحتاج حريات حقيقية وليست مهدرة، واقتصاداً حراً غير المنهوب والمسروق الذي تمثل في صورة صديق «مبارك» السيد «حسين سالم» وأمثاله، وعندما تم القبض عليه في إسبانيا وجدوا «٣٢» مليون يورو في منزله، وبالطبع كانوا سيحولون إلي البلطجية ليقفوا ضد الثورة، التي كانت في حاجة إلي تغيير سياسيات بوجود حالة ثورية مستمرة وفي احتياج إلي ميادين الجمهورية كلها واستمرارها في زخم ثوري ضاغط وآمر، حتى يعود الجيش إلي ثكناته ويستدعي عندما تريد ذلك القيادة الثورية، غير الموجودة في الأصل، رغم أن هذا كان عنصر سعادة لجميع خصوم الثورة، ولكن المجلس الأعلى للقوات المسلحة، طالما أنه تبني الثورة ورفض القضاء عليها، كان عليه أن يبدأ بالدستور أولاً والذي ينص علي المواطنة ويجرم التمييز بين المصريين، وحذف خانة الديانة من البطاقة الشخصية، وعلي نوعية الاقتصاد لأنه أول شيء في البناء الثوري الجديد ثم الانتخابات الرئاسية وليس العكس.

ويشير صاحب الذكريات:

إلى أن مصر جزء من العالم الذي يعيش في القرن الـ (٢١) وفي عالم لا توجد به أديان تمارس وإنما تكتب، وكان علينا أن نغازل العالم ونرضيه ليس علي حساب الدين، ولكن من الممكن أن يكون نص المادة الثانية من الدستور، مصر دولة إسلامية مسيحية، وتحترم الشرائع السماوية، وحقوق الإنسان، وهذا حفاظا علي الحقوق، ولكن الإسلاميين كانوا يرفضون هذا، بل كانوا يتهددون ويتوعدون... ويتساءل: لكن أين ثوار وثورة يناير من هذا الوعي؟ وهذا الفرض الواجب عليهم؟! وليس الجري وراء محاكمات أشبه بالانتقامات كما فعلت فرنسا وذبحت نظام الحكم بأكمله..

مشيراً إلى أن الحالة الثورية ليست مطلوبة لميدان التحرير أو غيره من

الميادين، بل من أجل العمل والاقتصاد وإنجاز الأعمال، وهي روح تُفرض بحزم وبقوة من أجل مستقبل الأجيال القادمة، ومصر كانت تمر بمرحلة صعبة، ولم تجد أحداً يفكر في الخسائر اليومية للاقتصاد الوطني، بسبب حالة الترهل الأمني، والمظاهرات غير الواعية، مثل التي خرجت لتعطيل الملاحة في قناة السويس، وإلا من أين ستحصل مصر علي العملة الصعبة؟، ولصالح من يتم منع الملاحة؟ فالحالة الثورية لا تعني الجنون، إنما تعني تحقيق مكسب أو فرصة مكسب، وهي فرصة ثمينة قد لا تتكرر مرة أخرى، وأي خطأ أو تهاون أو ضيق كان سيصل بالثورة إلى حالة الاستسلام، وهنا مكمن الخطورة، لأن هناك من يتربص بمصر، ويريدها مستسلمة للسياسات الطامعة فيها، ودون أنياب تظهر للمتربصين لها، حتى تصبح نموذجاً مطيعاً ومهذباً، خاصة في الإطار الإقليمي والعربي، خاصة أن العيون الشابة في المنطقة العربية تتطلع إلي مصر، لأنها الرمز دائماً والأمن، فالشعب المصري يحمل مسئولية مصرية عربية افريقية، ومسئولية هذا الجيل كانت المحافظة علي ذلك وتنميه وعدم إهداره، حتى لا نقع في ما هو أسوأ مما كان، لأن كل شيء محتمل.

وفي ذات الوقت يعيب الإعلامي الأشهر: على السباق المحموم لتكون التنظيمات التي تجاوز عددها العشرات، والتي قيل عنها إنها تصنع حركة الشارع الثورية في مصر، ثم أعلن أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية خصصت لدعم المنظمات المدنية «٢٤» مليون دولار ولا نعرف وزعت علي من؟ وهل منها هذه المنظمات أم لا ؟ لأن المنظمات الإسلامية والشيوعية والأحزاب لم تحصل منها علي شيء، غير أن المنظمات الإسلامية لها حسابات أخرى، ثم أن «النيويورك تايمز» أعلنت حينها أن الدكتور «زاهي حواس» يحصل علي «٢٤٠» ألف دولار سنوياً من «أمريكا جيوجرافيك» وذلك لاحتكار تصوير الآثار المصرية «!!» وتوزيعها ، ويتساءل لماذا يعطونها لـ«زاهي» ولا تحصل عليها الدولة؟! وهل هذه الآثار ملك له أم للدولة؟..

بالإضافة إلي وجود قيادات تصف نفسها بالثورية، تعمل في معاهد أمريكية خاصة بالتجسس الموجود في العالم مثل معهد «كارينجي» في بيروت وهؤلاء لهم علاقة بالميادين الثائرة، والعملية كانت مريبة لان هذه التنظيمات يقودها المتأمركون، وهذا ينطبع علي العملية الثورية.. وكان المفترض أن نطمئن علي أن ما كان يحدث هو مصري ١٠٠٪ وليس أمريكياً يرعي مصالحنا ومستقبلنا فهذا خلط مرير.

ويقول الإعلامي الكبير :

رغم أن ثورة يناير نجحت في ألإطاحة برأس النظام فقط، وأبقت علي كامل النظام مع أن التغيير ليس تغيير «مبارك» بل نظامه الذي كان يديره بقوانينه، وسياساته،وشلته واقتصاده.. والدليل علي ذلك التفجيرات التي إستمرت في خطوط الغاز المتجهة لإسرائيل والرفض المستمر للقوانين والأوضاع السائدة حينها.. والمطالبة بالدستور أولاً، والعزل السياسي لكل من أفسد الحياة السياسية في عصر «مبارك».. ولهذا ثورة ٢٥ يناير ظلت تطالب بالتغيير، مع انها لم تضع أي لبنة من لبنات البناء الثوري المطلوب للمجتمع، وهذا ما وصلت إليه منذ قيامها وحتى وصول الإخوان إلى الحكم.. ولو أنها حققت التغيير المطلوب لكانت أعظم من ثورة ٢٣ يوليو، لو انها كانت نجحت في إقامة حياة ديمقراطية سليمة، وتحررت من سطوة رأس المال.

حتى لا يتم تزاوج رأس المال بالسلطة مرة أخري، لأن الاقتصاد الحر المطلق بدون سيطرة كاملة، مفسد ومخرب كالسلطة المطلقة فالمال ثروة وسلطة.. ويستشهد بمقولة احد علماء الإعلام «جور فيدال» الذي قال: للنخب الأمريكية «اقتصادية وسياسية» الإعلام له قدرة مرعبة علي إقناع الشعب بالتصويت ضد أكثر مصالحه أهمية من خلال سيطرة رجال المال والاقتصاد علي أجهزة الإعلام مما جعلها أبواقاً لهم، وبالتالي استطاعوا السيطرة علي حركة الجماهير بما يدعوهم إليه.. ولذلك كان على الثورة حماية الاقتصاد وتحديد

هويته.. هل هو اقتصاد حر مطلق دون سيطرة؟، أم كانوا سيدعوا تحديد هويته لكل حاكم يأتي؟، وكان على ثورة يناير أن تحدد ذلك في الدستور.. لأن أمريكا ذاتها بها قوانين لمنع الاحتكار.. ودول كبري كثيرة نجد أن القطاع العام هو القائد مع أنه لا يسيطر.. وكل هذه الأمور كان يجب أن يتم تحددها من قبل الثوار، بل يطالبون بها ويصرون عليها، وتسجل في الدستور حتى تصبح لها القدسية الواجبة ويكون تغييره صعباً وشبه مستحيل.

ولهذا يصف «سعيد» ثورة يناير بالفاشلة، على اعتبار أنها لم تحقق أهدافها لأن أي ثورة تقوم من أجل التغيير سواء كان تغييراً سياسياً، أو اقتصادياً وربما تغييراً اجتماعياً وطالما لم يحدث هذا التغيير فلا يمكن أن تكون ثورة، لأنها لم تحقق فعلياً أهدافها، ولأن إسقاط «مبارك» ليس تغييراً، ثم ظهر التحالف بين التيارات الدينية، سلفيون وإخوان، والسلفيون وجدوها فوضي فظهروا أكثر على الساحة ونحوا حذرهم جانباً بمنتهى الإنتهازية، ولكن سرعان ما ظهر التنافس بعد التحالف بين الإخوان والسلفيين، دون أن يفهموا أن الذي سيحكم المجتمع في المرحلة التالية بعد صراع الإخوان مع المجتمع المصري، هو الأقدر فهماً لاستمرارية الحالة الثورية فكراً وتنظيماً من الآخرين، ورغم هذا لم يعاملهم الشعب كما يتعاملون معه، ويضعهم في سلة واحدة.

ولكنه يؤكد قائلاً: كان المهم هو إستمرار الزخم الثوري، لكن الثوار لم يفهمون ذلك، عندما طالبوا علي استحياء بالعزل السياسي، لمن أفسد الحياة السياسية والاجتماعية بـ «٥» سنوات، وهذا كان أقصى مطلب لهم، فالثورات ليست هكذا، لإنها تلغي كل القوانين والدساتير والشخصيات التي أساءت وأفسدت قبل قيامها.. فالحالة الثورية هامة جداً..

ويقول بنظرة سريعة إلي الثورة الفرنسية وهي أم الثورات لأنها مدرسة، نجد حدوث ا انقلاب عسكري عليها عندما تولي «نابليون» السلطة، وكانت نتيجة هذا

الانقلاب، احتلال باريس مرتين في عهده من الحلفاء «دول أوروبا» ومع أنه بطل فرنسا وقائدها الأشهر إلا أن انقلابه العسكري أصبح نقمة عليها ولم يكن في صالحها، وهكذا الانقلابات العسكرية بسبب ديكتاتوريتها الشديدة..

مشيراً إلى الرئيس «عبد الناصر» وانه لم يتعامل مع الأمور من منطلق زعيم قومي عربي مصري، بل كان يتعامل مع القرارات والاختيارات من منطلق رجل عسكري .. ولكن الثوار يريحون المجلس الأعلى للقوات المسلحة، لأن طلباتهم كلها مجرد إصلاحات ولم تستخدم شرعية الثورة الدستورية، بإلغاء كل شيء له علاقة بالدستور والقوانين السابقة، وهذا حق ثوري للثورة والثوار. ويقول بمنتهى الأسف: لكن جماعة الإخوان وصلت إلى الحكم، وإستطاعت أن تسرق الثورة، وبالطبع كانوا أسوأ من «مبارك»، ولكنه يؤكد في ذات الوقت أن جميع الثورات العربية تمت سرقتها.. وفقدان ثورة يناير لثوريتها وارتخائها بما يقذف إليها من «عظم»!! مثل محاكمات أو قوانين أو انتخابات وإلهاؤها أفقدتها روحها الثورية، ووجد الشعب نفسه في احتياج إلي ٢٥،٢٨ يناير ، وعانى الشباب الثائر إلى أن تبلور هذا الإحتياج في ٣٠ يونيه، كما حدث مع ثورة ٢٣ يوليو وعدم تطبيقها المبدأ السادس لها وهو الديمقراطية بسبب عسكرية «عبد الناصر» وليس ديكتاتوريته، وحينها جاءت فكرة الديمقراطية وكان على الشعب التمسك بها ولا يتركها تتسلل وتهرب من بين يديه، بسبب أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة، كان يساوم الثوار ويسوفهم وكان عليه أن ينصب نفسه مجلساً ثورياً ويحدد شكل الدستور ومواصفات الانتخابات وطريقة إجرائها. ولكي يحدث التغيير المطلوب هو أن يحكم الشعب لصالح الشعب وهذا لم يحدث إلا بعد اكتمال خارطة الطريق من الاستفتاء على الدستور، والانتخابات الرئاسية وانتخاب مجلس النواب.

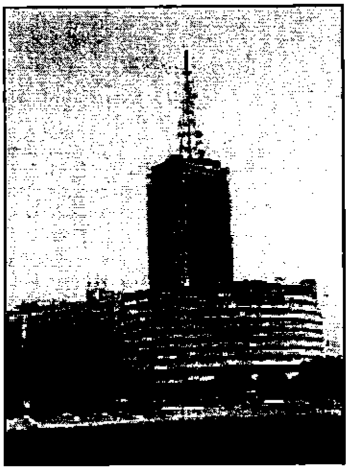
وعن دور الإعلام خلال ٢٥ يناير يقول الخبير الإعلامي:كان يوجد جدار بين المواطن وبين الإعلام الرسمي، وانعكس هذا علي العملية الإعلامية بالكامل،

وأصبح الإعلام في واد والجماهير في واد آخر.. وسقط الإعلام الرسمي بقياداته وقنواته.. وكان يجب من اللحظة الأولي علي تنحية «مبارك» والمطالبة بمحاكمته، وعزل أو إخفاء جميع من أيدوه في الأزمة، وأول سقطة ارتكبها مسئولو الإعلام هو الإبقاء علي الوجوه التي كانت تديره بالأسلوب الفج الرخيص الذي رفضته الجماهير، ورفضت الوجوه الكالحة الحزينة علي خلع «مبارك» فلم يكن الإعلام علي مستوي الثوري فأصبح إعلاماً مرفوضا (!!).

ولم تقوم وزارة الإعلام بدورها في تلك المرحلة، ولم تعمل على استمرار الحالة الثورية والحفاظ علي الوهج الثوري، وهذا لا يعني الوقوف في ميدان التحرير بل تعني الوعي والحذر والشك والقبض علي الجمر والإصرار علي تحقيق الهدف فليس المهم أن يكون إعلاماً تنويرياً بدون وعي وإيقاع مضبوط من قيادة الثورة حتى يكون خادماً وليس عدواً للثورة تحت مسمي تنوير أو عنجهية ثورية .

ولكنه يأسف عندما يقول: استمر الإعلام المصري كما هو، والمواطن المصري لديه «١٠٠٠» قناة فضائية موجهة للمنطقة العربية باللغة العربية.. وكان لابد من وجود إعلام حقيقي مصري ثوري يعي الخطر حتى يتجنبه.. لأن قهر استخدام أجهزة الشرطة أمر استثنائي ومتباعد الحدوث.. بينما يتم علي مدار الـ «٢٤» ساعة استخدام أجهزة الإعلام في تضليل الشعوب وتسييسها بما يؤدي إلي نفس الإرهاب والقهر للجماهير المستهدفة وهذا ما قاله «باولو فرير» في كتابه «فن تعليم القهر» ولهذا كان لابد من محاكمة «صفوت الشريف» و«أنس الفقي» والمطالبة بإعدامهما لآن جريمتهما لا تقل عن جريمة «حبيب العادلي» لأنهم قتلوا شعباً طوال «٣٠» سنة وهي جريمة «الشريف» و«الفقي» وكل من شاركهما من إعلاميين..

كل هذه العوامل أدت في النهاية، إلى فشل ثورة حقيقية نقية قام بها شباب أبهر العالم، وأنضم اليه باقي فئات المجتمع، وطالبوا بالحرية والديمقراطية والعدالة الإجتماعية.







إعلام ما بعد «عبد الناصر»

يقول «أحمد سعيد» الإعلامي الأشهر في الوطن العربي: أن الساحة الإعلامية المصرية بصفة خاصة والساحة العالمية بصفة عامة يتحكم فيها رأس المال لأن العملية الإعلامية اليوم سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مرئية أصبحت عملية شديدة التعقيد وعالية التكاليف.. وأبسط دليل على هذا كم تكلفة الساعة التليفزيونية؟؟ إذن الإعلام يحتاج إلى موارد .. ولإصدار جريدة إسبوعية أو يومية كم تحتاج لإصدارها وإستمرارها؟ أما الإذاعة فتكلفتها بين تكاليف الجريدة والتليفزيون ولكنها أيضاً تحتاج إلى موارد وبالتالي الإعلام أصبح يحتاج إلى من يملك.. وكلمة يملك هذه تفرض على الإعلام السيطرة سواء كانت الدولة ممثلة في الحكومة أو رأسمالي ممثل في مليونير ، وهذا يجعلنا نناقش أبعاد الملكية لأي انسان في أي مشروع من مشروعاته وإذا طبقت نظرية الإقتصاد الحر، وأصبحت النظرة للموضوع على انه عملية إقتصادية بحتة إذن الإعلام من حقه أن يقول ما يشاء، دون الإلتزام بما يسمى ميثاق الشرف الإعلامي، لأن عمر ما ميثاق الشرف الإعلامي تم إحترامه..

ويتساءل: هل في عالم الإعلام من الممكن إحترام ميثاق الشرف الإعلامي؟ وحينها سوف نفتح على الإعلام باب قضايا ،

ويجيب: أن التجارب السابقة بها نوع من الإستحالة في التطبيق، فإذا كانت دول العالم المتقدمة نفسها تعاني من قوانين تكبت حرية الرأي .. وأبسط دليل على هذا ما يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية من ناحية ضوابط الأمن القومي خاصة بعد أحداث سبتمبر ٢٠١١ ، وأيضاً بريطانيا التي تدعي أن إعلامها حر، إلا أنهم إستصدروا قانوناً يمنع المساس بالمحرقة اليهودية في نفس اللحظة التي يسمحوا فيها برسوم كاريكاتورية تسيئ إلى الرسول ﷺ، ولهذا مقولة أن الإعلام حر ومطلق الحرية يعتبرها إكذوبة كممارس ومراقب لأن الإعلام لمن يملكه، وأيضاً تطوير الإعلام يحتاج إلى عدة عناصر منها إخراج قاعدة كبيرة من المواطنين

لإدارة شئون الإعلام بمعنى إذا كانت الأحزاب من حقها أن تصدر صحف وإن كان بعض المهيمنين بالشأن الإعلامي العام نجحوا في إستصدار تصاريح صحف مستقلة وليست حزبية ولكنها عامة الإتجاهات وطالما يوجد مالك فهو الذي يضع قواعد العملية الإعلامية وضوابطها وأي قول خلاف ذلك يعتبره خداع لمن يخاطبهم الإعلام..

وعن كيفية التخلص من هيمنة المالك على الإعلام بعدم دسه لوجهة نظره للجماهير المتلقية يقول الخبير الإعلامي:

الولايات المتحدة الأمريكية بدأت في ذلك، ولكن فرنسا رائدة سباقة في هذا، بأنهم عملوا نوع من أنواع الدعوة لإنشاء نوع من الوعي الإعلامي، حول كيف يستطيع المتلقي أن يفرق بين الغث والسمين في الحملات الإعلامية، وسلاحهم في هذا طالما يوجد مالك لجهاز إعلامي فيوجد في المواجهة مالك أخر، ويتنافسوا على جذب المشاهدين، حيث توجد قناة فضائية تابعة لأمريكا مثل قناة «سوا» وتوجد قنوات أخرى ليست تابعة لأمريكا مثل المتواجدة في دول أخرى وتبث أراء معارضة، فكيف للمتلقي أن يفرق بين المادة الإعلامية الجيدة حتى يصل إلى الحقيقة؟ فهذه عملية صعبة ومعقدة جداً وتحتاج إلى عنصرين، وجود من يتولى هذا التفسير والبيان، ووجود متلقي واعي جداً وراقي في وعيه بحيث انه عندما يشاهد برنامج أو يقرأ جريدة أو يستمع إلى إذاعة في خبر واحد مشترك في الثلاث وسائل كل بطريقته، يستطيع أن يفرق بين الثلاثة أخبار ويصل إلى كبد الحقيقة..وهذا وضع طبيعي لأنه كلما كثرت القنوات دون أن يكون بينهما إحتكار يحدث تنافس وكلما انتشرت القنوات التي تعبر عن الرأي كلما إقترب المشاهد العادي من الحقيقة وإدراكه لها، ولكن يوجد تخوف من أن يسيطر توجه واحد على جميع القنوات من خلال مصلحة مشتركة مثل مصلحة الرأسمالية العالمية.

وفي ذات الوقت يصف «سعيد» :الإعلام في مصر والوطن العربي بأن سيطرة رأس المال الحكومي يتحالف مع الرأسمالية المصرية، ودليله على ذلك أن القنوات الخاصة في مصر المفترض انها بعيدة عن سيطرة الحكومة طالما يملكها رجال أعمال، لكن الحقيقة انهم في تحالف كامل مع الحكومة وبذلك أصبحوا فرع من فروع التوجه الإعلامي العام التي تسيطر عليه الحكومة هذا من ناحية القنوات الفضائية، أما الإذاعة فإن الحكومة تسيطرة عليها حتى الأن، والصحف جميعها فيما عدا الصحف الحزبية المتمتعة برضا النظام تجدها متشابهة رغم كل النقد الذي توجهه إلى الحكومة إلا أنها في الإطار العام متشابهة كأنها جزء من المنظومة الحكومية ولكنها تلعب دور المعارضة.

ويكمل أيضاً: رغم أن الإعلام المصري قبل ثورة ٢٥ يناير بسنتين إتسم بالجرأة وأصبح يهاجم حتى رئيس الجمهورية، أو يتحدث عن التوريث والفساد، في ظاهرة حديثة وهى إشاعة جو من الحرية والديمقراطية في المنطقة العربية، وبالتالي في مصر، مع انه كانت أغلقت جريدة «الدستور» ثم تطورت الظروف العالمية وكان لابد من وجود هامش أكثر من الحرية، ورغم صدور أحكام قضائية لصالح جريدة «الدستور» إلا أن النظام حينها عطلها إلى أن أصبح الجو العام العالمي يأمر بوجود هامش حرية أكبر فأعيدت الجريدة، ولكن عندما عمل حزب «العمل» معارضة من خلال جريدة «الشعب» أغلق الحزب والجريدة، وصدرت قرارات من مجلس الدولة بأن قرارات الإلغاء باطلة، ورغم هذا لم تعود إلى الإصدار بأمر من السلطة، ولم ينفذ أي حكم منهما وبالفعل ظهرت جرائد معارضة ومنها من خرج عن الخط الحكومي، وأصبح يعارض رئيس الدولة ورئيس الوزراء بضراوة.

إذن كان يوجد نوع من انواع حرية الرأي الموجودة حتى التليفزيون المصري أعطى سقف من الحرية أعلى بعض الشيئ من ذي قبل، ولكنه ظل يدور في فلك

الحكومة وأراء الحكومة والدليل على ذلك الهجوم الشديد غير المدروس على جماعة الإخوان في مراحل الانتخابات التشريعية وبصورة أكسبت الإخوان أنصاراً عنداً وغيظاً وكرهاً في النظام.

ويصف «صوت عبد الناصر» :صورة الإعلام في العالم العربي بالأفظع من مصر، لأن مصر أصبحت أفضل حالاً من ناحية التعبير عن جرائد وإذاعات وتليفزيونات كثيرة في الوطن العربي، وتليها لبنان لأن لبنان بها صناعة صحافة، ورأي عام ومقسم طائفياً ومن يعبر من وجهة نظره طائفياً، لا يستطيع احد أن يجزم بأن هذه حرية رأي لأنه وضع طبيعي، فهل يمكن أن يجد أحد من المسلمين يهاجم الإسلام أو مسيحي يهاجم المسيحية في وسائل الإعلام؟

ويجيب هو على سؤاله قائلاً : بالطبع لا..

ويكمل قوله: إذن هى حرية محدودة، ويليها إلى حد كبير الإعلام المغربي.. ولكن لا أحد يستطيع أن يقول هذه هى الحرية المطلوبة في الوطن العربي، ولكن نستطيع أن نقول أن الإعلام العربي يعاني محنة، فمازال يصارع لعبة الشد والجذب، ولم يصل إلى وضع مستقر عليه مثل فرنسا وهى النموذج الأمثل في الصورة الجميلة للإعلام، فيما عدا قانون معاداة السامية ..

وما يتمناه «سعيد» أن يكون الإعلام العربي مثل فرنسا لديه حرية كاملة وتعدد وسائل الإعلام مع وجود مواطن على مستوى جيد من الوعي ..

وفي ذات الوقت يقول صاحب الذكريات:

ان الولايات المتحدة الأمريكية تعاني أيضاً لعبة الشد والجذب في الإعلام لأن بها قوانين كثيرة مقيدة للحريات بدءً من التنصت على الناس أو إلى أنهم يطلبوا من الجرائد أن لا تتعرض لقضايا معينة، وأيضاً عدم نشر صورة معينة بحجة الأمن القومي الأمريكي.. ولا يستطيع أحد أن يقول الإعلام العربي مخترق أم لا، طالما

لا توجد قياسات رأى بشكل علمي ، ولكن يمكن القول أن الشارع العربي تحديداً معادٍ لسياسات أمريكا، ولو وجدت انتخابات حرة ونزيهة في العالم العربي لما جرؤ أي حاكم عربي على تأييد السياسة الأمريكية كما يتم تأييدها اليوم، فأمريكا تقوم بالتربيط بواسطة الخونة والعملاء من خلال حكام ورجال أعمال وقنوات فضائية ومجلات.

ولهذا الخطاب الإعلامي العربي تسوده حالة غريبة من أداء الإعلاميين لدورهم الإعلامي تحت سيطرة الدولة غير المباشر وفق نظرية الدولة المكافحة غير التسلطية، لأنها ترى أن تسيير أمر الإعلام يجب عدم تركه للإعلاميين وحدهم، ولذلك الكل يسعى إلى إقامة الحدود ووضع القيود على حق الدولة في الدعاية السياسية لكي لا تتعسف في استعمال هذا الحق، كما أنها تشرِك الأحزاب السياسية المعارضة في العملية الإعلامية وفي القضايا الرئيسية التي تهم البلاد. ورغم الممارسات شبه الديمقراطية ورعاية حقوق الإنسان، إلا أن هناك ما يشبه الوصاية من الدولة علي وسائل الإعلام بكل أشكاله، حيث أن القيادة السياسية والقائمون بأمر الإعلام يقومون بالتوجيه والتوعية وتحديد ما يمكن تقديمه إلى الجمهور من خلال وسائل الإعلام، دون الاهتمام بجوانب التربية والتثقيف والإعلام في برامج متوازنة خوفًا من الحرية المتاحة لتلك الجماهير.

وعن طريقة تناول بعض الأحداث التي تؤرق الضمير العالمي تجاه العالم العربي والتي لم نستفيد منها إعلامياً يقول الخبير الإعلامي:

هذا الفشل مستمر لأن الإعلام العربي له شقين، شق داخلي وشق خارجي، لأننا نرى في الشق الداخلي جميع البلدان العربية بلا إستثناء، وجميع أصحاب رؤوس الأموال التي وراء الأجهزة الإعلامية بدون إستثناء لا يريدون للقضية الفلسطينية أن تكون هى الهم العربي الأول، بل يريدون أن يقتلوها.. (ويجب أن نضعها على بلاطة) ولا نلف وندور حول الكلمات في التعبير، مع أن العرب يدعون إلى السلام

أو الإستسلام في حقيقته!!، وبالتالي ليس من المصلحة أن نكبر الهم الفلسطيني عن هم المواطن العربي، وبالتالي أي حادثة من هذا النوع مثل إغتيال أطفال أو شيوخ مسنين ليس من المصلحة أن نكبرها بل نعلنها في وسائل إعلامنا حتى لا يقال إننا منعنا نشر هذه الجرائم، ولكنها تنشر بطريقة لا تثير الجماهير.

ويؤكد على وجود فارق كبير بين الإعلام الثوري والإعلام العارض، ويصف هذا الفارق مثل الذي بين الأرض وبين السماء، لأنه من الممكن أن يذيع الإعلام مذابح بطريقة ما بحيث لا تثير أي درود فعل لدى المتلقي، وممكن أن يعرض الإعلام مذبحة واحدة وليست مذابح ولكنها تهيج الجماهير وتخرجها في مظاهرات ثورية متكاملة لتسقط كل من يؤيد هذه المذبحة، لأنه يوجد فارق كبير بين المذابح وبين المذبحة، لأنه يوجد فرق كبير بين الإعلام الذي يقتل النخوة ويقضي على الإحساس بأن من مصلحتنا أن فلسطين تصبح دولة حرة، فيجعل المتلقي يتعود على مشهد المذابح ويتعود على المأساة ويتعود على مشاهد القتلى، مثلما نجح الإعلام العربي في أن يقتل القضية الفلسطينية، بعدم الإحساس بالمذابح الإسرائيلية في الشعب الفلسطيني خلال السنوات الماضية بدءً من الانتفاضة الثانية.

وعن الشق الخارجي المتعلق بالإعلام يقول الإعلامي الأشهر في الوطن العربي:إذا كان حكام العالم العربي حكام إستسلام في البدء، لا يمكن أن يفكروا في استغلال قضايا وحوادث مثل هذه التي أشار إليها حتى لا تثير الرأي العام العالمي، لأن إثارة الرأي العام العالمي سوف يستتبعه إثارة الرأي العام العربي، وبالتالي لا يهتمون وإذا اهتموا فليس لديهم الكوادر ولا الكفاءة الإعلامية الكفء التي تجعل القضية الفلسطينية قضية عالمية تريح الشعب الفلسطيني وتقيم له دولته.

ويشير صوت «عبد الناصر» :

إلى إدارة الإعلام المصري والعربي في الإساءة المتكررة من البعض في الغرب إلى الرسول ﷺ بقوله: مثلاً الرسوم الكاريكاتورية وإساءتها إلى الرسول الكريم ﷺ

لم يتناولها الإعلام في وقت نشرها بالإعلام الغربي، بل بعدها بعدة شهور.

ويجيب لأن الإعلام العربي في السفارات العربية نائم في الدانمارك وغير الدانمارك، حتى صحف المعارضة لم تشير إليها في حينها، ألا عندما تقرر الإشارة اليها، وكأنما هى لعبة يراد بها إلهاء الجماهير عن أشياء أخرى وليس عن إهانة الرسول ﷺ في ذات الوقت، مع أن الرسول أهين لأن شعب الرسول هو المهان..

ودليله على هذا أن اليهود في مرحلة ما كانوا مهانين في العالم كله، وكان الدين اليهودي أيضاً يهان، ولكن عندما بدا اليهود في السيطرة وساهموا في حركات العالم وأصبح لهم صوت أواخر النصف الأول من القرن العشرين، وأصبح لهم كلمة لدرجة جعلتهم يستصدرون قوانين من الدول التي تمنع مجرد التشكيك في المحرقة، وليس مهاجمة الدين اليهودي، وكأن المحرقة قدر مفروض..

في حين أن أي باحث علمي يستطيع أن يدرس وان يشكك فيها، وعلى الآخرين أن يبحثوا ببحث علمي وان يثبتوا أن هناك كان يوجد محرقة مع أن المحرقة ليست بعظمة الدين اليهودي، ولا بعظمة اي دين سماوي، ولكن أحترمت المحرقة وكأنها قدس الأقداس في حين يوجد مليار مسلم يدينون بالإسلام ولكن لأنهم مهانون فنبيهم وهو خاتم الأنبياء توجه له الإهانات .. وليس هذا فقط بل يوجد عشرات الصور والأفلام ضد الإسلام والمسلمين والرسول ﷺ ولكن لسبب أو لأخر رأوا إلهاء الجماهير بقضية فرعية، مع أن هذا لن يضر الرسول في شيء، فقد قيل عنه من قبل انه شاعر وساحر... إلخ، وهو وضع طبيعي على لسان خصومه، وهم يقولون ما يقولوه ومع هذا توجد آية في القرآن الكريم، تدعوا المسلمين بأن لا يسبوا آلهتهم حتى لا يسبون الله .

ويكمل الزعيم الإعلامي:

لأن أول قاعدة في الإعلام هو إزالة الحاجز بين من أمام الكاميرا وبين من

خلفها وفي السينما يطلق عليه نجم الشباك، ومن صفاته أن يكون محبوباً وقريب ومطلوب من الجماهير ويثق فيه من الجماهير.. والإعلام كذلك بل الإعلام سابق على السينما لأن الإعلام ظهر مع ظهور الدعوات السماوية قبل نجوم الشباك.. فعندما يريد أن يخاطب الشعب الدانماركي الذي رأى الإهانات، ويريد أن يقنعه بأن هذه الإساءات باطله ويحدثه عن النبي ﷺ، فهل نحضر له شيخ الأزهر وهو أكبر عالم إسلامي في الدنيا، لكن هذا يصنع حاجز طبيعي لأن هذا العالم من أين؟ وما هي لغته؟ وما هي هيئته؟ وما هي معرفة المشاهد المستقبل الرسالة الإعلامية به؟ فهذه المعالجة الإعلامية بالطبع خاطئة ولن تفيد ..

ولكن عندما نحضر شخص من بلادهم يكون أسلم ، وإذا لم نجد شخص في هذه البلد يكون على المستوى المطلوب ويستطيع أن يفيد في الحملة الإعلامية، توجد دولة ألمانيا وهى جارة للدانمارك، وكان يوجد سفير ألماني مسلم يدعى «مراد هوفمان» وعندما اسلم بعض الألمان إشتكوه وطالبوا بفصله من وزارة الخارجية، مدعين أن ولائه سوف يصبح للإسلام لأن الإسلام يفرض ولاء معين وهم دولة علمانية، وبالتالي لا يصح أن يوجد سفير مسلم يمثل دولة علمانية، وبالفعل تم تشكيل لجنة تحقيق برلمانية مع لجنة من وزارة الخارجية، وجاءت نتيجة التحقيق أن ولائه لألمانيا سيظل كما هو، وأن الإسلام ليس دين متعصب حتى يمنع هذا الولاء على الدولة الألمانية والشعب الألماني ، وهذا السفير له مؤلفات عديدة عن دين الإسلام وحاصل على ثلاثة رسائل دكتوراة منهم واحدة من الولايات المتحدة الأمريكية، وكان لابد من الإستعانة بمثل هذا الرجل ليتحدث عن الإسلام، ولكن لم يفكر المسؤولين عن الإعلام العربي بالإستعانة في الرد على حملات الإهانة للإسلام، أو فكروا في عضو مجلس العموم البريطاني المسلم الموجود في بريطانيا، أو هل فكروا في المطرب الإنجليزي «يوسف إسلام» مع أن هذا المطرب أنشأ حزب سياسي، أو فكروا حينها في الإستعانة بالفرنسي الراحل «روجيه جارودي» المفكر الإسلامي الشهير.

ويتساءل «أحمد سعيد»:

ما الذي يمنع بالإستعانة بمثل هؤلاء طالما هم على مستوى ثقافي كبير؟ لأن كسر الحاجز الإعلامي لابد وان يكون له عنصر نجم الشباك حتى تقبله الجماهير المستهدفة من العملية الإعلامية، لأن حاجز اللغة عامل مهم جداً، فلنفترض أن شيخ الأزهر يعرف ألماني أو فرنساوي، لأنه يوجد علماء من الأزهر حصلوا على شهادات من أوربا، وفي إستطاعتهم أن يحاوروا الشعب الأوربي، ولكن إذا كان في الإستطاعة الإستعانة بشخص ألماني في الأصل، حتى لو كانت كفائته الدينية أقل، لكنه أفيد للقضية لأن من يرضع اللغة مع لبن الأم يصبح مالك اللغة ومسيطر عليها وعلى إصطلاحاتها وتراكيبها وسرعة رد الفعل والتبطيء والإسراع في الحديث كل هذا شيئ مخزون وموروث ويتكون يوم وراء يوم؛ لأن مخاطبة المتلقي بلغته وموروثه الثقافي والإجتماعي أفضل بكثير في القضايا التي تحتاج إلى إقناع وتغيير في وجهات النظر أو في الآراء التي تم إعتناقها، وبالطبع هذا الملتقي الذي نحتاج أن نصحح له المفاهيم الخاطئة التي تنشر عن الإسلام والمسلمين، إقتنع وتعلم أن هذا الدين الإسلامي قد إفترى عليهم وأخذ منهم بلاد من شرق أوربا، فهل بعد ذلك هذا المتلقي لديه إستعداد لأن يقبل الضد من هذه الأفكار؟ .

ويجيب قائلاً:

إذن المتلقي نفسه غير مستعد وغير متيسر له ذلك، ليس بسبب عجز اليوم، ولكن بسبب عجز سابق، لأن المسلمين لا يجيدون الدعوة لأنفسهم في الخارج منذ سنوات وسنوات، فالدعوة في الخارج ليست بالبساطة أن تجمع كم مليون مواطن وبعض الشيوخ الأجلاء وتعطي لهم قنوات وتقول لهم قولوا ودافعوا عن الإسلام، وهذا يتم من غير نفع لأن المتلقي لديه إهتماماته الخاصة به، فعنده جرائد وقنوات وإذاعات وطنه بالإضافة إلى جرائد العالم على الإنترنت..

إذن المعركة شرسة..

ولكنه يطرح عدة تساؤلات قائلاً:

هل درس الإعلاميون هذا المتلقي الغربي؟ وهل يوجد جهاز إسلامي في الأزهر؟ أو في السعودية بإعتبار أن بها الحرمين الشريفين ولو طلبنا منهم فكرة او دراسة عن المواطن الأوربي، هل لديهم هذه الدراسة ليعطوها للباحثين؟ مع أن هذه الدراسات سيطرأ عليها الجديد كل يوم هذا إذا كانت موجودة في الأصل!! لأن أي متلقي دائماً فكره وإهتمامه في تغير مستمر.

ويؤكد الإعلامي الأشهر: أن مصر خاضت تجربة متشابهة وإن كانت أخف حدة عند إنشاء صوت العرب، لأن مع إنشاء صوت العرب بحثوا عن المتلقي بالرغم من أن المتلقي أمة العرب، ولكن مع هذا يوجد خصوصيات محلية لكل قطر عربي مثل المغرب الشقيق بها خصوصيات عربية، بربرية عرقية إمازيغية.. وخصوصية عربية جداً، وهى إعتبار أن الحاكم من آل بيت النبي ﷺ، ويتم تقبيل يده حتى لو كان صبي صغير، إذن كانوا في صوت العرب لا يستطيعون مهاجمة هذا الحاكم إلا بطريقة معينة وبحساب معين.. والعراق أيضاً بها أكثر من طائفة شيعي، سني، أكراد، كلدانيين، أو أشوريين،... إلخ وكان عليهم أن يعرفوا هذه النزعات، وعندما عرفوها نجحوا في توحيد الشعب العراقي، ضد نظام الملكية وضد نظام «نوري السعيد»، وضد التعامل مع بريطانيا والغرب وحلف بغداد، ونجحوا في ذلك بعد أن وضعوا هدف يستطيعوا أن يتحدوا عليه ويتجمعوا حوله. لانه حدث نوع من أنواع التغيير الجذري في وسائل الإتصال ووسائل المعلومات مع ظهور الفضائيات وتعددها خاصة أن الفضائيات لم تؤثر في الصورة فقط، بل أثرت في الكلمة وفي الرأي والآن أصبح امام المشاهد العربي مئات القنوات الفضائية التي تخاطب الوطن العربي.

ويؤكد صاحب الذكريات :

على أن الصحف المستقلة استفادت من الأحداث السياسية بعد أن أصبح أي حاكم في الوطن العربي سيطرته على أجهزة الإعلام في بلده هشة وضعيفة، إذ لا بد أن يفتح المساحة للرأي بعض الشيئ ليحدث تنفيس خوفاً من الإنفجار .. وكان وضع طبيعي أن لا يقولون أن أمريكا هى التي طلبت منهم ذلك، لكنه كان هذا الوضع لتطور الأمور، بالإضافة إلى نزعات الكبت والرغبة في الظهور، فظهرت جريدة تهاجم وتنتقد وتهاجم بعنف، فوجدنا بعض الجرائد الأخرى تنساق وراءها، ولكن عندما تطرق «عبد الحليم قنديل» إلى موضوع التوريث، تم إختطافه وضربه وتجريده من ملابسه وتم إلقائه في الصحراء، وحينها توقفت الجرائد عن النقد والهجوم، ولكن عندما عاد «عبد الحليم قنديل» لنفس الموضوع تشجعوا مرة أخرى وعاد النقد والهجوم، مثل التيار الكهربائي موجات موجات، لذلك أي تصور أن الصحف هى التي ضغطت فهذا خطأ لأن الصحف هى التي إستفادت من المناخ العام الذي كان سائداً في تلك الفترة، ورأينا رئيس الجمهورية يتناول على صفحات المعارضة والخاصة بصورة لم يكن احد يتوقعها، وأيضاً قضية التوريث، ورغم هذا تركتهم السلطة ولم تتبعهم من خلال القضايا، رغم انهم كانوا في بعض العبارات يتجاوزون ويخضعون لقانون السب العلني، والكثيرون توقعوا أن تبطش الدولة بالمعارضين، ولكن إذا بطشت الدولة بهامش الحرية سيكون فعلها غباء مركب.

وعن دور وزارة الإعلام قبل إلغائها يقول الخبير الإعلامي :

إن وزارة الإعلام كانت تملك أجهزة الإعلام، وبالتالي كان عليها الإستفادة من هامش الإعلام المملوك لها، طالما أن الإعلام لمن يملكه، ووزارة الإعلام تملك والدولة تملك وزارة الإعلام أو بالأصح رئاسة الجمهورية التي تضع السياسات، ولذلك لم تخرج وزارة الإعلام عن قواعد اللعبة بل حاولت أن تلمع النظام وفي

نفس الوقت تحاول أن تمتص بعض الغضبات الإجتماعية التي كانت تحدث في المجتمع مثل: حادثة عبارة السلام، فوجدنا وزارة الإعلام تتحرك كأنها إعلام مستقل، وفي ذات الوقت أظهرت صاحب العبارة وهو يدافع عن نفسه في نشرة الأخبار، وكأنه في شكل إعلان مدفوع الأجر، بعد أن وصلت نشرة الأخبار إلى المهزلة والإستهانة، بأن تخاطب صاحب العبارة ليدافع عن نفسه، وكان هذا سقوط إعلامي لأن المفترض أن نشرة الأخبار لها قدسيتها..

وما حدث كان خطأ وسقوط لأنه على الإعلام أن يعرض المأساة فقط ولا يعرض دفاع صاحب العبارة لأنه ليس في محكمة ولكنه كان جزء من النظام وعضو مجلس شورى، وبهذا جميع المقاييس والمعايير الإعلامية تمنع ظهور مثل هذا في نشرة الأخبار، ولكن ربما تم أمرهم بهذا الظهور، أو ربما كان يوجد فساد حول ظهوره، لأن الرجل سافر لندن وكان مستمتع بالحياة هناك.

وعن إلغاء وزارة الإعلام يقول «أحمد سعيد» :قضية الإعلام ليست في وزارة الإعلام، لأن بريطانيا ليس بها وزارة إعلام، ولكن بها (بي بي سي) ويحكمه مجلس والمجلس تحكمه الحكومة، والحكومة هى التي تمول هيئة الإذاعة البريطانية، وبها جهاز إعلامي حكومي، وأيضاً واشنطن نفوذها ضئيل على الإعلام، لأن الشركات هى التي لها النفوذ ورؤوس الأموال تملك البيت الأبيض، وجميع رؤساء أمريكا ينفذون أوامر من يملك البيت الأبيض، لأنه خاضع لرجال المال والبنوك والصناعات الثقيلة والكيماويات والبترول.. وقناة الـ (إن بي سي) هى أقوى شبكة تليفزيونية جديدة بجانب (فوكس) ويملك الـ (إن بي سي) مؤسسات مالية ضخمة تعمل في الصناعات الحربية كالطائرات والبترول، ومن ضمن التاريخ الإعلامي الأمريكي، بكيفية إدارة عملية الرأي العام الأمريكي ويستشهد بقضية رأي عام أميركي حدثت في بداية الثمانينات سميت باسم (لوكهيد) وهو أسم الشركة التي تملك الـ (إن بي سي)، وكانت عبارة عن توريد

صفقة طائرات حربية إلى بعض دول الشرق الأوسط، وهي قضية إعلامية أكثر منها قضية فساد، فالصفقة واكبها رشاوي لبعض حكام الشرق الأوسط ..

وإكتشفت هذه الرشاوي شركة منافسة لشركة «لوكهيد» فنشرت الخبر وتم حويله إلى جهات التحقيق، وأصبح يوجد قضية تناقشها جميع وسائل الإعلام الأمريكية بتفاصيلها كل حسب مصالحه، ولكن شركة (إن بي سي) كانت تتابع جلسات التحقيق في المحكمة، ثم تخرج لتعلن أن المحكمة إنعقدت وناقشت أفراد وأصدرت كذا وكذا وأجلت الجلسة ليوم كذا، ولكنها لا تتعرض للتفاصيل، لأنها تملك شركة (إن بي سي)، وهذا درس للإعلاميين حتى لا يقولوا بأن الإعلام في أمريكا حر، وهذا غير حقيقي لأن البيت الأبيض يحكمه أصحاب المصالح.

وحتى يوجد إعلام عربي يعبر بصدق عن أحلام وطموحات وآمال الجماهير العربية، لابد من وجود ملاك أفراد أو جماعات أو مساهمين يستطيعوا أن يقدموا إعلام حسب فكرهم، ولكن الإعلام العربي لا زال يحتاج إلى صياغة الفكر القومي والدعوة إلى الحرية والديمقراطية، لأنه وضع طبيعي أن يظهروا انهم متبنين له، لأن الوطن العربي خاضع لأمراض الإعلام، وهذا يعود بالعالم العربي إلى الجذور والأصل، لإن الإعلام لمن يملكه، فإذا إمتلكه قوميين سيعبرون عن وجهة نظرهم، أو إشتراكيين أو رأسماليين وهكذا.

ومع هذا ولو تم خصخصة الإعلام، سوف يحمل نفس أمراضه لأنه لمن يملكه ووظيفة الإعلام تسويق سلعة والسلعة قد تكون تسويق رأي، أو أشخاص أو سلعة... فهل يمكن لأحد أن يتصور أن تروج لسلعة ليست ملكها؟ أو حزب يروج لمذهب سياسي غير مقتنع به؟ ونقول إعلام حر فقناة الجزيرة مثلا تعتمد على الخبر، وقائمة على أن تذيع جميع الأخبار فهذه النظرية الحرفية، ولكنه يفرق بين النظرية والهدف الذي تسعى اليه قناة الجزيرة، لأنه ظهر بعد ذلك ما سمى

بثورات الربيع العربي، فهل هى لا تحجب الأخبار؟... وماذا تريد أن تصل مع المتلقي العربي؟ وهل الشعب العربي دون المستوى، ولهذا يقبل المفروض عليه؟ لأن الخط العريض لدى قناة الجزيرة هو إلغاء الفكرة العربية والدعوة إلى الشرق أوسطية، ثم تطبيق النموذج التركي في الوطن العربي، ثم يظهر شيئ في المنتصف ليعطوا لأنفسهم ثقل فقالوا في السابق أن «بوش» يريد أن ينسف المحطة، وقال لـ«توني بلير» رئيس وزراء بريطانيا الأسبق ولكنه رفض.

ويتساءل لماذا ينسف «بوش» قناة الجزيرة؟ ولماذا يرفض «بلير»؟في حين أن القاعدة الأمريكية الرئيسية بينها وبين قناة الجزيرة ربع ساعة فقط فلماذا يستاذن «بلير»؟... ولماذا يدافع «بلير» عنها؟

ويجيب: لأنها تخدم بأسلوب معين للخربشة، وتكسب ثقة الناس في العالم العربي، فتستخدم عملية الإثارة لهدف محدد وليس للتثوير وإنما للتيأيس، ثم انها حاولت أن تخلق رأي عام عربي لعمل ثورات ضارية تقضي على الأنظمة العربية الفاسدة التي تقول عنها أن سياستها خطأ.

ويقول الخبير الإعلامي :

سواء كان الإعلام مستقل أو مخصخص لن يؤدي إلى نتيجة إلا من خلال قناعات ملاكه بدءاً من الدولة مثل أيام عهد «عبد الناصر» لأنه كان مؤمن بالتحرر العربي، وعمل الإعلام عليها..

ورجع «سعيد» إلى مقولة قالها «تومي جون» الخبير الإعلامي البريطاني في كتاب صدر عام ١٩٩٩ : أن «عبد الناصر» كان مدركاً لقوة الدعاية وأهميتها، فقد كان أول من أمسك بزمام الدعاية الإذاعية، عندما أنشأ إذاعة صوت العرب ١٩٥٣ محدثاً إزدهاراً دعائياً كان له تأثيراً مباشراً في سياسات الشرق الأوسط، وهو الأمر الذي جعل حتى البريطانيون يكنون له إحتراماً محتقناً .

ولهذا يختلف الحال مع «عبد الناصر» لأنه كان مؤمن بالتثوير فصنع ثورات ولكن الإعلام الحالي يقدم إعلام تيئيس ونجحوا فيه.. وإذا عدنا بعض الوقت خلال رئاسة «صفوت الشريف» لوزارة الإعلام سمح للتليفزيون المصري أن يذيع مظاهرة مصرية، ومشى في المظاهرات وكل هذا كان عرض في الإعلام المصري وإنما عرض من خلال مفهوم معين أوصل للمشاهد أن المتظاهرين مخطئين لأنهم دمروا منشأت مصرية وممتلكات عامة وسيارة مطافي ومعنى ذلك أيضاً أن الإعلام ينفث عن المشاهد ويقولوا له انهم يذيعون وينشرون ولم يمنعوا أو يحرموا المشاهد ولكن هذا إعلام عارض.

ويستطرد قائلاً: لأن الإعلام مخطط سياسياً وأصبح يصنع مأساة ويكرس الآنا والسلبية، أنا ومن بعدي الطوفات.. وأنا والمتعة واللحظة.. والإعلام أصبح يرتكب جريمة أخطر من المشاكل السياسية لأنه يصنع مواطن يؤمن بالآنا، ويؤمن بعداوة المجتمع، وهذا أخطر ما يمكن، بعد أن إبتعد الإعلام عن فضائل التعاون والتعاطف والإلتحام والتحاب بين الناس، وهنا تكمن خطورة الإعلام الحالي، لأنه بعد إفساد المواطن، فلن يحتاج المجتمع إنسان حر لأن الإعلام أفسده من خلال كم القنوات التي تخاطب الغرائز، وهذا الإعلام يلعب دور خطير في سلبية المواطن وإلهاء الأجيال الحالية والقادمة، أما القنوات التي تعطي معلومة جادة بجانب هذه القنوات التي تخاطب الغرائز، سنجدها واحد في الألف..

هذا بخلاف القنوات الأمريكية الموجهة للمشاهد العربي، لأنها بالطبع تقدم أفلام دعائية للسوبر الأمريكي، ولهذا هدفه الإثارة والمتعة بإستغلال الدراما لإبعاد المشاهد عن رؤية أي قناة جادة قد تظهر سواء في صورة دينية أو سياسية، وهذا الإعلام يجب أن يواجه لإنه يمثل الخطر بتقييد هامش الحرية التي نعاني منه كمواطنين في العالم العربي.

وأكد أحمد سعيد:

إن منصات إطلاق القنوات الفضائية أصبحت في خطورة منصات إطلاق الصواريخ عابرة القارات والمحملة بالرؤوس النووية .. ولذلك فمن الطبيعي أن ينتبه أي حاكم ومعاونيه إلي أجهزة الإعلام للسيطرة عليها وتسخيرها لبقائه واستمراره والتحكم فيها حتي تظل الجماهير خاضعة له وراضية به وقانعة بسياساته !!ويستشهد بقول بعض أساتذة الإعلام في العالم : فمثلا «جور فيدال» بعد ما هاله سعي النخب الحاكمة في أمريكا للسيطرة علي الإعلام «السيطرة الأن حقيقة مرعبة إذا جعلت أجهزة الإعلام قادرة علي أن تجعل الشعب الأمريكي يصوت ضد أكثر مصالحة حيوية» وأيضاً يستحضر تأكد العالم والفليسوف «ناعوم شومسكي» على وجهة النظر هذه عندما أكد أن النخب الحاكمة في أمريكا تجرم في حق الشعب الأمريكي باستغلالها البشع لما تدعيه من حرية الإعلام وتبادل المعلومات لغرض مصالح قلة تمثل رأس المال علي ملايين الشعب وأيضا «باولوفرير» أحد إعلام التدريس الإعلامي والذي قال «أن جميع البرامج المقدمة وكذلك المقالات المنشورة تسعي دائما إلي هدف رئيسي ومحدد من قبل النخب الحاكمة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا فتزيد من خلاله أن تجعل المتلقين لها يتقبلون الواقع المفروض عليهم ولا يسعون إلي تغييره»..

ولازال الكلام علي لسان «أحمد سعيد» أن فوضي الإعلام العربي لإنه يوجد به ما يقرب من ١٠٠٠ قناة موجهة إلي العالم العربي سواء علي النايل سات أو العرب سات أو القمر الأوربي وتتنوع هذه الملكية «القنوات» بين الحكومات وأعوان الحكومات، وأصحاب مصالح مع الحكومات، وأصحاب التوجهات الفكرية المختلفة مثل القنوات الدينية ومن الطبيعي أن نجد نوعا من التضارب والتناحر الذي وصل إلي أن البعض يهاجم النظام المصري تحت مسمي الحرية ولا يجرؤ علي أن يهاجم نظاما أخر يعيش في القرون الوسطي من حيث حقوق الإنسان

لمجرد مصالح أو عدم رغبة هذا النظام المتخلف ..

فالقضية بالنسبة للقنوات الفضائية ليست حرية الرأي بدلالة أن قناتي «الجزيرة القطرية و«أوربت» التي يملكها سعودين وتهاجم مصر ولا تجرؤ علي مهاجمة السعودية برغم الفارق الكبير بين أسلوب الحكم في مصر وأسلوب الحكم في السعودية الذي تميل مقياسه إلي الانفراجة الديمقراطية في مصر عنه في السعودية وقطر ..

فالحقيقة في الإعلام نسبية ولكن كل جهاز يدعيها لنفسه وينكرها علي غيره .

وعن محاول الهيمنة على الإعلام بحجة الانفلات الفضائي والخروج علي القيم والتقاليد وعدم التعاون الإعلامي العربي .

يقول مدير صوت العرب الأسبق:

بأن الدول التي تحاول أن تفعل ذلك انما يريدون وضع الإعلام العربي الفضائي علي قضبان من رقابة الذات لاتخرج عنها القاطرات الإعلامية العربية ، بل يصفه «بالجريمة» بحيث لا يكتب ولا يعرض أو يذيع شيئ معيب في مسيرة المجتمع وقرارات حكوماته وهذا أكبر جرم يرتكب في القرن الـ ٢١ خاصة أن المنطقة العربية عاشت فترات انتصارات في القرن الـ ٢٠ أصابتها عدم ممارسة الديمقراطية بانكسارات في الصميم ..

وطالب مصر بأن تراعي شأنها إذا أقدمت علي غلق الاستوديوهات لإن هذا الأمر سوف يفتح الباب أمام عمليات تهريب البرامج بما يستحيل معه أي نوع من أنواع التحكم المصري إذا رأت مصر أنه قد يضر ببلد صديقة أو حليف فالذين يفكرون في هذه السيطرة لا يعرفون تفاصيل الإمكانيات المعلوماتية المعاصرة الموجودة في أيدي المواطنين كتليفونات المحمول الذي لا يحتاج إلي تهريب الإفلام أو بثها من استوديوها مدينة الإنتاج الإعلامي .

غير أنه يبقي هناك تساؤل كيف يستطيع أي مجتمع أن يحمي نفسه وشعبه ونظامه وهل يكون ذلك بوضع رقابة بأسلوب سابق للعملية الإعلامية أم بأسلوب يأتي بعد العملية الإعلامية .. ولو نظرنا إلي حالة مصر فسوف نجد في قانون العقوبات رقم ٥٨ لسنة ٣٧ وفقا لأخر التعديلات فإنه ينص علي عدة عقوبات لأي فاعل لعملية إعلامية سواء مقرؤة أو مسموعة أو مرئية كفعل تال للعملية الإعلامية وليس سابق لها .. فتوجد مادة في هذا القانون تعاقب بحبس كل من يأتي بفعل ضار من خلال النشر عن الاقتصاد القومي .. وكذلك بعض مواد هذا القانون تجرم وتعاقب بالحبس كل من يأتي بفعل «من خلال النشر» يهدد السلام الاجتماعي ويدعوا للفتنة أو قلب نظام الحكم بل المادة – ٧٨ أ من نفس قانون العقوبات تعاقب بالإعدام لكل من تدخل لصالح العدو بنشر ما يزعزع إخلاص القوات المسلحة أو إضعاف روحها المعنوية والمادة – ٨٠ج تعاقب بالحبس كل من أذاع عمدا في زمن الحرب أخبارا أو بيانات كان من شأنها إلحاق الضرر بالاستعدادات الحربية للدفاع عن البلاد أو بالعمليات الحربية للقوات المسلحة أو إذاعة الفزع عند الناس أو إضعاف الجلد عند الأمة .. كذلك المادة –٧٧و– تعاقب بالحبس علي أي عمل عدائي لدولة أجنبية أو أدي إلي قطع العلاقات أو تهديد لخطر حرب وإذا وقعت الحرب فالعقوبة أشغال شاقة يعني هذا في النهاية أن القوانين موجودة ، فالوطن العربي علي امتداده من المحيط للخليج في إحتياج شديد لوجود إعلام حر يدعوا إلي نوع من التمرد علي الواقع للحالة المتردية من الهوان والعجز في كل بلد عربي .. وبدء دعوة لتكوين مجتمعات تؤمن بسياسات العصر وصراعاته المختلفة بالعلم والإعلام التنويري وليس بالقهر والخداع والإحساس بالإحباط والعجز والدونية التي تكاد أن تكون هي السمة الرئيسية للإعلام العربي المعاصر فضائيا وغير فضائي فيما عدا قلة ضئيلة ومحدودة التأثير من المعارضة الحرة .



الفقراء من صنع الأغنياء

وفي سؤال عن مدى قدرة ثورة ٢٣ يوليو من تحقيق أهدافها التي أعلنتها بالقضاء على احتكار سيطرة رأس المال على الحكم .. وإقامة عدالة اجتماعية.. وهذا ما لم يكن مترسخاً في حكم «مبارك» وإلا لماذا قامت ثورة ٢٥ يناير، التي يرى البعض انها قامت بسبب فشل ثورة يوليو في تحقيق أهدافها، حيث كان الفساد متمثلاً في الإحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم بواسطة مجموعة صغير من رجال الأعمال كانوا مقربين من دوائر السلطة المتمثلة في «مبارك» وعائلته.

فيقول صاحب الذكريات:

نعم هذا صحيح، ولكنه يرفض القول أن ثورة ٢٥ يناير إنقلاباً على مبادئ ثورة ٢٣ يوليو، بل هى إستكمالاً لمسيرة يوليو، ولكن الفقر من صنع الأغنياء، ويشير إلى كتاب له بعنوان «لا للفقر في ظل القرآن» حيث تعرض الكتاب لمشكلة البشر في هذه الدنيا حيث لديهم شهوة الإثراء والاستحواذ، ويسعون إلى إشباع هذه الشهوة بالتكويش على المال، والأرض والذهب والفضة، والنتيجة موت الملايين من البشر جوعاً أو عطشاً، أو بسبب سوء التغدية.

وذكر أن المسلمين الأوائل عرفوا ما نسميه اليوم بالضرائب غير الزكاوات والكفارات، رغم أنها قليلة ومحدودة، ولكنها أخذت أشكالاً تقترب من بعض أنواع الضرائب المعاصرة، مع انه لا توجد في القرآن إشارة صريحة إليها، ولكنها تستمد شرعيتها من القواعد الأساسية لملكية الله للأرزاق والقدرات الإنسانية على الكسب والدعوة القرآنية العامة للإنفاق في سبيل الله.

أو ما يمكن تسميته بالضرائب الإسلامية مثل:

ويبدأ بالجزية:

وهى مبلغ معين كان يفرض على رعايا الدولة الإسلامية، من غير المسلمين من أهل الكتب السماوية، اذا توفرت فيهم شروط العقل والحرية والصحة

وسلامة البدن، والقدرة على الكسب، ووفرة في المال تترك عندهم بعد الإنفاق المعتاد، وبذلك يكون الإسلام قد أعفى منها الفقراء والعجزة، وذوي العاهات العقلية، بالإضافة إلى الرهبان، أي انها أشبه بضريبة الدفاع، إذ كانت تفرض على غير المسلمين من أهل الكتاب، فور بلوغهم سن القدرة على القتال، وذلك في مقابل قيام الدولة الإسلامية بالدفاع عنهم، وعن حقوقهم في الحياة، بجانب ما ينعمون به من خدمات في ظل المجتمع الإسلامي، وتعد ضريبة الجزية الإسلامية على أهل الكتاب، هى أول ضريبة تصاعدية في النظام الضريبي..

فقد فرضت عدالة المشرع الإلهي، أن تجعلها بمعدلات مختلفة، تتناسب مع ثراء الشخص الخاضع للضريبة، فقد كانت في العام ٤٨ درهما على الموسر، و ٢٤ درهما على متوسط الدخل، و١٢ درهما على ماهو دون ذلك، مع إعفاء الفقراء تماماً منها.. لإن الغني مسئول عن الفقير، وان للمال زكاة، وليس مقبول عدلاً وعقلاً أن لا يقوم الأغنياء من أهل الكتاب، بسد حاجة فقرائهم وفق ما يقرر الشرع وولي الأمر، وإلا اتيحت لهم فرص الثراء وتجميع المال من دون أغنياء الإسلام.

ثم العشور:

وهو اسم أطلق قبل الإسلام على ضريبة، اعتمدت نسبة العشر أساساً لجباية المال، وقد تراوحت في الجاهلية والمسيحية، بين إختيارية وإجبارية، وكانت تفرض على حاصلات الزروع، وعمليات البيع والشراء، ويذكر التاريخ أن قريشاً كانت قبل فتح مكة تقوم بجبايتها للإنفاق على صيانة البيت الحرام.وعندما جاء الإسلام جرى فرض ضريبة العشور على أنواع مختلفة، على الأراضي التي أسلم أهلها وهم عليها دون حرب، كما خضعت لضريبة العشور، الأموال التي كان ينقلها التجار الأجانب غير المسلمين، عند قدومهم إلى ديار الإسلام براً أو بحراً، وكانت تجبى منهم مرة واحدة في السنة، مهما تكرر حضورهم إلى البلاد، الأمر الذي يجعلها اقرب ما تكون إلى تأشيرة الدخول، أو رسم الإقامة، أو رسم

الترخيص بممارسة التجارة في الدولة.

ويقول الإعلامي الكبير: رغم قدم ضريبة العشور في الإسلام .. إلا أنها في ظل الإسلام، لها أبعاداً مختلفة تماماً، عما كانت عليه قبل البعث المحمدي.. فقد حرص ولي الأمر على فرضها وتحديد نسبها، على الإلتزام الكامل بالتقدير الإلهي للعمل الإنساني وملكية الإنسان شبه المطلقة لعائد هذا العمل.

وتطرق إلى الخراج:

الذي قال: انه كان يفرض على الأرض المفتوحة، ولم يوزعها ولي الأمر، إقطاعاً أو منحة على المسلمين، وفي الأمر الإلهي بقسمة غنائم الحرب، وهي الأرض التي إعتبرت في عهد الخليفة «عمر بن الخطاب» ملكاً عاماً للمسلمين، واستعراض قصة هذه الأرض تؤكد الحقيقة الكبرى، التي يحاول جاهداً صاحب الذكريات، أن يزيل من فوقها الصدأ والأتربة التي علتها، عمداً وسهواً نحو أكثر من ألف وأربعمائة سنة .

حيث بدأت القصة بعد فتح أرض العراق، وتفاقمت أحداثها بعد فتح الشام، ثم وصلت مشكلتها إلى الذروة عندما تم فتح مصر.

ففي العراق:

طلب المحاربون من «سعد بن أبي وقاص» أن يقسم بينهم، أربعة أخماس الأرض التي فتحوها بسيوفهم، إعمالاً لنص القرآن في سورة الأنفال «وأعملوا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل».

وفي الشام: واجه «أبو عبيدة الجراح» جموع المقاتلين، وإصرارهم على قسمة المدن وأهلها والأرض وما عليها، حيث قالوا: لولي الأمر الخمس وكيلاً عن الله ورسوله وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، ولهم، وذلك وفق آية

الغنائم الأخماس الأربعة الأخرى.

وأيضاً في مصر: تقدم «الزبير ابن العوام» من قائد الجيش «عمرو بن العاص» .. يطالبه باسم تيار عارم في الجيش الفاتح بأن يقسم الأرض بين أفراده.

ولكنه يقول: هنا سجل التاريخ لعهد الخليفة «عمر بن الخطاب» ، احدى مفاخره الإسلامية الواعية لجوهر الإرادة الآلهية، في الخلق والمال والملكية.. وفي البدء إمتنع الأمراء الثلاثة للجيوش الفاتحة، عن تلبية الفاتحين وتقسيم الأرض وتوزيعها، ولقد اتفق الثلاثة على تعليق طلب المحاربين الفاتحين، دون أن يتبادلوا الرأي أو يعلموا أن الأمر مطروح، في مختلف ميادين القتال، رغم أن التباين الثابت تاريخياً في شخصية كل منهم، فقد كان «أبو عبيدة الجراح» زاهداً عابداً حتى وصفه الرسول بأمين الأمة، بينما كان «سعد بن أبي وقاص» أكثر قادة المسلمين حرصاً على حقوق جنوده.. أما «عمرو بن العاص» فقد سجل عنه مؤرخوه حبه للمال وحرصه عليه.

ولكن لقد كان الأمر أكبر من قدرتهم على الحسم.

لماذا؟

ويستند صاحب الذكريات إلى ما سجله الفقهاء والباحثين حيث يقول: إختلف الدارسون لهذه الفترة تاريخياً، كذلك إختلف الآمة في تفسير ما حدث فقهياً، وأياً كانت الآراء المتباينة لهؤلاء وألاء.. فإن الرأي الذي يتفق مع المنطق الذي يحكم الفكر الإسلامي، ونظرته للمال والملكية هو الذي حكم إمتناعهم أولاً.. واستشارتهم للخليفة ثانياً ..وصدور قراره بالحل الحق للمشكلة ثالثاً.

ويؤكد قائلاً: لأن الفقر دائماً من صناعة الأغنياء، والذي أعلن هذه الحقيقة هو «محمد بن عبد الله رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام.

فقد روي البخاري: أن علي بن ابي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «ان الله

فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاءوا وعروا بما يصنع أغنياؤهم، الا وأن الله يحاسبهم حساباً شديداً ويعذبهم عذاباً أليماً»

ويعود «أحمد سعيد» إلى ما قاله المؤرخون عن واقعة الأرض المفتوحة وما استقر عليه الرأي في عهد الفاروق «عمر» فيقول: جمع الخليفة صحابته عندما تجمعت لديه رسائل قادة الجيوش الإسلامية التي فتحت العراق والشام ومصر فقال: عبد الرحمن بن عوف: تقسم يا امير المؤمنين ويأخذوا حقوقهم على ما فتحوا.

فقال عمر : فكيف بمن يأتي من المسلمين، فيجدون الأرض بعلوجها قد اقتسمت وورثت عن الأباء وحيزت؟ ما هذا برأي..

ويلح عبد الرحمن وآخرون..

ويصر عمر على رأيه ويقول: لست أرى ذلك، والله لا يفتح بعدي بلد فيكون فيه كبير ذليل بل عسى أن يكون كلا على المسلمين، فإذا قسمت أرض العراق بعلوجها وأرض الشام بعلوجها فما يسد به الثغور ؟

وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وغيره من أهل الشام والعراق ومصر ؟... فيكثر القوم على عمر قائلين: أتقف ما غنمناه بسيوفنا، على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ، ثم لأبناء القوم وأبناء أبناءهم ولم يحضروا؟

فقال عمر: هذا رأي.

فقالوا : إستشر .. ويدعو «عمر» اليه المهاجرون الأوائل.. فإختلفوا .. فعاد الراغبون في التقسيم والتوزيع يطالبونه بالحسم .. وطالبوا بأن تتسع دائرة الشورى..

فأرسل «عمر» إلى عشرة من كبار الأنصار.. خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج.. وقال لهم: قد سمعتم كلام هؤلاء القوم، الذين زعموا اني أظلمهم حقوقهم، واني أعوذ بالله أن ارتكب ظلماً، وقد غنمنا أرض «كسرى» وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلوجهم، فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله، وأخرجت الخمس فوجهته على وجهه، وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج، وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئاً للمسلمين المقاتلة، والذرية ولمن يأتي من بعدهم.. وقال لهم أرأيتم هذه الثغور؟.. فلابد لها من رجال يلزمنها، أرأيتم هذه المدن العظام كالشام والكوفة والبصرة ومصر؟.. لا بد لها من أن تشحن بالجيوش وإدرارا العطاء عليهم .. فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرض والعلوج؟

فقال كبار الأنصار: الرأي رأيك، فنعم ما قلت ورأيت.. أن لم تشحن هذه الثغور والمدن بالرجال ويجر عليهم ما يتقون به رجع أهل الكفر إلى مدنهم..وهكذا إستقر الرأي بالشورى المطلقة على رأي عمر بن الخطاب.. لأن «عمر» كعادته حتى في حياة الرسول يأبى الا أن يعمل عقله الذي وهبه إياه الخالق.

ويستفسر «سعيد» فماذا قال له عقله الذي نزل برأيه وحي من السماء؟

ويستنتج قائلاً: أولاً: أن الأرض وما تغله من ثروة ومن عليها من بشر وأنعام، هى ملك خالص لله عز وجل..

ثانياً: أن الأرض وغلتها وعمالها وانعامها، هى المصدر الثابت المتجدد للثروات الوفيرة، القادرة على العطاء المتصل، وتزويد جموع المسلمين عبر الأجيال، بما يحفظ الدولة الإسلامية قوية عزيزة، ويهيىء لأمة الإسلام الأمان والرخاء.

ثالثاً: أن تقسيم الأرض الخصبة في العراق والشام ومصر، على نفر من جيل واحد من المسلمين، أكرمه الله بأنه كان من صحابة رسول الله، يجعل المصدر

الرئيسي للثروة في الدولة، في قبضة قلة عظيمة الثراء بالغة النفوذ تتوارث الجاه والسطوة، في نفس الوقت الذي توجد معها في قاع المجتمع، أغلبية هائلة فقيرة معدمة، لا تمتلك من مصادر الدخل غير التذلل لأصحاب الأرض، والرضى بما يتفضلون به عليهم، من فتات في ظل من سيطرة كاملة على ولي الأمر، وقواد جيوشه وعمال أقطاره.

هكذا فكر عقل «عمر»، وهكذا يجب أن يمضي المشرع للمسلمين، فالخير الذي خلقه الله كثير. بإعتراف البنك الدولي انه أوفر بكثير من حاجة معدلات زيادة البشر..

ويتساءل صاحب الذكريات: ففيما إذاً الفقر الذي يعاني منه ملايين المسلمين والعالم الثالث؟

ويجيب: حاشا لله أن يكون من صنعه هو القائل: وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها.. وأيضا قال تعالى: وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم.. وقال تعالى: ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم..

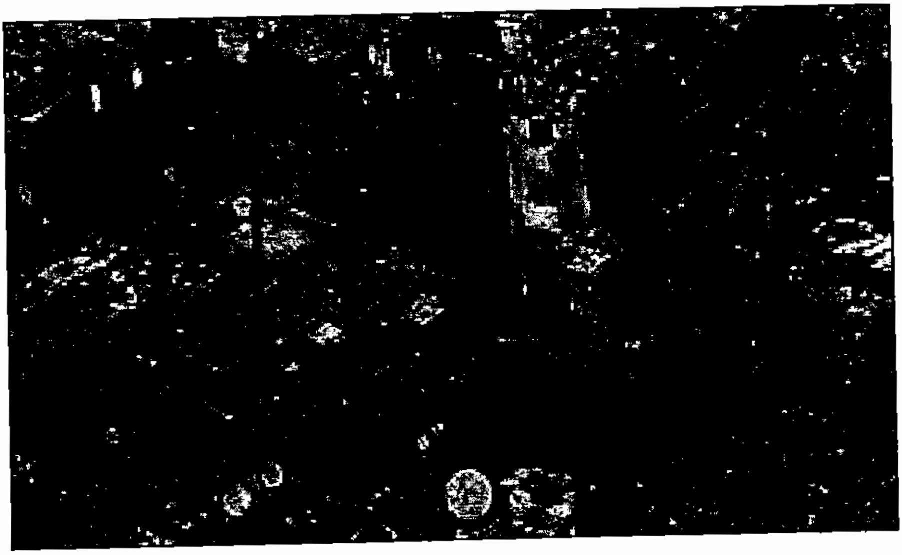
فمن صنع من هذا الفقر والاحتياج؟... إنه من صنع البشر ولا شك..

وهكذا حذرنا القرآن الكريم من تجمع المال وتمركزه في يد قلة. عندما قال : كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم..

وقال أيضاً: ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا به إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وانتم تعلمون ..

وقال الرسول الكريم : وان يجهد الفقراء إذا جاعوا الا بما يصنعه الأغنياء. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فالفقر الذي نعانيه من صنع الأغنياء .



المصادرة والتأميم حق للمسلمين

وفي رده على سؤال: هل قولك أن الفقراء من صنع الأغنياء، تبريراً لما قامت به ثورة يوليو من تطبيق سياسات التأميم التي ربما يراها البعض انها مخالفة للشرع طالما أن المال من طريق مشروع وحلال؟

يقول صاحب الذكريات: لا .. ليس تبريراً.

لأن الأصل :

أن ملكية الله للأرض والسموات وما فيهن من رزق.

والإستثناء :

هو ملكية الإنسان لعائد جهده في الحصول على هذا الرزق، واستحداث انتاجه وتصنيعه وتسويقه.

أما القاعدة :

هى مشاركة الله في ملكية الانسان لكسبه من جهده، بسبب استثماره لرزق الأرض والسماء المملوك لله، واستخدامه للقدرات التي خلقها فيه سبحانه، ويسر له سبل تحسينها والإفادة منها.

وعن الواقع :

هو خروج البشر عن الأصل والإستثناء والقاعدة، وتقاتلهم فيما بينهم سعياً لإمتلاك الأرض والفضاء قهراً وغصباً، وذلك كفراً بالأصل وإيغالاً في الإستثناء وتجاهلاً للقاعدة. والحق والعدل :

هو ضرورة العودة إلى الله، والتسليم بملكيته للرزق والحياة والقدرة الآدمية، والرضى بنصيب الإنسان من عائد كده وكدحه، ومن استثمار المقدرة في طلب الرزق.

ويقول سعيد في شهادته:

قد يتعرض مجتمع لمشكلة ما يقصر زمانها أو يطول، ويجد الناس فيه أن القواعد الحاكمة للملكية العامة والخاصة في البلا، د عاجزة تماماً عن مواجهة هذه المشكلة، ويفترض أن هذه المشكلة كارثة جفاف في المجتمع، وحينها يضطر أهله إلى مصادرة جميع ما تحت يد الشعب، أو تجاه الأغنياء، من مختلف أنواع الطعام والشراب، بهدف اعادة توزيعها على الناس بكميات متساوية، تمسك الرمق وتحفظ الحياة بعيداً عن الاحتكار وارتفاع الأسعار، وأخطار السطوة الباغية لشهوة الإثراء والاستحواذ.

ويضرب مثلاً ثانياً ويقول : قد تحول ظروف المجتمع، دون اطلاق حرية الناس في استخدام قدراتهم في الكسب من بعض انواع الرزق.. كأن يرى المجتمع أن ثروة البلاد البترولية هى عصب الاقتصاد القومي، وان الاستثمار الأمثل لهذه الثروة، يجب أن لا تقوم به شركات أجنبية أو جماعة من الوطنيين الأثرياء، وإنما الشعب كله، ممثلاً في حكومته فيما نطلق عليه اليوم بالقطاع العام.

ويقدم القطب الناصري الكبير مثلاً آخر ويقول:

قد يعاني مجتمع من تحكم نفر من ابنائه قل عددهم أو كثر، في عملية انتاج وتسويق احدى الضروريات اللازمة لحياة الناس، مثل الخبز أو السكر أو الكهرباء، الذي يعرض الغالبية لشهوة الاحتكار والاستغلال ورفع الأسعار، بجانب الأضرار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، التي يفرزها تحكم رأس المال كلما تضخم وتمركز.. فيلجأ المجتمع وفق نظمه الدستورية، إلى مصادرة وتأميم مراكز الإنتاج وإعلانها ملكية عامة للشعب.

وفي إشارة منه إلى ماحدث بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة النبوية يقول: كان المهاجرين يعيشون على صدقات إخوانهم الأنصار، بعد أن كانوا في جاه وثراء وعز وإباء.

وإذ يصل الرسول الكريم إلى القرار الواقعي، الذي يدعو اليه المهاجرين

والأنصار ليأخذ عليهم العهد:

- بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين، من قريب ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، انهم امة واحدة من دون الناس... إلى آخر العهد..

وأخذ النبي بعض ممتلكات الأنصار، وأفاء بها على المهاجرين على أساس من قاعدة الأخوة التي يوشجها الرحم.. فالمسلم القرشي أخ للمسلم الأنصاري، يقاسمه فيما يقاسم الزرع والدار والجاه والمال.. ويؤكد هكذا سن نبي الإسلام فكرة المصادرة، ونزع ملكية المال الخاص من اجل الصالح العام للمجتمع الإسلامي، ممثلاً في ضرورة قيامه على أساس تقارب الثروات والدخول.

وهنا..

يرى «سعيد»: أن هذه السابقة النبوية الحكيمة، التي حققت التوازن والتكافؤ والتماثل، للمجتمع الإسلامي الوليد في يثرب، أصبح من حق كل مسلم صادق الإيمان أن يتساءل: فيما تجاهل القرون السابقة لهذه القاعدة العملاقة، المقررة لحق المجتمع في المصادرة ونزع الملكية، وإعادة توزيع الثروات على الرغم من بركة الرضى الإلهي.

إذًا لماذا تجميد التفكير في هذه السابقة الاقتصادية والاجتماعية النافذة الحاسمة، رغم ما يعانيه الكثير من المجتمعات الإسلامية، من تفاوت رهيب في الثروات والدخول، وتسلط القلة الغنية في مقدرات العباد والبلاد، وتخلف المسلمين الشائع في العال، بسبب فقر كاذب وعوز مصطنع مفروض.

ثم...

لماذا الإصرار على الإعلان عن أحاديث للرسول، وتحميل عباراتها مدلولات عامة وتفسيرات مطلقة، هى بالقطع منها براء، لما في هذه المدلولات

والتفسيرات، من شبهات التناقض مع عشرات من احاديث الرسول نفسه، وعشرات وعشرات من آيات الله في القرآن الكريم؟ مثل حديث النبي الذي يقول:

كل المسلم على المسلم حرام.. دمه وماله وعرضه. مع أن هذا حق لا يختلف عليه اثنان، كقانون يمنع عدوان فرد على فرد.. فقتل الإنسان أو سرقة ماله أو الاعتداء على عرضه، أثم عند الله يوقع على مرتكبه أشد العقاب. ولكن..

من أين جيئ بعمومية تحريم مال المسلم، عند قيام ضرورة ومصلحة في مجتمع ما تفرض مصادرة المال وتأميمه؟

لأن التأميم والمصادرة ليسا عدواناً ولا سرقة، وإنما هى مصلحة مرسلة مطلقة لعموم المجتمع، فإذا تضرر منها الاقلية الغنية المالكة إلتزم المجتمع بتعويض مناسب لا يتعارض كما ونوعاً مع اهداف التأميم والمصادرة، تطبيقاً للقاعدة المحمديه العادلة أن لا ضرر ولا ضرار.. فالمال مال الله والناس جميعاً بلا استثناء مستخلفون عليه من قبل الخالق، ويدهم من هذا المنطلق الإلهي ليست أكثر من يد مؤقتة، مهما تشبثوا وتوارثوا شراء الفتاوى الضالة، التي اتخمت الثراء وأفسدت بالمال العهود الأموية والعباسية والمملوكية والعثمانية.

ويستشهد «أحمد سعيد» بمقولة «عمر بن الخطاب التي قالها في اخر ايامه:

لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على الفقراء..

وهو يرى «عمر» في هذا القول:

يفكر في نزع الملكية والمصادرة والتأميم وإعادة توزيع الثروة على المسلمين. والفضول من الفضل.. وهو عكس النقص.. اي انه الزيادة.. والمقياس الذي كان يحدد به «عمر» ماتحت الفضل ودون الزيادة، هو مايمثل إنفاق أوسط الناس من قريش .. ومنطق «عمر» هنا مبني على المنطق الإلهي في استخلاف الإنسان على

الأرض وخيرها وتأثيم تجمع المال وتمركزه في يد قلة غنية تطغى به، وتتحكم في الأغلبية مع يقين إلهي نبوي، بأن المال لله وان يد الناس عليه وكيل منتفع ووسيط، في سداد حق الله إلى أصحابه من البشر.

ويشير إلى واقعة نزع الملكية التي نفذها «عمر بن الخطاب» منعاً للضرر العام قائلاً: علم «عمر بن الخطاب» أن الصحابي بلال بن الحارث المازني، لا يقوم بزراعة كامل الأرض الطويلة العريضة التي اقتطعها له الرسول عليه الصلاة والسلام.

فاستدعاه اليه وبادره: عمر : اراك لا تطيق ما في يدك؟

بلال: اجل يا أمير المؤمنين..عمر: انظر ما قويت عليه منها فأمسكه، وما لم تطق وتقوى عليه ادفعه الينا نقسمه بين المسلمين..

بلال: لا أفعل والله.

عمر: والله لتفعلن.

ونزع «عمر» ملكية جزء من الأرض الذي عجز «بلال» طوال سنوات عن عمارته واستزراعه، معطلا بذلك حق المجتمع في انتاجه، من زكاة وعمالة وثماراً تسهم في الحد من الأسعار، وتيسر على الناس ضرورات الحياة، ثم قام بتقسيم الأرض المصادرة، ووزعها على نفر من المسلمين المعدمين، القادرين على استزراعها والإستفادة منها وإفادة المجتمع.

الدعم لمحدودي الدخل

يضرب الزعيم الإعلامي مثلاً إسلاميا في دعم محدودي الدعم ويقول:اكتشف «عمر» أن خيل المسلمين وقطعانهم من الأنعام تدور كما يدور اصحابها في دوامة الفقر والغنى.. وان كبار الملاك الأثرياء يملكون الكثير من الأراضي التي ترعى

فيها انعامهم وحدها، من دون انعام صغار الملاك، ولم يلبث «عمر» أن أصدر إلى الناس تشريع، يحمي به بعض الأراضي العامة لخيل الفقراء وانعامهم، من دون خيل وانعام الأغنياء.

وقد أرسل «عمر» برسالة إلى «هُني» عامله على الربذة يقول له فيها: - يا «هُني» أضمم جناحك على الناس، واتق دعوة المظلوم فانها مجابة، وادخل رب العديمة «القطيع الصغير من الإبل» والغنيمة «القطيع من الغنم».. ودعني من نعم «عثمان بن عفان» ونعم «عبد الرحمن بن عوف» ، وكانا أكثر الصحابة ثراءاً وتملكاً للمراعي والمزارع فإنهما أن هلكت ماشيتهما رجعا إلى نخل وزرع.. و«عمر» أراد أن يؤمن المراعي لمن لا يملكون مراع خاصة لماشيتهم مثل كبار الملاك الأثرياء.

وعندما عاتبه صحابي من بني ثعلبة، على تخصيص أرض المراعي المحمية لصغار ملاك الماشية، من دون بقية الملاك الأغنياء.

قال له «عمر»: الضعيف هو الأولى بحماية اولي الأمر. ولذلك هناك تشريعات إسلامية كثيرة.. دعا إليها الخليفة الثاني «عمر بن الخطاب» جمدت أحياناً إحكام آيات قرآنية ودارت أحياناً أخرى من حول سنن نبوية، ولكنها جميعاً ما انقضت أو خرجت عن الهدف الأسمى للقواعد اللهية الحاكمة للخلق الآدمي والعمل الإنساني والإيمان الصادق الذي يجب أن يقوم في النفس على اساس من خشية الله في الناس وحقهم الذي فرض لهم الخالق.

ويؤكد صاحب الذكريات :

أن ما قاله هو منطق عمري يؤكد قاعدتين:

الأولى: أن التشريع الأرضي يجب أن يدور مع مصلحة المجتمع فهماً وتطبيقاً واعمالاً وتجميداً والغاءا وتطويراً.

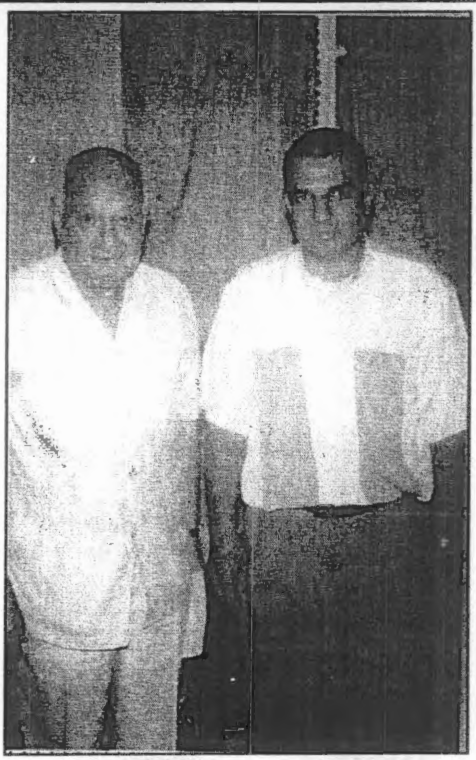
والثانية: أن تنظيم الإسلام لحياة البشر، يستهدف مواجهة المصالح الثابتة ومعايشة الظروف المتغيرة للمسلمين، ذلك أن الفهم العميق الصحيح المجرد من الأهواء والأغراض لمجمل نصوص القرآن والسنة يستحيل أن يتعارض أو يتضاءل مع المصالح العاملة المرسلة للغالبية الساحقة من البشر.

ويختتم «أحمد سعيد» كلامه:

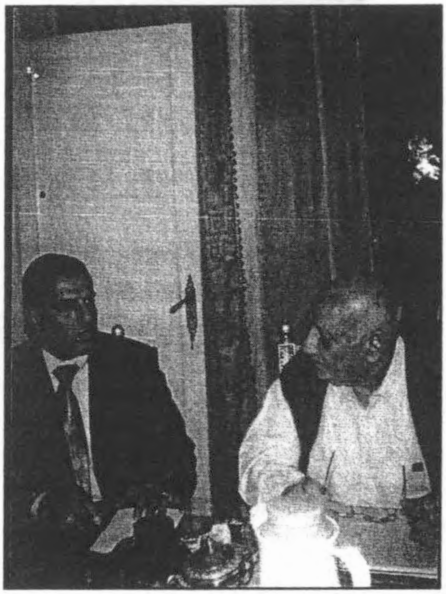
بأن هذا ما كان المقصود من أن الفقراء من صنع الأغنياء، وليس تبرير سياسات أو نظريات.

أحمد سعيد وممدوح دسوقي

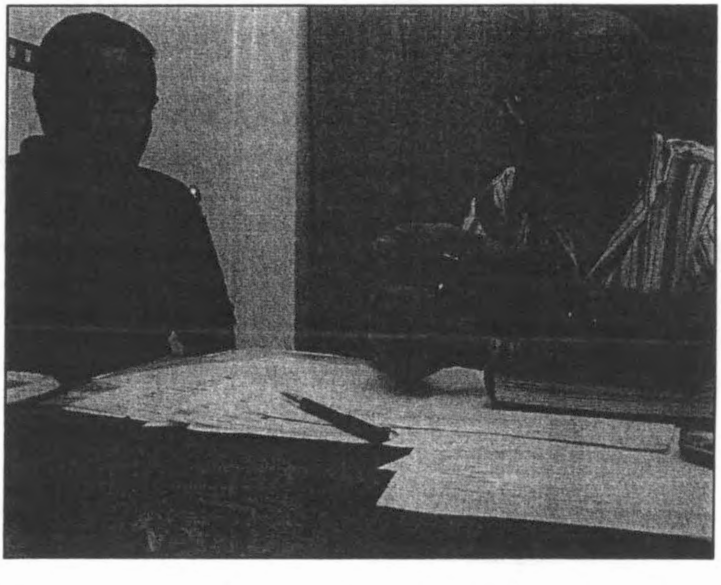




صاحب الذكريات مع المؤلف



صورة لأحمد سعيد مع مؤلف الكتاب



أحمد سعيد مع ممدوح دسوقي



أحمد سعيد



أعضاء مجلس قيادة الثورة



صورة زفاف جمال عبد الناصر



عبد الناصر مع بن بيلا



عبد الناصر والملك محمد الخامس



أحمد سعيد





اسقاط ٤٣ طائرة للعدو

المساء

بدأت المعركة

إسرائيل تبدأ العدوان في الساعة التاسعة من صباح اليوم

الطائرات الإسرائيلية أغارت على القاهرة وأنحاء الجمهورية

طائراتنا وأسلحتنا المضادة للطائرات تتصدى لطائرات العدو

كلنا رجل واحد خلف القائد في المعركة

ضابطا المخابرات الأمريكية في تعز كانا يستعدان لحركة اغتيالات

الاستعداد للمعركة الفاصلة

عبد الناصر يوجه رسالة هامة للطلبة العرب

أمريكا تسعى لوراثة الاستعمار البريطاني المنهار

وهي التي غرست إسرائيل وتساند الرجعية وتفرض التخلف

١٠ صفحات ١٥ مليما

المنهار

تطوير نظام المحضرين ووضع طريقة لضمان وصول الأعلان القضائي لصاحبه

الأمة العربية تواجه مآمرا شاملا

بعثة النقطة الأمريكية باليمن كانت على اتصال مستمر بإسرائيل

لماذا أحضرت البعثة...



العراق ينضم إلى اتفاق الدفاع المشترك مع الأردن

عبد الناصر يعلن للعالم والأمة العربية بعد توقيع الاتفاق:

أننا ننتظر المعركة على أحر من الجمر

ليعرف العالم أن الجندي العربي هو المقاتل الشجاع الباسل

البيان البحري مقدمة لعمل حربي

وستتصدى الأمة العربية كلها لأي عدوان

قوات الطوارئ لن تعود

إسرائيل قد تبدأ العدوان بعد أيام

١٢ صفحة ١٥ مليما

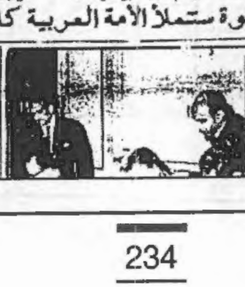
المنهار

تطورات الموقف

آخر خبر

عبد الناصر يقول.. هذه الخطوة ستملأ الأمة العربية كلها بالثقة

أن تأخذ الطريق السليم



أسقطنا ٨٦ طائرة للعدو

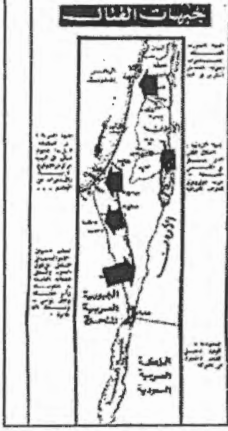
قواتنا تتوغل داخل إسرائيل

وتقضي على هجوم للعدو بالكونتلا استخدم فيه لواء مشاة ومجموعة كبيرة من الدبابات

قواتنا قضت على هجوم في أم قطف وأبادت قوات العدو تماماً

بيانات إسرائيل تعترف بالخسائر الفادحة والتقدم العربي الجبار

- القوات السعودية تدخل المعركة ـ الجزائر والكويت والسودان تعلن الحرب على إسرائيل
- قوات الأردن تحتل جبل المكبر في القدس وتضرب ٥ مستعمرات إسرائيلية
- طيران العراق يضرب مواقع العدو ومنشآته داخل إسرائيل والقوات البرية تتقدم
- قاذفات القنابل السورية ضربت معامل التكرير في حيفا



الأهرام

إسرائيل تفشل في محاولة لتعويق الملاحة في القناة

قواتنا تتوغل داخل إسرائيل

« توغلت قواتنا المدرعة بعد معركة عنيفة مساء اليوم في داخل الأراضي المحتلة من فلسطين وذلك بعدما تمكنت قواتنا ... القضاء على هجوم العدو على منطقة الكونتلا قام به مستخدماً لواء كاملاً من المشاة ومجموعة كبيرة من الدبابات .

وبعد أن تمكنت قواتنا من القضاء ... هجوم العدو تسلمت زمام المبادأة وتوغلت في الأراضي التي يحتلها العدو من قبل ...



عبد الناصر يبعث برسائل شخصية عن الموقف إلى رؤساء الدول التحررية الأفريقية

المشير عامر في الخطوط الأمامية

اجتماع عسكري هام برئاسة المشير يحضره قادة الجبهة

المشير عامر يجتمع بالضباط والجنود ويشرح لهم مناورات الاستعمار في العالم العربي

إعلان الطوارئ في قطاع غزة

إسرائيل تعلن: أخطر القوات العربية احتشدت بسيناء

يوثانت يحضر إلى القاهرة لبحث الموقف



تعيين اللواء عبد المنعم حسني

قائداً عسكرياً لقطاع غزة

الأهرام

١٤ صفحة ١٥ مليماً

٦٣٢ مليون جنيه ... الميزانية الجديدة للدولة لعام ٦٧ ـ ١٩٦٨

٦٣٢ مليون جنيه للاستثمارات

الرئيس يستقبل الوفد العراقي



اجتماعات عسكرية هامة في الخطوط الأمامية

يعقدها المشير عامر مع كبار الضباط

المشير يتحدث عن الدور الطليعي للقوات العربية

وصل المشير عامر طائرة حربية إلى الخطوط الأمامية بسيناء ... عقد اجتماعاً عسكرياً هاماً مع قادة الجبهة . التقى بالضباط والجنود في مواقعهم الأمامية .

رسالة الرئيس


الشفرة السرية لإسرائيل

٧ أيام وتبدأ المقاطعة

إتحاد العمال العرب يوجه إنذارا إلى عمال الشحن بأمريكا

غلبنا فريق السودان ٣ - صفر في كرة القدم

أخبار اليوم

خبر اليوم

حكمة اليوم

إنذار إلى عمال ميناء نيويورك

ارفعوا المقاطعة فورا .. عن السفينة كليوباترا


عبد الناصر يستجيب لإرادة الملايين ..

سأبقى .. كما أمر الشعب

حتى نتمكن جميعا من أن نزيل آثار العدوان

نظرة شاملة فاحصة أمينة على كثير من جوانب عملنا

الأخبار

مجلس الأمة يخول عبد الناصر سلطات كاملة

زكريا محيي الدين يذيع سرا في بيانه برفض رياسة الجمهورية:

وصف شامل لأخطر جلسة تاريخية عقدها مجلس الأمة



بيان رسمي عن مباحثات عبد الناصر وبودجورني

تمت دراسة الإجراءات الواجبة لإزالة آثار العدوان

ودعم وتنمية علاقات الصداقة والتعاون الشامل بين القاهرة وموسكو

بودجورني توقف في يوغوسلافيا واجتمع بالرئيس تيتو

آخر خبر

الأخبار

٨ صفحات - ١٥ مليما

رفع أسعار البترول في ألمانيا الغربية لثاني مرة خلال أسبوع واحد

مباحثات عبد الناصر وبودجورني تناولت المسائل المتعلقة بالموقف في الشرق الأوسط

لإزالة آثار العدوان ضد العرب

كوسيجين يتحدث غدا في مؤتمر صحفي بعد اجتماعه الثالث مع جونسون

كوسيجين بمونتريال اليوم أو غدا



اعفاء نجيب

مجلس الثورة يقرر بقاء منصب رئيس الجمهورية خاليا

٨ صفحات

الأخبار

١٠ مليمات

آخر خبر

معركة دموية خطيرة بين الإخوان والبوليس في شبرا

منصب رئيس الجمهورية يبقى خاليا بعد اعفاء نجيب

اعترافات ابراهيم الطيب بعد القبض عليه



مصر وسوريا والمملكة السعودية توقع الاتفاق العربي

إدانة إسرائيل

نقد عربي وبنك عربي وشركات مساهمة بأموال عربية

تاجر يذبح زوجته وابنتهما لأن الزوجة خائنة مع خطيب الابنة

إيقاف عمر أباظه

احالة مدير الطيران المدني الى الاستيداع

حرمان المالي ايلي بوليتي من الجنسية المصرية



عبد الناصر قبل الدعوة لزيارة العراق

اتفاقية الوحدة

مجلس رياسة مشترك للجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية

المجلس مقره القاهرة ومهمته تنفيذ الخطوات لاقامة الوحدة بين البلدين

قيادة عسكرية مشتركة لتنسيق القوات وتدريبها وتجهيزها

خروج الأهلي والترسانة من كأس مصر لكرة القدم

الاتفاقية التي وقعها الرئيسان عبد الناصر وعارف هي الخطوة الأولى نحو الوحدة الكاملة



عبد الناصر استقبل رئيس الكاميرون في مطار القاهرة

إنذار بالحرب

إذا حاولت السعودية إعادة النظام الملكي إلى اليمن

مغامرات مثيرة قام بها الطياران السعوديان في أسوان أمس

الأهرام

حفنة من تراب بورسعيد هدية إلى المجاهدتين جميلة وزهرة

حكومة الثورة في اليمن تتحدى سعود وتهدد بالحرب الشاملة

النضال الأفريقي من أجل الحرية



ممنوع رفع أسعار السلع الاستهلاكية بعد تخفيض ساعات العمل

قوانين اشتراكية جديدة للعمل

يوم العمل ٧ ساعات في ١٠٧ مصنع - التخفيض يؤدي إلى تشغيل ١٥ ألف عامل جديد

قواعد لتنظيم «خلو الرجل»

الأهرام

خبر اليوم

حكمة اليوم

الحكومة لن ترث الموظفين

تعديل نسب المعاشات التي تؤول لورثة موظفي الحكومة

لا ارتفاع في الأسعار بسبب تخفيض ساعات العمل

ممنوع اشتغال العامل في أكثر من مؤسسة

مائل وزال



عبد الناصر وعبود يبحثان مشاكل الشرق الأوسط وأفريقيا

عيد الثورة

اليوم عرض أقوى جيش في الشرق الأوسط

طائرات بالجيكا تضرب جهتين الكونغو بالصواريخ

أخبار اليوم

فكرة اليوم

مجرد اليوم

العرض الكبير لقواتنا المسلحة

احتفالات شاملة في أقاليم الجمهورية بعيد الثورة

أخبار اليوم



أسرار المفاوضات بين إيدن وأخبار اليوم

عرض روسي جديد

لبناء المرحلة الثانية من السد العالي

عادت فجأة الحرب الباردة

أخبار اليوم

فكرة اليوم

مجرد اليوم

أزمة في القصر الروماني

لماذا لم تطفأ الأنوار في الساعة ١٢ ليلة رأس السنة

أسرار المفاوضات بين إيدن وعلى أمين



أوامر جمهورية هامة

سلطات لعبد الحكيم عامر في دمشق

عامر يشرف على السياسة العامة وينسق شئون الوحدة

الوزراء التنفيذيون في الإقليم السوري مسئولون أمام المشير عامر

المشير عامر يشرف على تنظيم الاتحاد القومي في الإقليم الشمالي

كمال الدين حسين يشرف على الاتحاد القومي في الإقليم المصري

آخر خبر

الأخبار

السراج يشرف على الدعاية والأنباء في الإقليم السوري

المشير عامر له اختصاصات رئيس الجمهورية

في إصدار القرارات والأوامر بالإقليم السوري

اكتشاف مناجم فحم



الجمهورية العربية المتحدة

برلمان واحد ـ نظام ديمقراطي رياسي

رئيس الجمهورية الجديدة يعين الوزراء ويكونون مسئولين أمامه

آخر خبر

الأخبار

أمريكا تطلق قمرا يزاحم القمر الروسي في السماء

القوتلي وعبد الناصر أعلنا

مولد الجمهورية العربية المتحدة

في أكبر مهرجان شعبي عرفه تاريخ مصر


بعد أن هزمت مصر قوات إسرائيل
بريطانيا وفرنسا تقرران
الهجوم على مصر
إنذار إلى مصر ينتهي الساعة السادسة صباح اليوم
الدولتان تطلبان احتلال بورسعيد والإسماعيلية والسويس
الجيش المصري يطهر سينا من قوات اسرائيل
الأهرام
الطبعة الثانية
آخر خبر
إسقاط ٧ طائرات وتدمير ١٢ مصفحة للعدو
بريطانيا وفرنسا تستخدمان


جمال عبد الناصر يعلن:
تأميم شركة القناة
الأهرام
آخر خبر
مصر تسلمت إدارة الشركة أمس
٣٥ مليون جنيه سنويا
أرباح الشركة تبني السد العالي
البلاغ الدولي
صاحبة الأسهم في الشركة



جمال عبد الناصر يعلن للضباط الاتفاق مع تشيكوسلوفاكيا

مصر تقبل الأسلحة

الاتفاق تجاري ولا علاقة له بالسياسة

سياسة مصر الخارجية لا تنبعث من معسكر من المعسكرات

لماذا رفضت مصر عروض أمريكا وانجلترا وفرنسا

الاتفاق الجديد بلا قيد أو شرط

أسعار القطن ترتفع

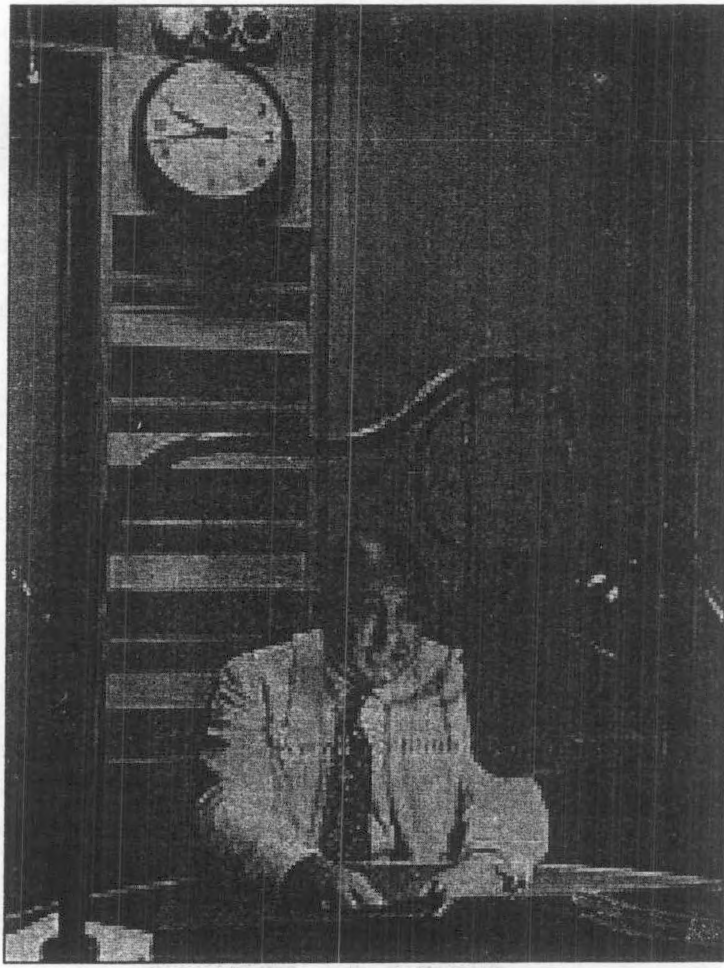
١٢ ريالا عن سعر الكومة

افتتاح البورصة أمس



تأميم شركة قناة السويس

أموالنا وحقوقنا ردت إلينا



أحمد سعيد داخل استوديو صوت العرب

المؤلف في سطور



* الاسم / ممدوح محمد دسوقي .
* الاسم الصحفي/ ممدوح دسوقي .
* المهنة / كاتب صحفي .
* عضو نقابة الصحفيين.
* باحث ومتخصص في ثورة يوليو.
* حاصل على دورة الدراسات الإستراتيجية والأمن القومي رقم (٨) من كلية الدفاع الوطني بأكاديمية ناصر العسكرية.

نشرت له مقالات في جرائد:

الوفد، الأحرار، الغد، المشهد، اللواء العربي «جريدة أمريكية تصدر باللغة العربية».

صدر له:

* كتاب ساخر بعنوان: جملة خسائر في السياسة والنسوان.
* قديس الصحافة المصرية لويس جريس شاهد على العصر.

تحت الطبع:

* سد النهضة أزمة إستراتيجية للدولة المصرية.
* مصر بين الإنهيار والإنفجار.

له العديد من الدراسات :

* الحرية في الإسلام في زمن الإخوان .
* المشروع التنويري بين فقهاء التنوير وشيوخ السلفية .
* السلام بين القاهرة وتل أبيب في ظل ثورات الربيع العربي .
* ثوار يوليو يتحدثون.
* الإخوان المسلمين وثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢ .
* أسباب هزيمة يونيو ١٩٦٧.
* الناصريون وثورة ٢٣ يوليو .
* الشيوعيون وثورة ٢٣ يوليو.
* ثورة ٢٣ يوليو والليبرالية المصرية .
* عامر «شهاعة» عبد الناصر .
* ماذا فعلت جماعة الإخوان في مصر؟ .
* تجديد الخطاب الديني بين الواقع والمأول.
* الفارون من جنة جماعة الإخوان .